جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

برهان الدين العبوشي أديبا

إعداد
شمس الدين غنام عبد القادر عصيدة

إشراف
أ. د. عادل أبو عمشة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2012م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

برهان الدين العبوشي أديبا

إعداد

شمس الدين غنام عصيدة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/12/30م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. أ. د. عادل أبو عمشة / مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. إبراهيم نمر موسى / ممتحناً خارجياً	.....
3. د. نادر قاسم / ممتحناً داخلياً	.....

إهداء

إلى أمي وأبي

إلى زوجتي وأولادي

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أساتذتي

إلى الشموع التي تحترق لتضيء الطريق للآخرين

إلى كل من علمني حرفا

أهدي هذا البحث المتواضع راجياً المولى

عزّ وجلّ أن يجد القبول والنجاح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

عرفانا مني بجميل من كان له فضل علي، فإني لأشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة الذي أسبغ علي من كريم خصاله، وسعة معرفته، ووافر عطائه، ما شجعني وساعدني على إتمام هذه الرسالة على الوجه الذي وصلت إليه. كما أشكره على جهوده ووقته وإرشاده في سبيل أن يرى هذا البحث النور، جزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذه الدراسة وتقويمها.

وأتقدم كذلك بعظيم الشكر ووافر الامتنان من الأديب الفلسطيني سماك برهان الدين العبوشي – نجل الشاعر برهان الدين العبوشي– لما قدم لي من المساندة والعون في سبيل إخراج هذا العمل إلى النور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

برهان الدين العبوشي أديبا

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student Name: **اسم الطالب:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ط
المقدمة	**1**
تمهيد	**5**
المبحث الأول: وصف كتاب "الأعمال الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي"	6
المبحث الثاني: مولده ونشأته	8
المبحث الثالث: طفولته الشعرية	13
المبحث الرابع: منزلته الشعرية وموقعه بين شعراء عصره	16
جدول بمحتوى الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي	21
الفصل الأول: الاتجاهات الشعرية عند برهان الدين العبوشي	**22**
تمهيد	23
المبحث الأول: الشعر الوطني	25
المطلب الأول: حب الوطن	26
المطلب الثاني: تمجيد البطولة ورثاء الأبطال	29
المطلب الثالث: النقمة على السماسرة	32
المطلب الرابع: معاداة الزعماء والأحزاب	38
المطلب الخامس: الثورة ومحاربة الاستعمار والاحتلال	42
المطلب السادس: رثاء الشهداء	46
المطلب السابع: نبوءة النكبة قبل حلولها	50
المبحث الثاني: الشعر القومي	55
المبحث الثالث: الشعر الاجتماعي	66
المبحث الرابع: الشعر الديني	76

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس: شعر النكاية	84
المبحث السادس: شعر السخرية والفكاهة	87
المبحث السابع: الغربة والحنين للوطن	92
الفصل الثاني: المسرحيات الشعرية	**96**
المبحث الأول: تاريخ المسرح العربي الحديث في فلسطين	97
المبحث الثاني: تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني	98
المبحث الثالث: مضامين المسرحيات الشعرية لبرهان الدين العبوشي	102
المطلب الأول: مسرحية وطن الشهيد	102
المطلب الثاني: مسرحية شبح الأندلس	106
المطلب الثالث: مسرحية عرب القادسية	109
المطلب الرابع: مسرحية الفداء	110
المبحث الرابع: الالتزام في المسرح الشعري عند العبوشي	112
المبحث الخامس: عناصر المسرحيات الشعرية	113
المطلب الأول: الشخصيات	113
المطلب الثاني: الحوار	117
المطلب الثالث: الحبكة	120
المطلب الرابع: الحدث وارتباطه بالزمان والمكان	123
الفصل الثالث: المذكرات "من السفح إلى الوادي ألبي صوت أجدادي"	**127**
المبحث الأول: دوافع العبوشي في كتابة مذكراته	129
المبحث الثاني: أهمية مذكرات العبوشي	133
المبحث الثالث: وصف مذكرات العبوشي	135
المبحث الرابع: مضمون مذكرات العبوشي	138
المبحث الخامس: أسلوب العبوشي في مذكراته	150
الفصل الرابع: التشكيل الفني	**155**
المبحث الأول: اللغة	156
المبحث الثاني: الأسلوب	162
المبحث الثالث: الصورة الفنية	173
المبحث الرابع: الموسيقا	181

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: الموسيقا الخارجية	181
المطلب الثاني: الموسيقا الداخلية	188
المبحث الخامس: التناص	191
المبحث السادس: التكرار	207
الخاتمة	**215**
قائمة المصادر والمراجع	**217**
Abstract	**b**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

برهان الدين العبوشي أديبا

إعداد

شمس الدين غنام عبد القادر عصيدة

إشراف

أ. د. عادل أبو عمشة

الملخص

تعرض هذه الدراسة للأديب الفلسطيني برهان الدين العبوشي من خلال حياته ومولده ونشأته وتعليمه وثقافته وأسفاره، وما كان للبيئة من أثر في تكوينه ورسم شخصيته، ثم تستعرض الدراسة الاتجاهات الأدبية عند برهان الدين العبوشي كالاتجاه الشعري حيث تنوعت أشعاره بين الوطنية والقومية والدينية إضافة إلى شعر النكاية، أما الاتجاه المسرحي فقد عبّر فيه العبوشي عن أحوال البلاد شعرا من خلال مجموعة من المسرحيات، ثم الاتجاه النثري وهو ما تجسّد في المذكرات النثرية، ثم تعرض الدراسة للخصائص الفنية في شعر العبوشي من خلال اللغة والأسلوب والموسيقا والصور.

لقد هدفت هذه الدراسة إلى لفت الاهتمام بأديب فلسطيني أبدع مع إخوانه الأدباء أعمالا ملتزمة تعبّر عن المراحل المختلفة من تاريخ الإنسان الفلسطيني، وعلى الرغم من قسوة الحياة وضنك العيش إلا أن العبوشي واصل إبداعاته ورفد المكتبة العربية عامة والفلسطينية خاصة بأكثر من نوع أدبي؛ فنظم الشعر والمسرح والمذكرات... ما يدل على امتلاكه طاقات كبيرة.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة

هذه دراسة تتناول الأديب الفلسطيني برهان الدين العبوشي من خلال أعماله الكاملة التي صدرت مؤخرا عن مؤسسة فلسطين للثقافة في دمشق، وضمت تجربة أدبية طويلة للشاعر امتدت من عام 1933م حتى عام 1985م.

سيتناول الباحث في هذه الدراسة حياة الشاعر الفلسطيني وفكره وأثر ذلك كله في تشكيل رؤيته الفنية، وستطال الدراسة موضوعين أساسيين هما: جانب المضمون في أعماله (ويتمثل في الجانب الوطني والديني والاجتماعي ...)، والجانب الفني المتمثل في بنية القصائد والمسرحيات والمذكرات من حيث: اللغة، والأسلوب والموسيقا، والصورة الفنية...

وهذا يعني أن الدراسة ستجمع بين الرؤية والتشكيل في تجربة شاعر جمع بين الشكل القديم والحديث فنيا, وبين مختلف الموضوعات الوطنية والدينية والقومية مضمونا.

لقد احتل برهان الدين العبوشي في تاريخ الشعر الفلسطيني مكانة بارزة، فهو شاعر وطني قومي يغلف أدبه بمسحة إسلامية تشي بتدينه وعمق تجاربه، وهو شاعر مبدع عاصر أجيالا عدة قبيل نكبات فلسطين وخلالها وبعدها، وأفصح بجرأة عن أحوال البلاد شعرا ونثرا.

ولم تطبع الأعمال الكاملة للعبوشي إلا متأخرا عام 2009م، وما كتب عن العبوشي لا يعدو مجموعة من المقالات المتفرقة في الصحف والمواقع الالكترونية، أو جزءا من دراسات شاملة للأدب عامة والشعر الفلسطيني خاصة، لكن هذه الدراسات الجزئية المتفرقة لم تلملم أطراف الموضوع ولم تفه حقه من الدراسة الوافية، ولم تغن عن دراسة منهجية كاملة يمكن من خلالها دراسة أعماله الأدبية من شعر ومسرح ومذكرات.

وقد أشارت بعض الكتب والدراسات الأدبية لأهمية العبوشي في النضال الوطني الفلسطيني إلى جانب إخوانه من الشعراء أمثال: إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وعبد الكريم الكرمي وغيرهم، ومن هذه الدراسات:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن للدكتور ناصر الدين الأسد، 1961م.

عرض الباحث أشعار مجموعة من شعراء فلسطين والأردن- ومن ضمنهم برهان الدين العبوشي- وقد استشهد ببعض أشعاره، لكن الدراسة تعدّ دراسة عامة للأدب في فلسطين والأردن ولم تركز على أديب بحد ذاته.

2- حياة الأدب الفلسطيني الحديث للدكتور عبد الرحمن ياغي، 1980م.

عرض فيه الباحث حياة الأدب العربي الحديث في فلسطين والشتات، مستشهدا بأعمال كثير من الشعراء، لكن نصيب برهان الدين العبوشي في هذا الكتاب لم يتعد الصفحتين.

3- الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر للدكتور كامل السوافيري، 1973م.

عرض فيه الباحث أشعار مجموعة من شعراء فلسطين، واستعرض بعض الخصائص التي يمتاز بها شعرهم، لكن الدراسة تعدّ دراسة عامة ولم تركز على شاعر بحد ذاته.

4- الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، مجلد4 ، 1980م.

تناولت الموسوعة المراحل الزمنية التي مرّ بها الأدب الفلسطيني بشكل عام، وصنفت العبوشي ضمن مرحلته، وقد عرض المؤلفون خصائص كل مرحلة بشكل عام، ولم يركزوا على شاعر معين.

5- اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م للدكتور عادل الأسطة، 1992م.

عرض فيه الباحث مسرحية وطن الشهيد لبرهان الدين العبوشي، وخرج بنتيجة مفادها أن نظرة العبوشي لليهود تنطلق من رؤية عربية إسلامية ريفية نمطية، وأنهم لا يشكلون خطرا على المجتمع العربي الفلسطيني لأنهم يهود، بل لأن أخلاقهم فاسدة.

6- الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين للدكتور عبد الرحمن الكيالي، 1975م.

عرض فيه الباحث أشعار مجموعة من شعراء فلسطين، وأراد من كتابه إيقاظ الوعي لدى الأمة وتعميقه، وتحريك الشعب ودفعه لكشف المؤامرات والتغلب عليها، ولم يركز الباحث على شاعر معين، بل تناول كل شاعر أسهم في الذود عن فلسطين بشعره، وعدّ الشعر سجلا تاريخيا، كما انصب تركيزه على دراسة شعر النكبة من قبل وقوعها حتى ضياع فلسطين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7- برهان الدين العبوشي للدكتور علي الخواجا، 2008م.

وهو كتيّب عرض فيه الباحث حياة الشاعر برهان الدين العبوشي وفكره ونضاله، كما عرض بعض الخصائص الأسلوبية في شعره، لكن هذه الدراسة لا تعدّ دراسة شاملة، فهي لم تتعرض للمسرحيات أو المذكرات أو الأغراض الشعرية في شعر برهان الدين العبوشي.

برهان الدين العبوشي شاعر محافظ من حيث الشكل الفني للقصيدة، ملتزم في فكره الديني وانتمائه الوطني، لكنه لم يدرس دراسة أكاديمية من قبل، إلا أنّ أعماله بما حوته من قصائد عمودية, ومسرحيات، ومذكرات، تنمّ عن تجربة أدبية تستحق الوقوف عندها، حيث يستطيع دارس أعماله أن يقف على أهم الموضوعات والقضايا التي تدل على تجربة شعرية غنية فنيا ومضمونيا.

من نحو آخر، يمكن الإشارة إلى أنّ العبوشي ينتمي إلى مدرسة فكرية تمثل اتجاها في الشعر يمكن تسميته الاتجاه الوطني الإسلامي في الشعر الحديث -ولعل هذا الاتجاه يقابله اتجاه آخر هو الاتجاه اليساري- وهذا يعني أن دراسة العبوشي تمثل وقوفا على اتجاهات مهمة من الاتجاهات الأدبية والفكرية الحديثة وعلى رأسها الاتجاه العروبي الذي صبغ بالصبغة الوطنية والإسلامية.

أما فلسطينيا، فإن العبوشي واكب القضية الفلسطينية منذ بداياته الشعرية في الثلاثينيات، وقد ضمّت أعماله الكاملة قصائد عديدة ومتنوعة حول الأرض، والشهداء، واللاجئين، والقدس، والقرآن الكريم، والنكاية، فهو بهذا يعدّ واحدا من الشعراء الذين أسسوا لشعر المقاومة .

أما من حيث المنهج فسيزاوج الباحث في هذه الدراسة بين منهجين: المنهج التاريخي، والمنهج الفني، ذلك أنه سيدرس حياة الشاعر من نحو, وخصائص أعماله الفنية من نحو آخر، إضافة إلى المنهج التحليلي وذلك لتحليل أعماله الأدبية من شعر، ومسرح، ومذكرات.

شملت الدراسة تمهيدا، وأربعة فصول، وخاتمة؛ وقد تناول التمهيد حياة الأديب برهان الدين العبوشي ونشأته وطفولته الشعرية وموقعه بين شعراء عصره، إضافة إلى تعريف بكتاب فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الفصل الأول فكان بعنوان الاتجاهات الشعرية عند برهان الدين العبوشي، وكان على رأس هذه الاتجاهات الاتجاه الوطني ثم الاتجاه القومي والاجتماعي والديني...، كما طرق العبوشي في أشعاره بابا جديدا من أبواب الشعر الحديث سمّاه (شعر النكاية)، لكن الاتجاه الوطني حاز حصة الأسد، حيث تفرع عن الاتجاه الوطني؛ حبّ الوطن، وتمجيد البطولة، والنقمة على السماسرة، ومعاداة الحكام والأحزاب، والدعوة للثورة ومحاربة الاحتلال، ورثاء الشهداء، والنبوءة الشعرية.

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان المسرحيات الشعرية، حيث استهل الباحث الفصل بتمهيد تاريخي حول المسرح العالمي والعربي والفلسطيني، وصولا إلى تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني، ثم لخص الباحث مسرحيات برهان الدين العبوشي، وعرض أفكارها، كما عرض لظاهرة الالتزام الشعري عند برهان الدين العبوشي، وتناول الباحث عناصر المسرحيات الشعرية من حبكة، وشخصيات، وحوار، وأحداث ومدى ارتباط هذه العناصر بالزمان والمكان.

أما الفصل الثالث فقد كان بعنوان المذكرات، حيث بدأ الفصل بمقدمة حول مفهوم المذكرات، كما تناول أهمية مذكرات العبوشي ودوافعه من وراء تسجيل مذكراته، وأسلوبه في المذكرات، ثم عرض وصفا موجزا للمذكرات، وقام بدراسة مضمونها دراسة وافية.

أما الفصل الرابع فقد حمل عنوان التشكيل الفني، وفيه تناول الباحث اللغة مع التركيز على المعجم الشعري عند العبوشي، والأسلوب الذي تفرع عنه عدة قضايا كسهولة الألفاظ واللجوء إلى بعض التقنيات ومنها الجناس والتدوير والتصريع والنداء والاستفهام...، والصورة الشعرية، والموسيقا التي تناول فيها الباحث شكليها الداخلي والخارجي، إضافة إلى التناص الشعري الذي قسم إلى تناص ديني وأدبي وتاريخي وذاتي، وأخيرا ظاهرة التكرار في أعمال العبوشي الأدبية.

وأما الخاتمة فقد أتى فيها الباحث على أهم ما توصل إليه من نتائج خلال هذه الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

المبحث الأول: وصف كتاب "الأعمال الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي"

المبحث الثاني: مولده ونشأته

المبحث الثالث: طفولته الشعرية

المبحث الرابع: منزلته الشعرية وموقعه بين شعراء عصره

جدول بمحتوى الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: وصف كتاب "الأعمال الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي"

برهان الدين حسن قاسم العبوشي "هو أحد أفراد تلك الكوكبة من الشعراء الفلسطينيين الذين جادت قرائحهم جراء أوضاع فلسطين السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية المزرية، حيث رفدوا الحركة الأدبية عامة، والشعرية خاصة بإبداعاتهم التي لاقت آذانا صاغية، فسرت دما نقيا في الشرايين، أولئك الذين عُدُّوا طلائع الحركة الشعرية، ورواد نهضتها، لنتاجاتهم الشعرية في أبعادها السياسية وطنيا، وقوميا"[1].

وهو من الأدباء "الذين وهبوا فكرهم وكلمتهم لخدمة وطنهم، رغم عدم شهرته كغيره من أقرانه في الوسط الأدبي، وكانت الدراسات عنه قليلة، فهو لم يأخذ حظه منها، إلا أن نتاجه الأدبي والشعري يدلان على شاعريته، وانتمائه لوطنه المغتصب، فقد قرن الكلمة بالسلاح في مواجهة المحتلين، فجرح وسجن وعذب، في معتقلات عوجا الحفير وصرفند والمزرعة"[2]، لذلك يعدّ برهان الدين العبوشي عيّنة أدبيّة رياديّة مميزة، تستحق الوقوف عندها وقفة متأنية، فهو " مجاهد وأديب وشاعر، من رجالات فلسطين، ومن رموزها الوطنية التي ناضلت وخدمت القضية الفلسطينية، كان فارس سنان وبيان، دافع عن بلده بيده ولسانه".[3]

وقد صدر كتاب الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر الراحل برهان الدين العبوشي عن دار مؤسسة فلسطين للثقافة في دمشق، حيث حمل الكتاب عنوان "فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر المجاهد الراحل برهان الدين العبوشي، 2009م"، ويحتوي الكتاب على بابين رئيسين جمع فيهما ولده "سماك العبوشي" أعمال والده الأدبية، حيث قسم الباب الأول إلى ثلاثة فصول، أولها حمل في طياته الدواوين الشعرية للشاعر برهان الدين العبوشي، وهي أربعة

---

[1] خواجا، علي، **التشكيل الصياغي قراءة في الشعر الفلسطيني الحديث**، ط1، رام الله، دار البيرق العربي للنشر، 2009م، ص8.

[2] أبو الشباب، واصف، **شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ط1، دار العودة، بيروت، 1981م، ص239.

[3] جرار، حسني أدهم **أدباء من جبل النار**، ط1، دار المأمون، عمان، 2007م، ص49.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دواوين شعرية؛ أولها ديوان "جبل النار"[1]، وثانيها ديوان "النيازك"[2] ، وثالثها ديوان "إلى متى"[3]، ورابعها ديوان "جنود السماء"[4] .

أما الفصل الثاني فقد ضم بين دفتيه المسرحيات الشعرية للعبوشي؛ وأولها مسرحية "وطن الشهيد"[5]، والثانية مسرحية "شبح الأندلس"[6]، والثالثة مسرحية "عرب القادسية"[7]، والمسرحية الرابعة هي "الفداء"[8].

أما الفصل الثالث فقد خصصه سماك العبوشي للمذكرات النثرية للشاعر برهان الدين العبوشي وقد حملت عنوان "من السفح إلى الوادي ألبي صوت أجدادي"[9].

أما الباب الثاني فقد جمع فيه سماك العبوشي مجموعة من الملاحق، خصص الملحق الأول لما قيل في الشاعر من قبل الشخصيات السياسية والفكرية والنقاد والباحثين المعروفين، وكان على رأس هذه الشخصيات الرئيس الشهيد "ياسر عرفات" الذي وصف العبوشي بعد أن منحه وسام القدس بقوله "أنت أستاذنا في الوطنية والجهاد ...ومنك نتعلم" [10]، والملحق الثاني تضمن جدولا ببعض الكتب والمؤلفات الأدبية التي ذكرت الشاعر برهان الدين العبوشي وإشارات إلى دوره الشعري والأدبي والنضالي، أما الملحق الثالث فقد تضمن عددا من الكلمات والمقالات التي كان في طليعتها كلمة نجله البكر الأستاذ سماك برهان الدين العبوشي حيث حملت عنوان "برهان الدين العبوشي كما عرفناه وعايشناه"، أما المقال الثاني فكان للدكتور محمد العمايرة من الأردن وقد حمل عنوان "برهان الدين العبوشي فارس الكلمة المقاتلة"، والمقال

---

[1] طبع لأول مرة عام 1956م بمطبعة الشركة الإسلامية في بغداد.

[2] طبع لأول مرة عام 1957م بمطبعة دار البصري في بغداد.

[3] طبع لأول مرة عام 1972م بمطبعة المعارف في بغداد

[4] طبع لأول مرة عام 1985م عن طريق لجنة إحياء التراث الأدبي الفلسطيني في الكويت.

[5] طبعت لأول مرة عام 1947م بالمطبعة الاقتصادية في القدس.

[6] طبعت لأول مرة عام 1949م بمطبعة دار الكشاف في بيروت.

[7] طبعت لأول مرة عام 1951م بمطبعة المعارف في بغداد.

[8] طبعت لأول مرة عام 1968م بمطبعة البصري في بغداد.

[9] طبعت لأول مرة بمطبعة الأمة في بغداد عام 1980م.

[10] عندما كرم الرئيس الشهيد ياسر عرفات الشاعر برهان الدين العبوشي في بغداد بوسام القدس للثقافة والآداب والفنـــون قال له "أنت أستاذنا في الوطنية والجهاد ... ومنك نتعلم" عام 1990م.

انظر: **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ط1، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2009م، ص743.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثالث كان من نصيب الكاتب الصحفي هشام عودة وحمل عنوان "العبوشي شاعر مات واقفا على قدميه"، ثم ختم الملحق الثالث بمقالة للدكتور كمال غنيم تحت عنوان "المسرح الفلسطيني وتداعيات النكبة والمعاناة الفلسطينية".

إن هذا الكتاب الذي أعده ابنا الشاعر برهان الدين العبوشي (سماك وحسن) وفاء لوالدهما بالتعاون مع مؤسسة فلسطين للثقافة، يعدّ لبنة في بناء المكتبة الأدبية الفلسطينية، ورافدا من روافدها، ولن تكون دراستي هذه سوى المقدمة التي ستفتح الباب على مصراعيه أمام الدراسات الأخرى.

المبحث الثاني: مولده ونشأته

ولد برهان الدين بن حسن بن قاسم العبوشي[1] في مدينة جنين الفلسطينية، في السابع من كانون الأول عام ألف وتسعمئة وأحد عشر ميلادية، لأبوين عربيين فلسطينيين هما حسن قاسم العبوشي، ومشخص إبراهيم الجابر[2]، وله أربعة أشقاء ذكور، وشقيقتان.

---

[1] يذكر الباحث محمد محمد حسن شرَّاب في كتابه (معجم العشائر الفلسطينية) أن عشيرة العبوشي أخذت اسمها نسبة لقرية كفر عبوش، قضاء طولكرم، ويورد شرَّاب أسماء ثلاث عشائر تحمل اسم العبوشي، في جنين ونابلس وكفر عبوش، ولكن شرَّاب لم يتطرَّق إلى جذور آل العبوشي ولا إلى اسمها الحقيقي الذي غلب عليه اسم قرية كفر عبوش، ولم يشر إلى تاريخ قدومها إلى قرية كفر عبوش والمكان الذي قدمت منه. انظر: شراب، محمد محمد حسن، **معجم العشائر الفلسطينية**، ص1071- 1247 - 1269.

أما الأستاذ أكرم زعيتر فتحدث في كتابه (الحركة الوطنية الفلسطينية 1935- 1939م) عن العديد من رجالات آل العبوشي، الذين كانوا من أبرز ناشطي الحركة الوطنية الفلسطينية، التي تصدَّت للمستعمرين البريطانيين ولعصابات اليهود المدعومة من الانجليز، ويتحدَّث عن دورهم في ثورة عام1936 م، ومن هؤلاء الشاعر برهان الدين العبوشي، وفهمي العبوشي الذي كان رئيسا لبلدية جنين في مرحلة ثورة 1936م، وراجح العبوشي، وجميل العبوشي، ومحمود العبوشي، وناظم العبوشي.

انظر: زعيتر، أكرم، **الحركة الوطنية الفلسطينية 1935- 1939**، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1980، ص125.

كما ذكر لي سماك برهان العبوشي في رسالة الكترونية أن "عمي الأصغر حسني العبوشي (رحمه الله) الذي كان يعمل مذيعاً في هيئة الإذاعة البريطانية – القسم العربي، كان قد حدّث والدي –رحمه الله- بأنه وأثناء زيارته لليمن السعيد في سبعينيات القرن المنصرم، فإنه كان قد التقى ببعض شيوخ اليمن وأكدوا له بأن أصول (العبوشي) تعود إلى مدينة (نجران) اليمنية المحاذية للمملكة العربية السعودية، ومن هناك انتقلوا لفلسطين أسوة بالقبائل العربية التي هاجرت من اليمن إلى بلاد العرب الأخرى كالعراق والشام وفلسطين وغيرها. رسالة الكترونية من سماك برهان الدين العبوشي بتاريخ 13-8-2011.

[2] انظر: **شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ص239.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجنين" التي طالما تردد اسمها في أشعاره، وطالما ظل شريط ذكرياته عنها يراوده في يقظته ونومه، تارة يوم كان طفلا، يمرح على ترابها، وأخرى حين أصبح فتى يافعا، نطق أول أبياته الشعرية على أرضها بمناسبة الزلزال الذي زارها على حين غرة، ثم صار شابا فلبّى نداء الواجب، متمسكا بالبندقية، مدافعا عن عروبتها ضد الهجمة الصهيونية، فجنين لم تفارق خياله لحظة واحدة، بل مات وهو على أمل أن يلقاها في يوم من الأيام، ليدفن تحت ثراها".[1]

عاش العبوشي أيام طفولته في العهد التركي، وما إن بلغ السابعة من عمره حتى دخل الإنجليز مدينة جنين، وبذلك يكون قد عاش فترة المعاناة، التي سببها الاحتلال منذ نعومة أظفاره[2]، أنهى دراسته الابتدائية في مدارس مدينته جنين، حيث كان طالبا في المدرسة الراشدية، وقد لمح المعلمون نبوغه الشعري والخطابي منذ الطفولة، حيث انتدبته المدرسة للمسابقات الشعرية والخطابية[3]، وعاش كغيره من أبناء فلسطين طفولته في ظل الانتداب البريطاني، وقد تشرّب الوطنية والقومية منذ طفولته، فقد كان معلمو المدرسة الابتدائية يغرسون في نفوس الطلاب الأناشيد الوطنية، في مواجهة النشيد البريطاني الرسمي، ما ألهب الشعور الوطني لديه، وجعل فكره – على الرغم من طفولته– يوازي فكر الرجال.

ثم انتقل إلى مدينة نابلس في المرحلة الثانوية ، حيث أصبح طالبا في مدرسة النجاح الوطنية "وهي مدرسة كانت تغرس في نفوس طلابها إلى جانب فروع المعرفة المختلفة حب العرب والعروبة، وتشعل في نفوسهم جذوة الوطنية، وتضع البرامج التي تغذي فيهم الجانب القومي، والاعتزاز بالأمجاد العربية التي سطرها التاريخ، حيث لم يكن لإدارة المعارف الحكومية سلطان عليها"[4].

---

[1] العبوشي، سماك برهان الدين، **موقع الشاعر برهان الدين العبوشي الإلكتروني**، www.al-abbushi.com.

[2] الخواجا، علي، برهان الدين العبوشي 1911-1993، ط1، 2008، المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ص4.

[3] انظر: **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص622.

[4] السوافيري، كامل، **ديوان عبد الرحيم محمود**، دار العودة، بيروت،1999م، ص22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان العبوشي في مدرسة النجاح تلميذا لشاعر فلسطين الكبير، إبراهيم طوقان "الذي زاول التدريس في مدرسة النجاح سنة واحدة، 1929–1930م"[1]، وقد لمح طوقان الموهبة الشعرية في تلميذه برهان الدين العبوشي، ولاحظ نبوغه وعبقريته الشعرية، فغذّى هذه الموهبة الشعرية وحببها إليه وإلى رفيقه الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود خاصة، وإلى طلاب المدرسة عامة"[2].

تقول الشاعرة فدوى طوقان، شقيقة الشاعر إبراهيم طوقان "زاول إبراهيم مهنة التعليم في مدرسة النجاح الوطنية سنة واحدة، وكان له تأثير في بعض طلابه، من الصفوف العالية، فحبّب إليهم الشعر والأدب، ولا أزال أذكر ذلك اليوم الذي أقبل فيه يحدثنا مبتهجا، بأن بعض تلاميذه النجب، قد بدؤوا ينظمون الشعر على يده"[3]. وكان على رأس هؤلاء الطلاب برهان الدين العبوشي، فقد تنبأ طوقان للعبوشي بالشاعرية. يروي صديقه الحميم وابن صفه في مدرسة النجاح، الدكتور جودت تفاحة[4]، أن العبوشي وعبد الرحيم، كانا ينظمان الشعر، ويعرضانه على أستاذهما إبراهيم طوقان، فيعجب المعلم بتلاميذه، ويرى كل سمات الشعر في قصائدهما.[5]

"وكان في أثناء دراسته بكلية النجاح الوطنية يشارك في النشاطات الثقافية والحركات الطلابية، وكان زملاؤه يقدرونه ويحترمونه لما عُرف عنه من روح وطنية وثّابة، وطموح لتحقيق آمال شعبه ... لذلك كان حاضراً في كل مناسبة تستدعي الحركة والنشاط"[6].

---

[1] طوقان، إبراهيم عبد الفتاح، **ديوان إبراهيم طوقان**، دار الشرق الجديد، بيروت، د.ت، ص21.

[2] محمود، طارق عبد الكريم، مقابلة بتاريخ 20–4–2011 .

[3] _**ديوان إبراهيم طوقان**، ص21.

_الطريفي، يوسف عطا، **شعراء أعلام–إبراهيم طوقان حياته وشعره**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2008م، ص22.

[4] ولد جودت تفاحة عام 1915م في مدينة نابلس، درس في مدرسة النجاح، ثم تابع تحصيله العلمي في الجامعة الأمريكية ببيروت عام 1939م، وتخرج من كلية الطب، توفي تفاحة عام 1998م.

[5] انظر: محمود، طارق عبد الكريم، مقالة بعنوان: ***عبد الرحيم محمود ... الجانب الآخر***– من كتاب **عبد الرحيم محمود بين الوفاء والذكرى**، إعداد: أديب رفيق محمود وطارق عبد الكريم محمود، إصدار مركز إحياء التراث العربي، مطبعة روان التجارية، القدس، ط1، 1990م، ص207. وكذلك مقالة في صحيفة القدس بعنوان "**الشاعر الفلسطيني برهان الدين العبوشي... إلى متى يظل منسياً ومظلوماً**"، للكاتب طارق عبد الكريم محمود بتاريخ 2009/12/11م.

[6] **أدباء من جبل النار**، ص49.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم انتقل العبوشي عام 1931م ليكمل دراسته في الكلية الوطنية في الشويفات بلبنان بعد أن حُرم من الشهادة من مدرسة النجاح الوطنية نتيجة لخطاب التخرج الذي ألقاه، حيث حرض فيه على الثورة ضد الاستعمار بخلاف الخطاب الذي أعطته إياه المدرسة، فغيّر الخطاب بما يتناسب مع أفكاره دون إذن إدارة المدرسة، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، عام 1933م، لكن بسبب مواقفه الوطنية والقومية، فإنه لم يتمكن من إتمام دراسته في الجامعة، فقد صدر قرار فصله من إدارة الجامعة الأمريكية، في مطلع السنة الدراسية الثانية، فعاد إلى مسقط رأسه جنين، ثم عمل موظفا في البنك الزراعي العربي _ بنك الأمة العربية- فرع طبريا[1]، وكان يرأس البنك في تلك الفترة أحمد حلمي باشا[2]، ثم نقل العبوشي إلى فرع القدس، وقد أحبّ العبوشي العمل في البنك العربي، لأنه بنك عربيّ قوميّ، يدعم صمود الفلاحين من جهة، ويواجه المؤسسات المالية الصهيونية التي تمصّ دم الفلاحين، وتسلب أرضهم من جهة أخرى، وقد نظم العبوشي عدة قصائد مادحا البنك العربي منها:

الرمل

هنـــئ الأمّـــة بالبنـــك الجديـــد وانظـــم الشـــعر فهـــذا يـــوم عيـــد
إن أولـــى النـــاس تشـــجيعا فتـــى صان وجه الشـــعب مـــن مـــال اليهـــود
وابتنـــى للشـــعب بيتـــا راســـخا يضـــرم العزمـــة فـــي نفـــس البليـــد
ويفـــكّ المفلـــس مـــن زراعنـــا وذوي الصـــنعة مـــن ذلّ القيـــود[3]

أمضى ردحا من حياته في الريف الفلسطيني، فأحسّ بقيمة الأرض، وجمالها، وأكل من إنتاجها، وشرب من ينابيعها، وطوّف في جبالها، ورتع في جناتها، وتشرب من مبادئها، وأخلاقها، فأحبها، ودافع عنها بسيفه ولسانه[4]، وأسهم العبوشي في مشروع صندوق الأمة العربية

---

[1] انظر: شراب، محمد محمد حسن، **شعراء فلسطين في العصر الحديث**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمـــان، 2006م، ص73.

[2] اقتصادي وسياسي فلسطيني ولد في مدينة صيدا عام 1882، تعلم في مدينة نابلس ثم اســطنبول، عمــل فــي البنــك الزراعي، شغل منصب رئيس حكومة عموم فلسطين من عام 1949-1963م، توفي عام 1963م.

[3] **فارس السيف والقلم-الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص89.

[4] **نفسه**، ص332.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي أُنشِئ لتوعية الفلاح الفلسطيني بالحفاظ على أرضه، وحمايته من المغريات الصهيونية، كما كان العبوشي عضوا في اتحاد كتاب فلسطين والعراق، وامتزج في شعره الشاعر بالثائر، والتقت عنده غايات القصيدة بأهداف المسرحية، فصار شعره هتافا وغناء وتحريضا.[1]

كما أسهم في الحركة الوطنية الفلسطينية، فكان من جماعة (المفتي) الحاج أمين الحسيني، ومن المناصرين للشهيد عز الدين القسّام ...[2]. وبعد عودته من بيروت "انصرف إلى المطالعة حيث كان ميالاً إلى الأدب ما جعله يعيش حياة الشعراء؛ من حيث التمرّد على الواقع المهزوم، وعدم الرضوخ للغاصبين المحتلين، وكان له نشاط في حيفا بمركز النشاط العمالي في ذلك الوقت"[3].

شارك في ثورة عام 1936م، واعتقل في القدس وتم نفيه إلى عوجا الحفير على مقربة من صحراء سيناء، ثم نُقل إلى معتقل صرفند، ثم اعتقل بعد ذلك وأُودع في سجن المزرعة لمدة عشرة أشهر[4]، وفي عام 1939م انتُدب للتعليم في العراق، ثم شارك في ثورة "رشيد عالي الكيلاني"[5] هناك عام 1941م، مع إخوانه المجاهدين أمين الحسيني وعبد الرحيم محمود[6]، وجرح فيها، وبعد فشل الثورة، وصدور الأوامر بإلقاء القبض عليه، توجه إلى الموصل، ومن هناك، تم تهريبه إلى دمشق بوساطة العشائر البدوية العربية، ثم عاد إلى مسقط رأسه، مدينة جنين، متخفيا[7].

شارك في معركة جنين عام1948م، مع المجاهدين الفلسطينيين جنبا إلى جنب، مع جنود الجيش العراقي وأصيب في المعارك بجراح بالغة في كتفه[8]، وإثر الهزيمة رفض أن يعيش في

---

[1] انظر: موقع **معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين**:*www.almoajam.org* .

[2] انظر:- الجوزي، نصري، **تاريخ المسرح الفلسطيني1918-1948م**، ص102

- **شعراء فلسطين في العصر الحديث**، ص73.

[3] **أدباء من جبل النار**، ص50.

[4] انظر: **شعراء فلسطين في العصر الحديث**، ص73.

[5] 1892- 1965، وهو من الرموز الوطنية العراقية، شغل منصب رئيس وزراء العراق ثلاث مرات.

[6] انظر: السوافيري، كامل، **ديوان عبد الرحيم محمود**، دار العودة، بيروت،1999 م، ص28.

[7] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص798.

[8] انظر: السوافيري، كامل، **أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة**، ط3، دار المعارف،2000 م، ص152، من رسالة خاصة بعث بها برهان الدين العبوشي إلى الدكتور كامل السوافيري.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ظل الاحتلال وفضل الرحيل إلى المهجر، ومن هذه النقطة بدأت رحلة التشتت والتشرد نتيجة المأساة التي حلت بالوطن، فطوف في البلدان العربية المجاورة، فرحل إلى لبنان، وهناك طبع مسرحيته الشعرية "شبح الأندلس"[1]، ثم انتقل إلى العراق نهائيا عام1949م وعمل هناك مدرِّسا للغة العربية، تنقل خلال عمله هناك، في مدن العراق المختلفة، فقد عمل في سامراء والحلة والديوانية والنجف، واستقر به المقام أخيرا في بغداد، حيث أحيل إلى التقاعد عام 1972م.

حصل العبوشي على الجنسية العراقيّة في العهد الملكي، عام 1951م بمساعدة عدد من رجالات السياسة الوطنيين، وتزوج من فتاة عراقيّة، عام 1952م، من عائلة آل الحافظ، من مدينة الموصل العراقية، وكان عمره أربعين سنة، فرزقه الله بولدين هما سماك وحسن.

منحه الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات – أبو عمار– عام 1991م وسام القدس للثقافة والآداب والفنون، وذلك تقديراً لإسهامه الإبداعي في مسيرة الثقافة الوطنية الفلسطينية، بحضور عدد من الشخصيات الثقافية والوطنية الفلسطينية والعراقية، وبتاريخ 2/8/ 1995م لبّى نداء ربه، وأسلم روحه لبارئها، ودفن في مقبرة الشيخ معروف في الكرخ ببغداد[2].

يعدّ برهان الدين العبوشي من شعراء فلسطين المميزين– المخضرمين– فقد واكب حياة بلاده من أواخر العصر العثماني، إلى الانتداب البريطاني، إلى أن حلّت كارثة فلسطين، وما بعدها، عاصر الأحداث، واشترك فيها، وتقلب معها "وهو شاعر مجاهد، سخّر شعره لخدمة أمته وبلاده، وتقلد بندقيته، وخاض المعارك، ضد الجيش البريطاني والعصابات الصهيونية، وأبلى في الدفاع عن فلسطين أحسن البلاء"[3].

المبحث الثالث: طفولته الشعرية

إن الظروف التي سبقت مولده ثم استمرت بعد ذلك في معظم فترات حياته هي بحد ذاتها ظروف النهضة الحديثة في فلسطين، فأواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين

---

[1] انظر: الخواجا، علي، **برهان الدين العبوشي**، ص4.

[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص799–800.

[3] السوافيري، كامل، **أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة**، ط3، دار المعارف،2000م، ص153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هي البذرة الحقيقية للنهضة الحديثة في فلسطين في ميدان الأدب "ولعلّ السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر تكون منطلق البداية في هذا الشأن..."[1].

في ظل هذه البيئة تفجّرت بواكير شاعرية برهان الدين العبوشي وهو فتى، في نهاية دراسته الابتدائية، ومنذ ذلك الحين، أولع بالشعر، وعاش له، فظل شعره ترجمة صادقة لإحساسه المرهف، وفكره الوطني، ونزعته القومية، وإنسانيته الخيرة، وأول عهده بالشعر كان في سن السادسة عشرة من عمره، ويذكر العبوشي في مذكراته أنه نظم الشعر أول ما نظمه إثر زلزال نابلس عام 1927م، ومن شعره في طفولته قوله:

الكامل

أحمامـــة الـــوادي إلـــيّ تعـــالي وترنّحـــي نشـــوى هـــوى بـــدلال
وتلطّفـــي فـــوق الغصـــون ورجّعـــي وترنّحـــــي بعذوبـــــة وجـــــلال[2]

ولنظمه الشعر مبكرا أسباب كثيرة منها؛ عشقه وولعه بلغته، مصدر الفخر والعزة عنده، فقد كان تلميذا متميزا مبدعا، طوال فترة دراسته، هذا إضافة إلى اهتمام المعلمين في المدارس بالطلاب عامة، وبمن يجدون عنده الإبداع والتميز خاصة، وكان العبوشي من هؤلاء المتميزين.

ومما أثّر فيه وجعله ينظم الشعر مبكرا، وأقرّ في فؤاده حب لغته وبلاده، ومآثر أجداده، قراءة والده القرآن كل صباح، ومرافقته لوالده في كل صلاة إلى المسجد، وخاصة صلاة الفجر، وزاد من عشقه للغته والدُه، الذي كان يسهر مع بعض الأصدقاء، فيتسامرون على قراءة السيرة الحلبية، وغزوات الرسول- صلى الله عليه وسلم- وعلي بن أبي طالب، وقصص عنترة العبسي، وقد كان للعبوشي ولع منقطع النظير بكتاب نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- وديوان الحماسة، لأبي تمام، وكتاب فتوح البلدان، وتغريبة بني هلال[3]، كل ذلك أثر فيه منذ طفولته، وهو في الابتدائية، وبفضل هذه المرحلة تأسست شخصية العبوشي وصُقلت.

---

[1] ياغي، عبد الرحمن، **حياة الأدب الفلسطيني الحديث، من أول النهضة حتى النكبة**، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1968م، ص28.

[2] **فارس السيف والقلم-الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص625.

[3] **نفسه**، ص629.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما أذكى لهيب الشعر عنده، حرمانه من الدراسة بعد الابتدائية، لمدة عام، لضيق ذات اليد عند والده– محصول تلك السنة لم يكن وفيرا– فسار الشاعر بين الجبال والوديان، يخاطب الحجر والشجر، ويرى السماء والأرض والنجوم والناس والحياة، على غير الصورة التي كان يراها وهو تلميذ ينعم بالدراسة، فهجر الناس، واتخذ مسارح لهوه بين الجبال والوديان، يخاطب بملء صوته بلاده وأمته، وينذر المستعمرين بالويل والثبور، ويلتهم كتاب نهج البلاغة، ودواوين الشعر المختلفة، ما وجه حياته وجهة ثورية وطنية عربية شعبية عادلة.[1]

لقد سيطر شيطان الشعر على العبوشي منذ صغره، مع جهله بالأوزان والقوافي" لقد سيطر عليّ الشعر، وكنت حين يأتيني شيطان الشعر، أتمنى الانفراد، ويتملكني الشعور، وأسبح في الخيال، أذرع الغرفة مقفلة عليّ، وأردد ما أنظمه بصوت عالٍ، كأنني في حال جنون، فأغضب بالقوافي على المستعمرين والمتخاذلين... وكثيرا ما كنت أفرّ إلى الجبل الشرقي في جنين، أقف على الصخر منفردا، أردد الشعر وأكتبه، إلى أن تهمد نار صدري"[2]، ومن نظمه الشعر تلميذا قوله:

الطويل

سهرت وكم في الليل من عاشق صدى أناجي نجوم الليل والسقم رائدي
وأشكو الذي في القلب للبدر والسهى لعل السهى حان عليّ ومنجدي[3]

ومن أوائل عهده بالشعر كذلك قوله عندما وصل إلى مدينة صفد، ليسجل في مدرسة سمبل الأجنبية، بعد انقطاع عن الدراسة لمدة عام، فرحا بالعودة إلى مقاعد الدراسة عام1928م:

الطويل

بانت لنا صفد وبانت ضواحيها وبانت لنا بدرا وبانت لآليها[4]

---

[1] **فارس السيف والقلم–الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص631.
[2] **نفسه**، ص632.
[3] **نفسه**، ص625 – 626.
[4] **نفسه**، ص634.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: منزلته الشعرية وموقعه بين شعراء عصره

إن الشعر هو النافذة التي أطل منها برهان الدين العبوشي على هذه الحياة، فقد تفجرت بواكير شاعريته وهو فتى في نهاية دراسته الابتدائية، ومنذ ذلك الحين أولع بالشعر وعاش له، فجاء شعره ترجمة صادقة لحقبة زمنية صعبة، مرت بها فلسطين، ولا أبالغ إن قلت: إن الباحث أو المؤرخ، يستطيع من خلال أشعاره، ومسرحياته، ومذكراته، أن يؤرخ لكثير من الأحداث السياسية والاجتماعية في فلسطين.

فقد "كان الشعراء الشباب طليعة هذا الجيل الذي أخذ يتلمس طريقه إلى أنوار الأمل من خلال ظلام حالك أسدلت بريطانيا أستاره على الوطن، بتعاونها مع الصهيونية، فكان لمثقفي هذا الجيل دور مهم في الثورة التي شملت البلاد كلها، فقد شارك الكثيرون منهم في حمل السلاح، وفي الخروج إلى الجبال إعلانا للتمرد والثورة على الانتداب، وحمل الشعراء من هؤلاء المثقفين المهمة الصعبة نورا يهدي ونارا تتلظى، وأدّى بعضهم بالمزاوجة بين الكلمة والسلاح دور المثقف الثوري الحقيقي، فكانوا صورة صادقة للوجدان الفلسطيني المقاوم لآمال شعبهم ومطامعه"[1]، فشعر هؤلاء الشعراء ومنهم برهان الدين العبوشي" لم يكن إلا أداة من أدوات العمل السياسي الثوري، وكانوا جميعا تعبيرا عن الوجدان الشعبي المقاتل وتجسيدا له"[2].

مجزوء الكامل

يـــا مـــوت مـــاذا تنتظـــر ... يـــا شـــعب مالـــك تحتضـــر
قـــم ســـر فمثلـــك لا يمـــوت ... وإن طغـــى فيـــه الأشـــر
يـــا شـــعب قـــد آن الأوان ... فسِـــر وطالـــب قُـــم وثُـــر[3]

لقد "عني كثير من الباحثين بدراسة النهضة الأدبية الحديثة، في البلاد العربية، وتتبعوا أسبابها ودواعيها وروافدها واتجاهاتها، تتبعا فيه قدر وافر من التحري والاستقصاء، وصدرت

---

[1] محمود، حسني، **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، عمان، ج1، 1984، ص149-150.

[2] النقاش، رجاء، **محمود درويش شاعر الأرض المحتلة**، ط2، دار الهلال، القاهرة، 1971 ، ص72.

[3] **فارس السيف والقلم-الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص155.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهم كتب متعددة، وأبحاث متفرقة، تتناول الموضوع من جوانبه المختلفة، حتى أصبح العصر الحديث مبسوطا أمام القارئ، وإن بقيت بعض أجزائه مجالا لمن يريد الزيادة في البحث، والتعمق في التخصص، وكان حظ مصر ولبنان، من تلك الدراسة أوفر الحظوظ، ثم تتلوها العراق وسورية، ولكن من تمام المنهج العلمي السليم، أن يوجه الباحثون بعض عنايتهم إلى غيرها من البلاد العربية، ليكشفوا عن وجهها الأدبي في العصر الحديث، حتى تتم صورة الحياة الأدبية في نهضتنا الحديثة، في الوطن العربي كله... وجنوب بلاد الشام – الأردن وفلسطين– من هذه المجاهل التي لم يرقها السالكون، فبقيت مغلقة على نفسها، لا يكاد يعرف أحد عنها شيئا، حتى كادت حلقتها أن تسقط من سلسلة تاريخنا الأدبي"[1].

إنّ أي دراسة لنشأة الشعر الفلسطيني وتطوره، وتتبع أهم شعرائه، تستلزم من صاحبها أن يعود إلى رأس النبع، إلى البدايات التي أسس عليها الشعراء اللاحقون قصائدهم، فالشعر الفلسطيني المعاصر أخذ يتشكل في مرحلة نهايات الحكم العثماني لبلاد الشام، مرورا بالانتداب البريطاني، وصولا إلى نكبات فلسطين المتلاحقة، وما تبع ذلك، وإذا أردت أن أحدد أعلام الشعر في مرحلة البدايات سيبرز إلى الواجهة عدد لا بأس به من الشعراء منهم: يوسف النبهاني، وسليمان التاجي الفاروقي، وإبراهيم طوقان، وعبد الكريم الكرمي، وعبد الرحيم محمود، وبرهان الدين العبوشي، ومحمد العدناني، وغيرهم، فهؤلاء الشعراء يُعدّون من الشعراء المخضرمين، الذين عاشوا فترات مختلفة من الاحتلال بداية بنهايات الحكم العثماني مرورا بالانتداب البريطاني وصول إلى الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

وقد تشكلت ملامح خاصة للشعر الفلسطيني على أيدي هؤلاء الشعراء، تميزه عن غيره، فقد طرق شعراء فلسطين مواضيع تخص "السمسار، وبائع الأرض، والعميل والمتعاون مع الاستعمار، والخلافات الناشبة بين الزعماء... وأبرزوا التهافت على المناصب"[2].

---

[1] الأسد، ناصر الدين، **محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن**، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربي العالية،1961م، ص7–8.

[2] عباس، إحسان: **الشعر في فلسطين حتى العام1967**، الموسوعة الفلسطينية، مج4، القسم الثاني، دمشق، 1990، ص 21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول أبو سلمى- عبد الكريم الكرمي- :"كان الشعر الفلسطيني في بدء الانتداب البريطاني، امتدادا للشعر الفلسطيني في أواخر زمن الدولة العثمانية، والشعراء الذين قاوموا السيطرة العثمانية، هم الذين قاوموا الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية، بأصوات شعرية تقليدية" [1].

إن الاحتلال فجّر ينابيع الإلهام الشعري عند العبوشي، الذي يعدّ من شعراء فلسطين المؤسسين لشعر المقاومة، وهو حلقة ضمن سلسلة الشعراء المقاومين، بل يفوقهم، فهو فارس السيف والكلمة، دافع عن حياض قومه بسيفه ولسانه "والشعر قبل ذلك وبعده كان ميدان رواد الأدب، يلوذون إلى قافيات قصائدهم، ليترجموا ما زفرت به قلوبهم، من القيم والمبادئ والميول والاتجاهات، فتراهم يحللون الواقع إلى نسيج شعري فياض، ويبرزون الوقائع والأحداث كلّ بأسلوبه، وهم بذلك يُخرجون إلى النور تراثا جديدا، ومدّا يربط الماضي بالحاضر، ليستشرف من خلاله المستقبل"[2].

ونحن اليوم إذ نقف أمام عطاء هذا الشاعر الكبير، فنقرأ من خلال أشعاره أحداث التاريخ، فقد أبدع العبوشي القصيد في شتى الموضوعات؛ الوطنية والقومية والسياسية والاجتماعية، وعبر بشعره عن خواطر نفسه، وهمسات روحه، ونبضات قلبه، كما عبر عن آلام بلاده، وآمال أمته.

وقد جاءت قصائده منسجمة مع الواقع الثقافي، فغالبية الشعب لم تكن مثقفة أو متعلمة، وتنتمي إلى فئة الفلاحين والعمال، وهؤلاء ليسوا قادرين على فهم رمزية القصيدة، لذلك امتازت معظم قصائده بالواقعية والبساطة والوضوح، وهذا ينسجم مع الهدف الذي وضعه العبوشي نصب عينيه، وهو توعية الشعب لما يحاك له من مؤامرات، والوقوف صفا متراصا في وجه جميع المؤامرات التي تحاك من الشرق والغرب.

---

[1] خلف، علي حسين، **أبو سلمى زيتونة فلسطين**، منشورات الأسوار، عكا، ط1، د.ت، ص9-10.

[2] أبو منشار، نزار نبيل، **الظاهرة الشعرية في فلسطين وأثر الاحتلال عليها**،2003م، د.ن، ص13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"والشعر وليد المعاناة، وهو لا يعدو أن يكون تعويضا لانعدام التوازن في حياة مبدعه الخاصة أو العامة، لذا فان كثيرا من الشعراء، ارتبط نشاطهم الفني بطبيعة الواقع الذي يعيشون فيه، وعمق التجربة التي يمرون بها"[1].

هل نتحدث هنا عن المناضل برهان الدين العبوشي؟ أم عن الشاعر برهان الدين العبوشي؟ أم الأديب المسرحي برهان الدين العبوشي؟ الذي أسهم في إثراء أدب المقاومة في المكتبة العربية عامة، والأدب الفلسطيني خاصة، يصعب الفصل بين العبوشي مناضلا وشاعرا وكاتبا مسرحيا، حتى لتبدو رحلة حياته معبأة بالشعر المفعم بالمقاومة، والمقاومة المعبأة بروح الشاعر[2].

"لقد كان للشعراء الشباب فضل كبير في التوجيه السياسي، والاجتماعي، فقد هاجموا الاستعمار، أساس الداء، وأصل البلاء، وطالبوا بالاعتماد على الشعب وحده في تحقيق أهدافه، وأيدوا الحركات العمالية الناشئة، ودافعوا بالكلمة عن المثل العليا، وعن الحرية، والديمقراطية، وحاربوا الزعامات الزائفة، والمشبوهة...ساروا مع شعبهم، وسجلوا كل خفقاته، وتطلعاته"[3]، والعبوشي يعد أحد أبرز هؤلاء الشعراء الشباب، فقد انبرى مدافعا عن حمى وطنه بالسيف والقلم، وكرّس شعره صوتا صافيا، ومخلصا لقضايا وطنه وأمته "فشعره ترجمان صادق لما يضطرم في جوانحه، شعره وطني قومي، يحرض على الجهاد، ويوقظ النيام، يبصر قومه لما يحاك ضدهم من مؤامرات، ويدعو العرب والمسلمين إلى وحدة الصف، ورأب الصدع، واجتماع الكلمة، ويحذر من الفرقة" [4].

كافح العبوشي الاستعمار الإنجليزي منذ صغره، وناصر الشيخ عز الدين القسام في ثورته، وأمضى جل عمره ينظم الشعر في أحداث وطنه، ويهيب ببني وطنه للمصير الذي كانوا

---

[1] فيشر، أرنست، **ضرورة الفن**، ترجمة اسعد حليم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية،1971م، ص7.

[2] انظر: نجم، السيد، **العبوشي أديبا ومناضلا**، مقالة بتاريخ:2008/8/18م،www.middle-east-online.com.

[3] خلف، علي حسين، **أبو سلمى زيتونة فلسطين**، منشورات الأسوار، عكا، ط1، د.ت، ص10.

[4] **أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة**، ص153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدفعون إليه، ولم يترك مناسبة دون أن يسمع بني قومه صوته، فكان أحد الشعراء الخطباء المعلمين، الذين تحتاج إليهم الأمة"[1].

"يعدّ العبوشي بحق من أهم شعراء مرحلته، فقد جمع في شعره كل سمات المرحلة، فشعره صوت للحكمة والواقع والضمير، وصوت للقوة والغضب والثورة، يدعو للثورة ويخوض غمارها بنفسه، وشعره صوت للألم والمرارة والأسى تظهر فيه نبوءته أمام أمته وشعبه، وشعره صوت السخرية والتهكم على الزعماء والحكام العرب، فنراه ينبذهم ويفضح مواقعهم وتخاذلهم، لقد جسد بحق دور المثقف الثائر الحقيقي"[2]، كما يعدّ برهان الدين العبوشي رابع أربعة من الشعراء الفلسطينيين، الذين ولدت على أيديهم قصيدة المقاومة الفلسطينية؛ إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وعبد الكريم الكرمي،[3]"وقد عرف العبوشي بثقافته التراثية الدينية، وكان كاتبا، وشاعرا، ومسرحيا، وذا مواقف وطنية"[4].

---

[1] انظر: **شعراء فلسطين في العصر الحديث**، ص73.

[2] محمود، حسني، **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، عمان، ج1، 1984م، ص155.

[3] انظر: عودة، هشام، **صفحات مطوية من حياة الشاعر برهان الدين العبوشي**، مجلة بلسم، عـــدد 306، كـــانون الأول، 2000م، ص85.

[4] الهواري، عرفان سعيد أبو حمد، **أعلام من أرض السلام**، شركة الأبحاث العلمية، حيفا، 1979م، ص88.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جدول بمحتوى الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي

ت	عنوان العمل الأدبي	صنفه	جهة الإصدار	تاريخ الإصدار
1	جبل النار	ديوان شعري	مطبعة الشركة الإسلامية / بغداد	1956
2	النيازك		مطبعة دار البصري / بغداد	1967
3	إلى متى		مطبعة المعارف / بغداد	1972
4	جنود السماء		الكويت / لجنة إحياء التراث الأدبي الفلسطيني	1985
5	وطن الشهيد	مسرحية شعرية	المطبعة الاقتصادية/ القدس	1947
6	شبح الأندلس		مطبعة دار الكشاف/ بيروت	1949
7	عرب القادسية		مطبعة المعارف/ بغداد	1951
8	الفداء		مطبعة البصري / بغداد	1968
9	من السفح إلى الوادي ألبي صوت أجدادي	مذكرات شخصية نثرية	مطبعة الأمة / بغداد	1980
10	فارس السيف والقلم	الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي	مؤسسة فلسطين للثقافة دمشق/ مجلد من 818 صفحة صدر بمناسبة الحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية 2009م.	2009

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الاتجاهات الشعرية

عند برهان الدين العبوشي

تمهيد

المبحث الأول: الشعر الوطني

المبحث الثاني: الشعر القومي

المبحث الثالث: الشعر الاجتماعي

المبحث الرابع: الشعر الديني

المبحث الخامس: شعر النكاية

المبحث السادس: شعر السخرية والدعابة

المبحث السابع: الغربة والحنين للوطن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

للشعراء منازل مرتفعة بين شعوبهم، لأنّهم لسانها المعبر عنها في الحرب والسلم، وفي الحزن والفرح، وفي الضيق والشّدة على السواء، ذلك الارتباط الوثيق يسمى التزاما. فعند اليونان مثلا "تحدث أفلاطون عن توجيه الفن، وطالب الشعراء بلون من الالتزام، وحثهم على أن تكون أناشيدهم تمجيدا للبطولة، وحثا على الولاء"[1]، أما عند العرب قبل الإسلام فيعدّ نبوغ شاعر في القبيلة من أعظم مظاهر الفرح والسرور، لأنه سيف القبيلة المشرع في وجه كل عدو، والمدافع عنها بقصائده "فارتفعت مكانة الشاعر من مطلق الفردية البشرية إلى شيء من البطولة"[2]، فظاهرة الالتزام ليست ظاهرة وليدة اليوم.

وفي العصر الحديث شغلت قضية فلسطين العالم كله، والمتتبع لحياة برهان الدين العبوشي يجد أنه قد وعى أسّ المشكلة، وأدرك تجلياتها، ورأى شعبه يقتل ويشرد ويعذب ويهان، رأى المذابح، وشهد على طرد الفلاحين من أرضهم عنوة، بقوة السلاح، ولمح الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والوطنية، فكان نتاجه الشعري ملتزما بقضايا شعبه وأمته، يقول العبوشي:

الطويل

بلادي فؤادي فانظروا كيف ضرّســوا فؤادي لأبقى في الحياة بــلا قلــب
بلادي عيني فانظروا كيــف أظّلمــوا ضياها فلا شرقي أميز من غربــي
بلادي لساني فانظروا كيف ألجمــوا لساني فلا أبدي اللواعج من كربــي
بلادي كياني فانظروا كيــف مزقــوا كياني لأبقى في الحياة بــلا ثــوب
بلادي حياتي فانظروا كيــف نكّــدوا حياتي فلا أكلــي يلــذّ ولا شــربي
فلسطين من حيفا إلى النهر مــوطني يجنّ بها عقلي ويخفرهــا حبّــي[3]

---

[1] عبد الصبور، صلاح، **حياتي في شعري**، مجلد3، بيروت، دار العودة، 1977م، ص111.

[2] الطيب، عبد الله، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ط1، دار الفكر، بيروت، 1970م، ج3، ص880.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص250.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وهكذا نجد أنّ العبوشي شاعر التزم بقضية بلاده، فجاء شعره سجلا واعيا، صور كفاح الشعب الفلسطيني خلال فترة الانتداب ونكبته بالصهيونية،... وشعره ثوري عاطفي في جملته، حافل بموضوعات التوجيه والتوعية والنقد الوطني اللاذع"[1].

وتبرز في شعر برهان الدين العبوشي ظاهرة الالتزام، ذلك أن الالتزام في الشعر لا يعني ارتباط الأديب بقضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وإنما يتمثل الالتزام بالموقف الذي يتبناه الأديب من القضايا المختلفة "وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا، واستعدادا من المفكر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائما، ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام، من هنا كان الالتزام مرتبطا بالعقيدة منبثقا من شدة الإيمان بها، صادرا من جميع أشكاله وأحواله عن أيديولوجية معينة يدين بها المفكر الملتزم"[2].

لقد تعددت الموضوعات الشعرية التي طرقها العبوشي في أعماله الكاملة، فقد نظم الشعر الوطني والقومي، كما نظم الشعر الاجتماعي والتاريخي والديني، من منطلق التزام الشاعر بقضايا وطنه وأمته، ولسيطرة هذه الموضوعات على شعر العبوشي، فإنني رأيت أن أدرسها منفردة لبيان مدى تأثر الشاعر بقضايا وطنه وأمته، وقد جاءت هذه الموضوعات كما يلي:

1. شعره الوطني. 2. شعره القومي. 3. شعره الاجتماعي. 4. شعره الديني.
5. شعر النكاية. 6. السخرية والدعابة. 8. الغربة والحنين.

لقد استلهم برهان الدين العبوشي موضوعاته الشعرية من "أحاسيسه ومشاعره، ومن واقع فلسطين المؤلم، واضطراب حياتها، وجهاد أبنائها، وخوضهم المعركة ضد عدوين جبارين كانا يسومان البلاد والعباد سوء العذاب: الانتداب البريطاني بجيوشه وعتاده، والعصابات الصهيونية بغطرستها ونفوذها وأهدافها العدائية، ومن ظروف البلاد التعسة، وافتقارها إلى

---

[1] الكيالي، عبد الرحمن، **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص137.

[2] أبو حاقة، أحمد، **الالتزام في الشعر العربي**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ص14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزعامة الحكيمة، وافتقارها للتنظيم والوحدة القومية، والتضامن والإخاء والبذل والتضحية وكل ما يتصل بالوطن والذود عن حماه"[1]، لذلك تعددت موضوعاته بين الوطنية والقومية والاجتماعية...

المبحث الأول: الشعر الوطني

عند الحديث عن الوطنية في شعر برهان الدين العبوشي لا بد من تناول القصائد التي تغنى فيها بحب وطنه، وسهوله وجباله، وأوديته وهضابه، وأشجاره وأزهاره، فقد "تغنى الشعر الفلسطيني بحب الوطن ومغانيه، بالربا والوهاد، والجبال والشعاب، بالحدائق الفيح والكروم وأشجار الزيتون، وبالمحافظة عليه والذود عن حماه، وافتدائه بالمهج والأرواح، ومن ثم مجّد الشعر الفلسطيني البذل والتضحية، وخلد الأبطال والشهداء الذين قدّموا أرواحهم فداء لبلادهم"[2].

يعدّ الوطن المحور الأساس الذي يقوم عليه شعر العبوشي "وقد يضيق مفهوم الوطنية أو يتسع في الرقعة والمكان، فيرتبط أحيانا بمسقط الرأس أو الوطن الذي ينتسب إليه المواطن، ويتفتح أحيانا على العالم كله، ليكتسب طابع الإنسانية في معناها الواسع العريض، وكثيرا ما يربط بعضهم معنى الوطنية بمفهوم عرقي أو عقائدي، كالوطن العربي أو الوطن الإسلامي"[3].

وقد أحب العبوشي وطنه حبا جما، وجاهد في سبيل الدفاع عن وطنه بالكلمة والنفس، وكرس حياته ثائرا على الاستعمار وأذنابه، والصهيونية ومعاونيها، كل ذلك لإعلاء كلمة الحق، ورفع شأن الوطن.

"فالأرض بالنسبة للإنسان الفلسطيني تشكل هويته وانتماءه، وليس مجرد تلك الرقعة المكانية التي

---

[1] **السوافيري، كامل، الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص106-107.

[2] **نفسه**، ص107.

[3] الهادفي، إبراهيم، **معاني التجاوز في شعر الشابي**، الدار التونسية للنشر، تونس،1984م، ص128.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعيش عليها، حيث يمتزج الوطن بمفهوم النضال السياسي، والشعراء الفلسطينيون كأناس اكتمل لديهم قدر من الوعي السياسي، لم تغب صورة الوطن عن موضع الصدارة في قصائدهم"[1].

المطلب الأول: حب الوطن

لقد تفانى العبوشي في حب بلاده والذود عن حماها، فلم يدع مناسبة تمر، أو حادثة تجري دون أن يبث شجونه الشعرية، يسجل كفاحها ويصور آلامها، حينا بشعره، وحينا بدمه، فحق له أن يوصف "شاعر السيف والقلم"، قاوم بالكلمة، فنظم الأشعار الوطنية الحماسية التي تحث على ردع المحتلين، وسحق المتعاونين، "وقاوم بالسيف، فشارك في الكثير من المعارك وفي مقدمتها معركة جنين، جنبا إلى جنب مع إخوانه من أبناء الجيش العراقي، وأصيب في كتفه إصابات بالغة"[2]، يقول العبوشي في عشقه لموطنه فلسطين:

الكامل

الناس تعشــق فــي الحيــاة حبيبــة وحبيبتــي الأولــى هــي الأوطــان[3]

ويقول العبوشي في موضع آخر من الأعمال الكاملة في حب وطنه، والتغني بروعته:

الكامل

مــرّغ جبينــك فــي طهــور ترابــه واســجد فــإن الله فــي محرابــه
وامــشِ الهــوينى خاشــعا متصــدعا فلقــد مشــيت علــى رفــات عرابــه
واحــبس لســانك أن تقــول ســفاهة فــالبر والتهــذيب مــن آدابــه
واخفض جنــاح الــذلّ للــوطن الــذي روّاك مــن أكوابــه ورضــابه[4]

يضفي العبوشي على الوطن نوعا من القدسية، فترابه نعم الطهور، وهو مجبول بدماء الشهداء قديما وحديثا، وعلى المرء أن يحبس لسانه عن السفاهة في حضرته. ثم يصف جمال الوطن وحسنه وبهاءه فيقول:

---

[1] جعيد، عبد الرحمن علي عبد الرحمن، **علي الخليلي أديبا**، إشراف الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة، 2006م، جامعة النجاح الوطنية، ص26.

[2] **أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة**، ص152.

[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص39.

[4] **نفسه**، ص50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

وطنـــي بـــه كـــلّ الجمـــال فحيثمـــا تتوجهـــوا تجـــدوا البهـــا يتجسّـــد
إنّ الـــذي خلـــق الجمـــال لمـــوقن أنّـــي لعابـــده بـــه ومخلـــد[1]

ومن قصيدة نظمها على فراش المرض بالقدس- وكان موظفا في البنك الزراعي العربي عام 1935م- يقول:

الخفيف

مـــا تكلفـــت فـــي ســـبيلك شَـــيّا غيـــر دمـــع ســـكبت مـــن مقلتيـــا
يـــا بـــلادا عشـــقت فيهـــا المعـــالي والمعـــالي أحـــبّ شـــيء إليّـــا
هـــاك روحـــي ومهجتـــي وفـــؤادي فاقبليهـــا فمـــا تعـــزّ عَلَيـــا[2]

يقدم العبوشي روحه على طبق من ذهب فداءً لوطنه، فما يعبأ بالمصاعب والمتاعب، والجهد والعرق، اللذين يبذلهما في سبيل الوطن:

المتقارب

بـــلادي إليـــك العـــذاب المـــذاب بصـــفحة عمـــري وهـــذا الكتـــاب
فأنـــت الحيـــاة وأنـــت الممـــات وأنـــت الطعـــام وأنـــت الشـــراب
وقفنـــا لأجلـــك لا ننحنـــي لغيـــر جلالـــك فـــوق التـــراب
ســـتعلو بنـــودك فـــوق البنـــود وتشـــرق شمســـك بعـــد الغيـــاب[3]

"وبرهان الذي هدّت أرزاء الوطن قوته، فوهن صوته الجهوري، وشابته شوائب الحزن والأسى، يستمدها من نكبات الفلاحين من سكان قرى مرج ابن عامر، ووادي الحوارث، الذين طردوا من أرضهم وقراهم بعد أن باعها مُلّاكها البعيدون في الخارج... ونحسّ لدى العبوشي باللوعة الصادقة، والعاطفة التي يشجيها الحزن وهو يخاطب المرج معتزا بتاريخه، ومفتخرا

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص233.
[2] **نفسه**: ص129-130.
[3] **نفسه**، ص425.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بأمجاده... إنه بعاطفته يثير في الناس شعور الاعتصام بالوطن، والتمسك بالأرض الباقية، من خلال الهموم والكآبة التي تسيل في النفس"[1]:

البسيط

مرج ابـن عـامر باعـت مجـدك العـرب ... واستأسـد الغـرب والشـرقي يحتـرب
قد كنـت بـالأمس فخـرا مـن مفاخرنـا ... وسـاحة فيـك يجـري العـز والغلـب
يبيعـه العـرب لا قلـب لبائعـه ... وإنّمـا همّـه أن يكنـز الـذهب
يا مـرج[2] مـا لَـكَ تجـري فيـك قافلـة ... مـن الشـقاء وذا واديـك ينتحـب
كـأن روضـك لـلأزراء منتـزه ... وللعـذاب غـدير فيـك ينسـكب[3]

فلسطين عشقه، وروحه ونبضه، فقد أحبّ ذكرها ووصفها في كل ميدان من ميادين شعره، فكلما لاحت الفرصة لذكرها كان لا يبخل، بل يسهب في وصف محاسنها ومفاتنها، ولا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من ذكر موطنه فلسطين:

الكامل

للناصـري[4] مدينـة غـرّاء ... شـاع الهـدى فيهـا وشَـعّ ضـياء
وكأنّمـا هـي روضـة مـن جنّـة ... رقّـت خمائلهـا وسـال المـاء
تسـبيك إن سـجعت بلابـل أيكهـا ... وتثيـر دمعـك إن بكـت ورقـاء
طـاف المسـيح بهـا يـذيع رسـالة ... تحيـا بهـا الأمـوات والأحيـاء
يا أرض أُمّـي يـا فلسـطين اسـلمي ... أيضـيع فيـك المهـد والإسـراء[5]

"وليس من الشعراء أحد لم يجد من الواجب عليه أن يقول شعرا في الوطنية، حتى امتلأت الصحف بأشعارهم، وامتلأت الدواوين بأناشيدهم، فكانوا لسان الثورة الناطق، حتى كان

---

[1] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**،ج1، ص110.

[2] هذا المرج تقع على أطرافه مدن حيفا، وبيسان، وجنين، وقد باعه آل سرسق لليهود وآل سرسق هم صيارفة وإقطاعيون لبنانيون كانوا يملكون أجزاء كبيرة من سهل مرج ابن عامر، القصيدة نشرت لأول مرة في جريدة الدفاع اليافية عام 1933م.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص46.

[4] نسبة إلى مدينة الناصرة شمال فلسطين.

[5] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي** ، ص53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعر في هذه المرحلة أغلب من النثر... وهكذا طلعت علينا في هذه المرحلة مجموعة من شعراء الوطنية، ولكنهم مضوا في السبيل التقليدي ذي الأوصاف التقريرية"[1].

بل يصل العبوشي في عشقه لوطنه أن يشبّه تراب الأرض بقطرات من دمه، ويشبّه صخور الأرض بعظامه:

الكامل

الأرض أرض أبـــي وجـــدّي قبلـــه والرَبْـــعُ لا يرضـــى بغيـــر حُماتـــه
فـــالأرض مـــن دمنـــا وإن صـــخوره مـــن عظمنـــا وحياتنـــا لحياتـــه[2]

المطلب الثاني: تمجيد البطولة ورثاء الأبطال

"لقد وجب علينا أن نمجد الشهيد ونرفع رايته فوق كل راية، فالشهادة في العروبة والإسلام أعظم غاية، وهي مثلها الأعلى، ولقد آن لنا أن نعطي كل مجاهد حقه مادامت عروبتنا من مبادئها العدل والوفاء"[3].

إن القارئ المتفحص لأشعار العبوشي يجده تارة يمجد البطولة، وتارة يندد بالزعامات والأحزاب الزائفة التي تعمل ليل نهار ضد مصالح الوطن، فمنذ أن تفتحت عيناه، رأى المصائب والمؤامرات التي تحاك ليل نهار ضد وطنه وأمته، فالشاعر يعيش أزمات وطنه أمام عينيه، ويهيب ببني قومه أن يقفوا صفا واحدا مرصوصا للدفاع عن حمى الوطن، ويمجد البطولة بشتى أنواعها، يقول العبوشي:

الهزج

وثـــائر ســـيفه مـــا زال مســـلولا يقـــارع الخصـــم أو يرديـــه مقتـــولا
تـــراه كالجبـــل الراســـي وقـــد ســـقطت مـــن حولـــه النـــار لا يرتـــدّ مخـــذولا
لحافـــه القبّـــة الزرقـــا ومضـــجعه فـــوق التـــراب وقـــد ألقـــاه مجبـــولا
وقـــرّ معتصـــما فـــي جـــوف خندقـــه بـــالله لا يرتضـــي إلاّه مســـؤولا

---

[1] **حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة**، ص252.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص318.

[3] **نفسه**، ص333.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقـــيم ليلتـــه يقظـــان تحســـبه في خنـــدق المـــوت عـــن دنيـــاه مشـــغولا[1]

إنّ العبوشي يتخير من الصفات ما يضفي على البطل صورة ملائكية، فالأبطال الذين يصفهم – من شهداء الجيش العراقي الذي شارك في حرب جنين الكبرى عام 1948– لهم أجنحة، سرعتهم كالبرق، بل هم ملائكة الموت إن ساروا باتجاه معين نزعوا أرواح الأعداء في ذلك الاتجاه، ولا يعرف الخوف طريقه إلى قلوبهم، ويشير إلى قلة عددهم مع أن النصرة والتمكين ملازمة لهم:

البسيط

فـــي حنـــدس الليـــل والأبطـــال تصـــطرع فـــي "تـــلّ خروبـــة" والحـــرب تنـــدلع
رأيـــت جنـــدا بهـــالات وأجنحـــة علـــى حديـــد ســـروا كـــالبرق واندفعوا
كـــأنهم ســـكرات المـــوت قـــد وثبـــوا علـــى العـــداة فمـــا هـــابوا ومـــا فزعـــوا
وإنهـــم لثلاثـــون افتـــدوا بلـــدا حيـــال ســـبعة آلاف فمـــا جزعـــوا
فلـــم يهـــابوا نيـــوب الضـــبع أو يهنـــوا وهـــل تُخيـــف أســـودَ الغابـــة الضـــبعُ[2]

ثم يضيف العبوشي إن هؤلاء الأبطال شربوا من ماء العزّة، من ماء نهر دجلة، ليبين أن الوصف هنا للجيش العراقي، أما شباب فلسطين فإن دورهم يتجسد في المساندة لإخوانهم:

البسيط

ســـقتهم دجلـــة مـــن مائهـــا كرمـــا وأرضـــعتهم ونعـــم العـــز مـــا رضـــعوا
وقـــد ســـمعت تنـــاديهم فثـــار دمـــي وكنـــت فـــي خنـــدقي والصـــحب مجتمـــع
نرى السماء غـدت حمـراء مـن دمهـم وتلـــك شـــاراتهم فـــي الأفـــق ترتفـــع
كأنمـــا نشـــبت فـــي الأفـــق معركـــة بـــين الشـــياطين والأفـــلاك تصـــطنع[3]

ونرى العبوشي يركز في تمجيده للبطولة على دور شباب الريف الفلسطيني، فقد نشر قصيدة بعنوان "الشيخ منجد" وفاء لصاحبه البطل الشهيد منجد الحمدان، الذي قضى شهيدا بفعل

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص 312–313.
[2] **نفسه**، ص103.
[3] **نفسه**، ص103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعذيب الشرس الذي تعرض له على أيدي العصابات الصهيونية في معتقل مزرعة عكا في 1938-7-10:

الخفيف

ارفع الـرأس إن تـزر قبـر(منجـد) أجـدر النـاس بـالعلا المستشـهد
جـاد بـالنفس فـي سـبيل بـلاد عـاش فيهـا عـدوّها المسـتعبد
بـاع نفسـا فتيّـة لـيس يبغـي غيـر عِـزّ لأمـة تتكبّـد
عـذّبوه فمـا أقـرّ لـديهم علّقـوه فمـا وهـى و تجلّـد[1]

وكان لبطولة الشهيد "سعيد بك العاص" مكان في أشعار العبوشي، فالعبوشي يدعو فلسطين أن تفخر بأعمال سعيد العاص، فالعاص افتدى فلسطين بروحه أغلى ما يملك، وحق لفلسطين أن تفخر بمثل هذا البطل:

الخفيف

يـا فلسـطين فـافخري بسـعيد إنمـا الفخـر للـذي يفتـديك
قـارع الظلـم مثريـا و فقيـرا في لظى الحـرب مـا لـه مـن شـريك[2]

ثم يصف العبوشي حالة استعصى على الأعداء حل لغزها، ألا وهي الفدائي الفلسطيني الذي يقدم روحه على طبق من ذهب مفتديا وطنه، فالفدائي حالة فلسطينية وصفها معظم شعراء المقاومة، فهو عند العبوشي يسير مقنعا بلثامه، يتغلغل في صفوف الأعداء، لا يخاف في الله لومة لائم، يراوغ الحراس بذكاء، يزرع الألغام في طرق المستوطنين، فيختبؤون في الملاجئ كالفئران:

الكامل

ومقنّـع بلثامـه يـزن الخطـى فكأنّـه أمـل يغيـب ويشـرق
ينسـاب مثـل الصـلّ فـي فجواتهـا وعلـى قفـاه سـلاحه المتشـوّق

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص135.
[2] **نفسه**، ص131.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويـــــروغ عـــــن حراســـــه بذكائـــــه ... فكأنـــــه ســـــهم يطيـــــر ويمـــــرق
حتـــــى إذا بلـــــغ المكيـــــدة دسّـــــها ... لغمـــــا يثـــــور وقنبـــــرا يتفلـــــق
فتـــرى الـــدروع تطـــايرت وتـــرى الجنـــود ... تســـابقت والمـــوت فـــيهم أســـبق
يتهـــــافتون علـــــى الملاجـــــئ مثلمـــــا ... تتهافـــت الجـــرذان وهـــي تحملـــق[1]

المطلب الثالث: النقمة على السماسرة

السمسار هو الساعي للتوفيق بين أطراف الصفقات، لكن هذا المصطلح أخذ يدل على عمل قذر وصل إلى مستوى الخيانة الوطنية، فقد انكمشت دلالة السمسار في فلسطين لتدل على الشخص الذي يقوم بدور الوساطة في نقل الأرض إلى اليهود، سواء بالتوفيق بين الأطراف المعنية، أو بشراء الأرض وبيعها شخصيا لليهود، ثم تضخم هذا المصطلح ليشمل كل معاني الغدر والخيانة والخسة والعار[2].

لقد "كان امتلاك الأرض ركنا ضروريا لقيام العمران عليها، وقد تنبهت الصهيونية لذلك، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فجعلت تجمع الأموال لتشتري بها الأراضي وتقيم عليها المستعمرات والإنشاءات، وكان إغراؤها بالمال يتجه إلى كبار الإقطاعيين الذين يملكون مساحات واسعة من الأرض"[3]، وكان من أهم الصفقات التي استطاعت الحركة الصهيونية ربحها، صفقة شراء الجزء الأكبر من سهل مرج ابن عامر من آل سرسق – صيارفة لبنانيين– وهو "أخصب سهول فلسطين على الإطلاق من أحفلها بالأمجاد التاريخية والدينية"[4]، فانبرى العبوشي للتنبيه من خطر بيع الأرض للسماسرة، واصفا المستعمرات الصهيونية التي أخذت تنمو كالسرطان في جسد المرج يوما بعد يوم:

الكامل

لهفي علـــى بلـــد المســـيح وحسّـــرة ... فلقـــد أحـــاط بهـــا أذى وشـــقاء
انظـــر إلـــى المـــرج الفســـيح فكلـــه ... مســـــتعمرات أهلهـــــا دُخـــــلاء
لـــم تبـــق للعربـــي فيـــه بقيـــة ... إلا الشـــــعاب وبقعـــــة جـــــرداء

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص256.
[2] انظر: **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص110.
[3] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص84.
[4] **نفسه**، ص84.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيع المسيح وبيع قدس محمد بالمال وهو الحيّة الرقطاء[1]

"وكان موقف العرب إزاء تملك اليهود واستيطانهم، وجدهم في الإنشاء والعمل، خليطا من الذعر والسخط ... وتوقع الخطر الوشيك على الأوطان والأرزاق، وكان موقف اليهود مزيجا من الفرح والطمأنينة والشعور بالراحة والاستقرار وبلوغ الآمال"[2].

هذا هو حال اليهود بعد كل صفقة رابحة، يفرحون ويطمعون بالمزيد، على أيدي سماسرة الأرض، هذا ما جاء على لسان أحدهم كما صورها العبوشي بمسرحيته الشعرية (وطن الشهيد):

الرمل

قد وطئنا أرضهم في غفلة وغدا أعداؤنا عنا نيام
لم أجد ما كنت أخشى من أذى بل بنينا وامتلكنا بسلام
هذه العفّولة الأرض التي مرّ فيها فتّحهم من ألف عام
قد هدمنا دورهم في ليلة وحرثنا القبر فيها والعظام[3]

هكذا أخذ الصهاينة يستولون على أرض فلسطين شيئا فشيئا، يشترون الأرض بالأموال التي يجمعونها من الحركة الصهيونية العالمية، ومن أعوانهم في الشرق والغرب، فيفرحون ويمرحون، حصلوا على أفضل الأراضي، وطردوا أهلها إلى الصحاري المقفرة، إلى غياهب التشرد واللجوء، خارج فلسطين.

يقف العبوشي للسماسرة بالمرصاد، فيحذرهم من مغبة بيع الأرض لليهود، فنتائج ذلك عليهم ستكون الوبال في الدنيا والآخرة:

الكامل

واحذر عذاب الله لا تكن الذي باع الأمانة فاكتوى بعذابه
إن بعتها بعت السماحة والندى بعت الكرامة اينعت بجنابه

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص53-54.

[2] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص85.

[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص372.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسفا عليك خرجت عن سنن التقى ورضيت بالذّل المشين وعابه[1]

ثم يتعجب العبوشي من أولئك السماسرة الذين يبيعون تراب الوطن المجبول بدماء الشهداء العظام، فيصف السماسرة بالجنون:

الكامل

ولقد عجبت لمن يبيع ترابه الـ مجبول بالدم، ما جرى لصوابه!؟
هل جُنَّ يا ليت الجنون حليفه فأصون نفسي عن جنون عتابه
فمضى يسمسر تارة و يبيع ما ترك الغزاة الصيد من أحسابه[2]

ثم لم يكتف العبوشي بتحذير السماسرة من عواقب أعمالهم المخزية، بل صبَّ جامّ غضبه عليهم فوصفهم بأبناء الزنا وصفّاهم من الدم:

الكامل

أضحى يهدّمه بنوه فحسرة فكأنّما قد شيد للغربان
وكأنّما السمسار ليس به دم وكأنّما هو نطفة من زان[3]

ثم ينصح العبوشي ملاك الأرض والفلاحين بعدم بيع أرضهم وإن شعروا بالفقر والفاقة، فالأرض هي العرض، ولا تقدر بثمن:

الكامل

لا ترخصوا الأرض التي في قلبها رقدت جدودكم بنو قحطان
إن ترخصوها ترخصوا عرضا لنا هل تشترى الأعراض بالأثمان!؟ [4]

"إن وصف العبوشي للسماسرة ليس نقمة شخصية، وليس من قبيل الذم أو القدح المجرد في هؤلاء الأشخاص، إذ هو أعمق دلالة وقصدا، فهو تعبير عن النقمة الشعبية الحاقدة، التي أراد الشعراء صبها مرة واحدة على هؤلاء المارقين على إرادة الشعب والوطن، وفيه فتح

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص50.
[2] **نفسه**، ص50-51.
[3] **نفسه**، ص54.
[4] **نفسه**، ص55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للعيون على الشر الذي يستحكم على أيديهم"[1]، فالعبوشي يسهب في وصف إخلاص السماسرة لأسيادهم من بني صهيون، يأتي ذلك على لسان السمسار(سقيم) الذي يخاطب الصهاينة في مسرحية العبوشي الشعرية (وطن الشهيد) قائلا:

الخفيف

أنـــا والله عبـــدكم فـــي حيـــاتي فانـــدبوني لكـــل أمـــر جســـيم
ســـوف آتـــيكم بـــأرض صـــديقي فـــاطمئنوا لـــذي رشـــاد حكـــيم
فـــإذا مـــا أبـــى سأشـــري لنفســـي ثـــم أعطيـــك حصـــتي بـــرقيم
فـــأذنوا لـــي فســـوف أمضـــي إليـــه فـــإذا لـــم يلـــبِّ فهـــو غريمـــي[2]

انظر إلى تفاني السمسار (سقيم) في خدمة أسياده، أليس ذلك من العجب العجاب؟ حتى اليهود يستغربون صنيع السماسرة وتفانيهم المطلق، لكنهم يدركون أن الدافع من وراء ذلك حب السماسرة للجنيه والدولار، ذاك ما بيّنه العبوشي في مسرحيته (وطن الشهيد) الشعرية وعلى لسان (كوهين):

الخفيف

أرأيـــتم كيـــف اســـتبينا لبّـــه فغـــدا أســـيرا للجنيـــه الأصـــفر
بـــاع الـــبلاد وبـــاع حـــبّ صـــديقه بـــدريهم بيـــع المتـــاع الأحقـــر
لـــم تمـــض إلا أشـــهر فـــإذا بنـــا سُـــدنا علـــى المـــرج الخصـــيب الأخضـــر[3]

"لقد شغلت هذه القضية جماهير الشعب التي كانت تحسّ بخطر بيع الأرض لليهود، وتعدّه جريمة وطنية تستحق أقسى العقوبات، ومع ذلك فإن الأثمان المغرية، والأطماع الشعبية التي كانت تسيطر على الإقطاعيين وأشباههم، وعلى كثير من أبناء الأسر المترفة، كانت تدفع

---

[1] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ص112.
[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص375.
[3] **نفسه**، ص376.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هؤلاء إلى بيع أراضيهم، والاحتيال لبيع أراضي الآخرين لقاء أجور عالية يتقاضونها من الوساطة"[1].

أما الشعر فقد تجاوب مع الشعب الذي صب جامّ غضبه على السماسرة وبائعي الأرض، فعبر الشعراء عن نقمتهم وسخطهم على هؤلاء المتعاونين مع الاحتلال، سيما وأن السماسرة لم يبيعوا الأرض من فقر أو مسغبة، بل حبا في الاستزادة من المال، وجنيا لمزيد من الثراء، من هنا أصبحت قضية السماسرة من أهم المحاور التي قام عليها شعر برهان الدين العبوشي:

البسيط

وبـــاع سرســـق تبـــا لاســـمه قطعـــا مـــن ملكنـــا وعيـــون الســـاكنين تـــرى

لهفي علـــى المـــرج قـــد جلّـــت مصـــيبته ولم يجد مـــن بنـــي الأوطـــان مـــن ثـــأرا[2]

بل وقرن بين السماسرة واللصوص والكذابين المخادعين، ويتعجب من تصديق الناس لهم بعد كل ما صنعوه من نذالة وبيع للأرض، وهو لا يلوم السماسرة فحسب، بل يلوم معهم من يناصرهم ويحابيهم من أهل البلاد:

البسيط

أكلمـــا هـــبَّ سمســـار بشـــرذمة مـــن اللصـــوص نحابيـــه ونرفعـــه[3]

إن المتأمل في شعر العبوشي يجده يكثر من التحذير من أولئك الجشعين المحبين للمال، الذين جعل حب المال على قلوبهم غشاوة، فتراه يهيج المشاعر بالنقمة على هذه الفئة- السماسرة- ويقذفهم بحممه الشعرية فيقول:

البسيط

مرج ابـــن عـــامر باعـــت مجـــدك العـــرب واستأســـد الغـــرب والشـــرقي يحتـــرب

قد كنت فـــي الأمـــس فخـــرا مـــن مفاخرنـــا وســـاحة فيـــك يجـــري العـــزُّ والغلَـــبُ

---

[1] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص115.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص130.

[3] **نفسه**، ص174.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبيعـــه العـــرب لا قلـــب لبائعـــه وإنّمـــا همّـــه أن يكنـــز الـــذهب
المـــال يفنـــى ونفـــس الســـوء فانيـــة ويخلـــد الـــذكر والـــرب الـــذي يهـــب[1]

شعر العبوشي أن السماسرة سرطان في جسد الأمة، ويجب على أبناء قومه استئصالهم من جذورهم فهم من أهم عوامل ضياع البلاد، فنراه يشن عليهم حملة إعلامية شرسة، يفضحهم، ويعريهم، ويكشف زيف زعمهم بأنهم الحريصون على مصلحة البلاد والعباد، فهم لا يتجاوزون فئة اللصوص، يخدمون أعداء البلاد في سلب الأرض من الفلاح المسكين، وتقديمها على طبق من ذهب لعدوهم اللئيم، ومما يؤلمه ويحزّ في نفسه بقاء هذه الفئة تسرح وتمرح في أرجاء البلاد باسم الوطنية، والدفاع عن البلاد:

الخفيف

حـــاكموه وأوثقـــوه حبـــالا واحشـــروا فـــي الســـجون كـــلّ خـــؤون
فـــإذا ضـــاقت الســـجون فســـوط مـــن عـــذاب وجرعـــة مـــن منـــون
كيـــف ينجـــو مـــن العقـــاب لئـــيم بـــاع أوطاننـــا وكـــلّ ثمـــين
لكم فـــي القصـــاص خيـــر فأمضـــوا ســـنّة الله فـــي الخـــؤون اللعـــين[2]

ولم يكن العبوشي وحيدا في هذا الميدان، بل شاركه الهم نفسه طوقان وعبد الرحيم وأبو سلمى، فقد هز طوقان ما رآه من سماسرة الأراضي، وأحس بأنهم سرطان لا بد أن يتم استئصاله من جسد الأمة، وأكثر ما كان يغيظ طوقان ما تظاهر به هؤلاء السماسرة من حرص على مصالح البلاد:

أمـــا سماســـرة الـــبلاد فعصـــبة عـــارٌ علـــى أهـــل الـــبلاد بقاؤهـــا
إبلـــيس أعلـــن صـــاغرا إفلاســـه لمـــا تحقـــق عنـــده إغراؤهـــا
يتنعّمـــــون مكـــــرّمين كأنّمـــــا لنعـــيمهم عـــمّ الـــبلاد شـــقاؤها[3]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص46–47.

[2] **نفسه:** ص91.

[3] طوقان، إبراهيم، **ديوان إبراهيم طوقان**، ص45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: معاداة الزعماء والأحزاب

"كانت الأحزاب السياسية هي الوجه التنظيمي المعبر عن مصالح الطبقات الثرية، وقد حملت تناقضاتها وتناحرها الدائم على منافعها الخاصة، ومنافع أنصارها، من هنا كانت الأحزاب في حرب داخلية دائمة مع بعضها... أما بالنسبة للحكومة فكانت تجانب مواقف الحزم والصلابة، وتميل إلى المهادنة والملاينة... وحين كانت الحركة الوطنية تتصاعد، وتشتد النقمة الشعبية على الحكومة، بسبب تواطئها مع الصهيونية، كانت الأحزاب تضطر إلى التظاهر بالصلابة خداعا ومسايرة للشعب" [1].

حين يلقي الشعراء الآخرون اللوم على الزعماء الفلسطينيين في ضياع الوطن، وعلى تمزق الجبهة الداخلية، تجد الصوت الأقوى لدى عبد الكريم الكرمي، فنراه يحمل الحكام المسؤولية كلها[2]:

زعمـــــاء دنّســـــوا تـــــاريخكم وملـــــوك شـــــردوكم دون ذنـــــب
وجيـــــوش غفـــــر الله لهـــــا سلمت أوطـــانكم مـــن غيـــر حـــرب[3]

لقد عبر الشعراء عن قضية الزعماء والأحزاب والسماسرة بلغة خطابية عاطفية مؤثرة، لكن ابراهيم طوقان تناول هذه القضايا بأسلوب السخرية والتهكم[4]:

الخفيف

أنـــــتم المخلصـــــون للوطنيـــــه أنـــتم الحـــاملون عـــبء القضـــيّه
أنـــتم العـــاملون مـــن غيـــر قـــول بـــارك الله فـــي الزنـــود القويّـــه
فـــي يـــدينا بقيّـــة مـــن بـــلاد فاســـتريحوا كـــي لا تضـــيع القضـــيّه[5]

---

[1] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص105.

[2] **الموسوعة الفلسطينية**، مجلد4، ص23.

[3] الكرمي، عبد الكريم، **ديوان المشرد**، المكتبة الكبرى للتأليف والنشر، دمشق، ص6.

[4] **الموسوعة الفلسطينية**، ص23.

[5] طوقان، إبراهيم **ديوان إبراهيم طوقان**، دار الأسوار عكا، ص86.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هنا صمم العبوشي على الكفر بهذه الأحزاب، بسبب انصرافها عن القضايا الوطنية، وانقيادها خلف أطماعها الشخصية، فهي كأعجاز النخل الخاوية، أو هي تماثيل لا حول لها ولا قوة ،اللهم إلا من إسداء الخدمات للصهيونية:

الطويل

لقد كفرت أحزابنا فاكفروا بها ... فقد عبثت خمر الهوى بصلابها
وماذا ترجي من تماثيل نصّبت ... كأعجاز نخل قد خلت من لبابها
سبا عقلها الكرسي وهو مذمة ... كما فتن الشوهاء لون خضابها
تُلحُّ علينا الحادثات بشرها ... وأحزابنا مشغولة بنصابها[1]

ثم يدعو العبوشي إلى الثورة على الأحزاب، والتخلص منها، لأنها آفة هذه البلاد وسر مرضها، ويدعو كذلك إلى قمع الأحزاب والبطش بها نتيجة تمزيقها الوطن، وبيع الأرض، وخداع الشعب:

البسيط

ألا اضربوا هامة الأحزاب وانعتقوا ... من رقها فكفانا الهمّ نجرعه
أكلما صاح كذاب بأمته ... (عاشت فلسطين) خلنا الصدق يدفعه
تقدموا يا شباب الجيل وانتزعوا ... زعامة الشعب فالأحزاب تفجعه[2]

ويصرح بأن الشعب هو صاحب القضية، وغيره لا يحلها، ويدعو الشعب إلى أخذ قضيته بيده حتى لا تلعب بها الأهواء:

الكامل

يا شعب غيرك لا يحلّ قضيّة ... لعبت بها الأهواء ستة أشهر
يا شعب دونك والسلاح فلا أرى ... منجاة عز دونه في الأعصر[3]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص168.
[2] **نفسه**، ص174.
[3] **نفسه**، ص178.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان لهجومه على الأحزاب ما يبرره سيما وأن "قادة الأحزاب الوطنية كانوا من كبار الإقطاعيين والملاك والتجار بحكم مواقعهم الاقتصادية والدينية والعشائرية"[1]، وقد اتصفت مواقفهم "بالسير في ركاب الحكم العثماني والانتداب البريطاني فيما بعد، والتخاذل والمساومة مع الصهاينة – تمثل ذلك في عقد الصفقات السياسية وبيع الأراضي وقبول التقسيم– بينما اقترب فريق آخر من هذه الطبقة من الحركة الصهيونية وماشاها في مطالبها، دون أن تصل به وطنيته إلى حد الافتراق والصدام مع سلطات الانتداب البريطاني"[2]

"لقد كانت البلاد قد انحدرت على أيدي زعمائها وأحزابها انحدارا أظلمت معه آفاقها، وتبددت آمالها، فراح الشعراء يدعون إلى الكفر بهذه الأحزاب وزعمائها، ويحثون شباب الجيل على التصدي للعمل الوطني، وقيادة البلاد"[3]، يقول العبوشي منددا بالزعماء ومبشرا بجيل الشباب الذين يمثلون أمل الامة:

الكامل

وطـــن العروبـــة داؤه زعمـــاؤه وبـــلاؤه والشـــر فـــي ســـاداته
وأخـــالهم دخـــلاء غَـــرّوا شـــعبهم لمـــا رأوه يـــئن مـــن ويلاتـــه
إن ترخصـــوه فقـــد رخصـــتم أنـــتم وغنمتمـــو فيـــه أذى لعناتـــه[4]

بل يصل الأمر بالعبوشي إلى أن يشبه الزعماء بالأعداء، الذين يعملون على تفريق الناس من أجل أن يخوضوا في شهواتهم دون أن يقف في وجههم أحد، هذا ما جاء في قصيدة "الإعدادية المركزية":

---

[1] مصطفى، خالد علي، **الشعر الفلسطيني الحديث**، منشورات وزارة الثقافة والفنـــون، الجمهوريـــة العراقيـــة، 1978م، ص22.

[2] الكيالي، عبد الوهاب، **النضال الفلسطيني، دروس وعبر**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنـــان، 1971م، ص12.

[3] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ص192.

[4] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص318.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

فـــإذا بحاكمنـــا يفـــرّق شـــملنا كعـــدوّنا ويتيـــه فـــي شـــهواته[1]

في غمرة الأحداث المتلاحقة التي مرت بها فلسطين كان لزاما على الشعراء أن يضطلعوا بدورهم، فيخففوا معاناة شعبهم، فوجد العبوشي نفسه مضطرا إلى أن يسخِّر شعره ل "فضح الحكام، ومهاجمتهم، وإعلان النقمة عليهم، وعلى عرض صور المأساة وحياة اللاجئين في مخيماتهم، وبكاء البلد الضائع، وبث روح الاحتمال والأمل، وخلق العزم والتفاؤل لدى أبناء وطنه، استعدادا للجولة الثانية"[2]، يقول العبوشي في قصيدة "كنت سهما":

الكامل

وغـــدت ثعالـــب أمّتـــي حكّامهـــا فوقعـــت فـــي حـــرب الأقـــارب والعـــدا
فـــي كـــلّ يـــوم صـــفعة ومهانـــة ثـــم اعتـــداء بعـــده ألـــف اعتـــدا
أفـــلا غضـــبنا مـــرة فنبيـــدهم ونـــذيق إســـرائيل صـــاعقة الـــردى[3]

إن تنديد العبوشي بباعة الأرض وسماسرتها لم يقتصر على الباعة المحليين، بل تعداهم إلى الباعة القوميين، زعماء الأمة وملوكها وأمرائها، فقد شملتهم الحمم الشعرية التي لفظها العبوشي لتواطئهم مع المحتلين، وخيانتهم لأمانة الوطن، فجلّ همّ ساستنا تفريق شمل الأمة، لتظل مصالحهم آمنة، يظهر ذلك من خلال قصيدة "الناصرة قبيل ضياعها":

الكامل

الـــدين يجمـــع لا يفـــرّق إنّمـــا هَـــمُّ السياســـة أن يشـــيع الـــدّاء
كم مـــن شـــعوب الله وهـــي بريئـــة عصـــفت بهـــن سياســـة خرقـــاء
إن التجـــارب إذ عجمنـــا عودهـــا كشـــفت ســـرائرهم وبـــان خفـــاء[4]

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص318.
[2] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ص31.
[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص260-261.
[4] **نفسه**، ص53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس: الثورة ومحاربة الاستعمار والاحتلال

إن من تقرير الحقيقة أن نؤكد أن الشعر الفلسطيني كان سلاحا فتاكا من أعظم أسلحة المعركة التي خاضها عرب فلسطين ضد الانتداب والصهيونية... فصبت بريطانيا جامّ غضبها على الكتاب والشعراء، فطاردت بعضهم حتى اضطر للهجرة من فلسطين إلى الأقطار الشقيقة، كالشاعر عبد الرحيم محمود، وبرهان الدين العبوشي، وزجت بآخرين في غياهب السجون والمعتقلات، وسنت تشريعات ظالمة تجعل السجن عقوبة لكل من ألقى خطبة، أو نشر مقالة، أو نظم قصيدة حماسية فيها حض على الجهاد[1] كالشاعر برهان الدين العبوشي الذي أمضى ردحا من حياته متنقلا بين المعتقلات المختلفة، وعلى الرغم من كل المضايقات إلا أن العبوشي عبّر بشعره عن الروح الحماسية الثورية تعبيرا صادقا نابعا من القلب، بكل فخر واعتزاز وشجاعة.

يعدّ برهان الدين العبوشي من أبرز الشعراء الذين مارسوا الثورة قولا وفعلا "فالعبوشي يتوق إلى لقاء الردى في سبيل وطنه، فهو يدعو بحرارة إلى النضال والفداء، وصبغ الربوع بالدماء لإعزاز الوطن وصون كرامته"[2]، يقول العبوشي في قصيدة "حيِّ الشهيد":

الكامل

ارفـــع أيـــا عربـــيّ رأســـك عاليـــا ... وازحـــف وناضـــل فالعـــدو تجهمّـــا
جابه عداك بمـــا يـــروم لـــك العـــدا ... واضـــرب ولا تـــرض المذلّـــة والعمـــى
إني أيـــا وطنـــي أتـــوق إلـــى الـــردى ... من أجـــل مجـــدك كـــي تعـــيش مكرمـــا
فالـــدهر علّمنـــا بـــأنّ الحـــرّ لا ... يرقـــى العـــلا إلا إذا ســـفك الـــدما
فلســـوف نصـــبغ بالـــدماء ربوعنـــا ... حتـــى نـــراك معـــزّزا متبسّـــما[3]

ونراه يركز في دعوته للثورة على فئة معينة من فئات المجتمع الفلسطيني، ألا وهي فئة الشباب، لما لهذه الفئة من عناصر قوة تميزها عن غيرها، ويذكر العبوشي الشباب بما لحق بفلسطين من ويلات لشحذ هممهم، ويذكرهم بأن مصير المتقاعسين الشقاء والجلاء:

---

[1] **انظر: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ص109.

[2] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص124.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص158–159.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

قد بُـح صـوتي فـي الشـباب كـأنّهم لـم يسـمعوا أم أُذنهـم صـمّاء
لبّـي نـدائي يـا شـبيبة وانظـري قـد حـلّ بـالوطن الـذبيح بـلاء
إن لم تـذودوا عـن قداسـة أرضـكم فمصـيركم فيهـا شـقا وجـلاء[1]

"لقد مثل الشعراء الشباب طليعة الجيل الذي حمل لواء الثورة ضد الانتداب وأذنابه، وكان للمثقفين دور مهم في الثورة ، فقد شارك الكثير منهم في حمل السلاح والخروج إلى الجبال إعلانا للتمرد والثورة على الانتداب وسياساته، وكان هؤلاء الشعراء قد حملوا هم الكلمة المقاتلة، فكان أن زاوج بعضهم الهمين معا وعلى رأس هؤلاء الشعراء الذين جمعوا الهمين، همّ الكلمة وهمّ السلاح، برهان الدين العبوشي، لذلك جاء شعره بمثابة منشورات ثورية تحض الناس وتحرضهم على الثورة، حتى قبل اشتعال نيرانها"[2]، يقول برهان الدين العبوشي في قصيدة "يا عرب":

الكامل

يـا مـوت مـاذا تنتظـر يـا شـعب مالـك تحتضـر
قـمْ سـرْ فمثلـك لا يمـوت وإنْ طغـى فيـه الأشـر
يـا شـعب قـد آن الأوان فسـرْ وطالـبْ قـمْ وثـرْ
إنّـا إذا مـال الزمـان بنـا سـنرجع مـا غبـر[3]

ويتخذ العبوشي من الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم– ومن صحابته الكرام – رضوان الله عليهم– المثل الأعلى في الثورة على الظلم، وقتال الأعداء، فقد قاتلوا وهم قلة، وانتصروا على عدوهم مع قلة عددهم، ويعود الفضل في ذلك إلى الإرادة والتصميم، مع الإيمان المطلق بالله تعالى أنه ناصرهم لا محالة:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص54.
[2] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص149–150.
[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص155–156.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

والحـــر يـــدفع عـــن حمـــاه بســـيفه فـــــإذا تحطّـــــم ســـــيفه فبنابـــــه
فلنمش للمـــوت الـــزؤام كمـــا مشـــى جـــــيش النبـــــي بشـــــيبه وشـــــبابه
جيش مـــن الجبـــروت شـــقّ طريقـــه فـــي الأرض حتـــى أذعنـــت لحرابـــه[1]

"والعبوشي أحد أبناء طبقة الفلاحين المثقفين الثوريين، ونضاله يمثل نضال طبقة كاملة بل شعب كامل، فقد طوف في البلدان داعيا للثورة ومنظما لها، وقد تعرض لشتى أصناف العذاب بسبب ذلك فسجن وعذب وأصيب في سبيل الثورة على أعداء البلاد، وقد نشر عدة قصائد في الجرائد والمجلات العربية يدعو من خلالها لمواصلة الثورة حتى دحر الاحتلال، "وهو من خلال هذه القصائد يتابع عمله في الدعوة للثورة، فيذيب في دعوته طعم الممارسة، ويبث قوة التجربة، فيسري في شعره نفس العنف وروح الفداء، ويمجد في شعره لغة القوة وتضحية الشهداء، وفي ذلك درس عملي يشجع الشباب على ممارسة النضال والعمل الثوري، لاسيما وهو يرى في النشء الجديد غوثا من الرب أقال به الشعب من عنت الظالمين"[2]، يقول العبوشي في قصيدة "في المعتقل" التي نظمها وهو معتقل في سجن صرفند:

الكامل

صـــــــرفند معتقـــــــل الأســـــــود جئنـــــاك نرفـــــل فـــــي الحديـــــد
إنّـــــــا نعاهـــــــدك الثبـــــــا ت ولـــــو نســـــاق إلـــــى اللُّحـــــود
لســـــــنا نبـــــــالي بـــــــالخطو ب ولا نبـــــــالي بالوعيـــــــد[3]

ثم يمضي العبوشي في القصيدة حاثا الشباب على الثورة ومحفزا لها:

الكامل

هـــــذي الشـــــباب تواثبـــــت كتواثـــــب الأســـــد العنيـــــد
فتســـــلقوا قُلـــــل الجبـــــا ل ومزقـــــوا ثـــــوب الجمـــــود

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص51–52.
[2] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص153.
[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثـــــار الشـــــباب لحقهـــــم والحـــــق يؤخـــــذ بالحديـــــد[1]

ويستغرب الشاعر تسابق الزعماء العرب على توقيع المعاهدات مع الأعداء، فلولا الشباب الثائر لانتهت القضية لصالح العدو لا محالة:

الكامل

وطنـــــي فـــــديتك كيـــــف يـــــذ هـــــب قومنـــــا صـــــرعى العهـــــود
لـــــولا الزّعامـــــة مـــــا رأيـــــ ت بلادنـــــا ملـــــك الشـــــريد
إنـــــي أمـــــوت لكـــــي أرى وطنـــــي يعـــــيش بـــــلا قيـــــود[2]

لا يثور العبوشي لأغراض شخصية أو دنيوية، بل يثور ليتحرر وطنه من نير الاحتلال الذي سام البلاد والعباد سوء العذاب، وهو مستعد أن يبذل روحه فداء وطنه.

بهذه الروح الحماسية التي يزيدها اندفاعا اشتعال الثورة، يمضي العبوشي يبث من معتقله في صرفند قصائد التحريض على رفد الثورة وتعزيز مطالبها[3]، فيقول في قصيدة "زراعة الأرواح":

الطويل

نغامر لا نرضى سوى المجد موطنا ولسنا نبالي إنْ نـــأى المـــوت أو دنـــا
لنا حقّنـــا الوضـــاح لســـنا نبيعـــه وكيف يبيع الحـــقّ مـــن كـــان مؤمنـــا
لنـــا المجـــد لا تبنيـــه إلا شـــبيبة وورود المنايـــا عنـــدها غايـــة المنـــى
لبسنا لبوس الحرب لا ســـلم بعـــده وليس لدى قومي سوى النار والقنـــا[4]

نحس في هذه القصيدة بقوة الإرادة، وبالعزم والتصميم على المضي في الثورة بكل تضحياتها، في سبيل حقوق الوطن الواضحة، ولهذه الروح القوية أثرها في شحن نفوس الثوار بقوة الاستمرار وحمايتها من أن يلحقها يأس أو فتور، ثم إن العبوشي يركز على فئة الشباب في

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص138.
[2] **نفسه:** ص138-139.
[3] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص145.
[4] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص152-153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثورة، بل استخدم أسلوب الحصر ليدلل على أن المجد لا يتأتى إلا بطريقة واحدة وهي روح الشباب.

ونرى العبوشي في دعواته للثورة يركز على الشعب، فالشعب وحده بيده الأمر، وهو من سيصنع النصر لنفسه، فالزعماء باعوا مستقبل شعوبهم، وجعلوا صباحهم ظلاما، حيث يهيب بالشعب أن يظل شاكي السلاح فليس دونه منجاة عز[1]، يقول العبوشي في قصيدة "ثورة فلسطين في جبع وبلعا":

الكامل

يا شـــعب غيـــرك لا يحـــلّ قضـــية لعبـــت بهـــا الأهـــواء ســـتّة أدهـــر
باعوا حماك وأنـــت تنظـــر والـــدما تجـــري وعيشـــك كـــالظلام الأكـــدر
أمـــا الهزيمـــة والفـــرار والانخـــذا ل والاستكانة تلـــك دون تصـــوري[2]

وهكذا فإن الثورة شحذت عزيمة الشعب، وأزالت عن نفسه صدأ الخمول، والمقصود بالشعب هنا طبقات العمال والفلاحين والمثقفين الوطنيين التي اصطلت حقيقة بنار الثورة، ولذلك راح الشعراء من أبناء هذه الطبقات – ومنهم برهان الدين العبوشي– يهيبون بالشعب أن يتمسك بحقه في الوطن، وان يستمر في ثورته حتى يضمن فيه حقوقه الطبيعية[3].

لقد أطلق العبوشي سهام كلماته داخل الوطن وخارجه ليوقظ الجماهير، وينبه من المخاطر، ويحرض ويدعو إلى الثورة من أجل التغيير، واستمر في عطائه ثائرا على الواقع المر، وداعيا من دعاة الثورة.

المطلب السادس: رثاء الشهداء

بمجرد أن وعى العبوشي طبيعة التهديد والمكائد التي تحاك لوطنه، حتى انبرى ينظم القصائد الوطنية، ويدعو إلى محاربة الاستعمار، والوقوف في وجه الهجرات الصهيونية

---

[1] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص155.
[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص178.
[3] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص155.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتلاحقة إلى فلسطين، كما راح يسجل مآثر الشهداء البطولية، حتى وصل الأمر به إلى تمني الشهادة قولا وفعلا في أرض المعارك، دفاعا عن وطنه، وذودا عن حماه، وأصيب في هذه المعارك، لكن القدر لم يرده من بين الشهداء، بل أراده شاهدا بشعره على الأحداث الجسام، يقول العبوشي في رثاء الشاعر الشهيد "عبد الرحيم محمود":

الكامل

عبد الرحيم عجيب أمري إنّني قد بتُّ بعدك أكره الأيّاما
قد كنت أرجو أن أنال شهادة ألقى بها ربي أعزّ مقاما
وسبقتني فغنمت دار كرامة والله يجزي من أناب وِساما
فاهنأ بطهرك سوف أرحل طاهرا ألقاك في غرف الجنان سلاما[1]

لقد آمن برهان الدين العبوشي أن تحرير البلاد لابد له من تضحيات جسام، لا يستطيع بذلها إلا المجاهدون، الذين ببطولتهم يرسمون أجمل لوحات التضحية والفداء، يحملون أرواحهم على أكفهم، يقبلون على الشهادة غير آبهين بما ستؤول إليه أحوالهم، فهم إن انتصروا نالوا تقدير أمتهم وشعبهم، وإن سقطوا في الميادين نالوا الشهادة والخلود، فعجبا لأمرهم، إن أمرهم كله خير، من هذا المنطلق "أراد عبد الرحيم محمود أن يواجه الظلم بالتصدي والمقارعة، ويبحث عن الموت المشرف في الميدان، إنه يحبذ منطق القوة الذي لا يفهم العدو منطقا غيره"[2]:

المتقارب

سأحمل روحي على راحتي وأُلقي بها في مهاوي الردى
وما العيش لا عشت إن لم أكن مخوف الجناب حرام الحمى[3]

يقول العبوشي في قصيدة "حيِّ الشهيد":

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص251.

[2] أبو عمشة، عادل، **الشهيد في شعر ابراهيم طوقان وأبي سلمى وعبد الرحيم محمود**، مجلة جامعة بيت لحم، عدد 14، 1995م، ص63.

[3] محمود، عبد الرحيم، **ديوان عبد الرحيم محمود – روحي على راحتي**، مركز إحياء التراث، حيفا، مطبعة واوفست الحكيم، الناصرة، تحقيق : حنا أبو حنا، 1985م، ص101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

نثـــر الجـــلاد علـــى الأديـــم جماجمـــا وتواثـــب الأبطـــال فيـــه ضـــياغما
واستبســـلوا فاســـتعذبوا ورد الـــردى وتقـــدّموا كـــالموج زاد تلاطمـــا
قـــلْ للشـــهيد عـــلام تنظـــر للســـما هلّا قنعت بمـــا فـــديت بـــه الحمـــى
بـــاعوا الحيـــاة رخيصـــة لـــبلادهم كـــي يفتـــدي وطنـــا رأوه مهـــدّما[1]

لقد "تتابعت قوافل الشهداء في ثورات فلسطين المتعاقبة "فمنهم من قضى في ساحات المعارك، ومنهم من قضى على أعواد المشانق، وجل هؤلاء من أبناء الطبقات الشعبية الفقيرة، أبناء الفلاحين والعمال، وشاركهم في كرامة الاستشهاد هذه نفر من أبناء الأمة العربية الأشاوس، الذين كان في طليعتهم الشيخ عز الدين القسام، وفي ربيع عام 1939م استشهد المجاهد القائد "عبد الرحيم الحاج محمد" في ساحة المعركة برصاص الإنجليز فكانت خسارة الثورة به فادحة"[2]، فأبّنه الشاعر برهان الدين العبوشي بقصيدة تحمل عنوان "عبد الرحيم":

الكامل

فـــيم التجمّـــل يـــا زمـــان قتلتنـــي وسلبتني يـــا دهـــر مـــا ملكـــت يـــدي
وخطفـــت مـــن لـــو نســـتطيع فـــداءه لفـــداه بالـــدم كـــل أروع مفتـــدي
(عبد الـــرحيم) أمـــا علمـــت مقامـــه يـــا دهـــر فهـــو بنـــا كصـــحب محمـــد
بطـــل أعيـــر مـــن القضـــاء مضـــاءه أبلى بلاء الســـيف فـــي الكـــف النـــدي
مـــا أنـــت أول ثـــائر فجعـــت بـــه أرض الســـلام ولســـت آخـــر مُلْحَـــد[3]

وفي عام 1936 استشهد في منطقة الخليل المجاهد السوري سعيد العاص "فهاجت الخواطر، وسفح الحزن دموع الناس"[4] فتسابق الشعراء في رثائه، وتقدم برهان الدين العبوشي بقصيدة رثاء لابنته "سعاد" بعنوان "لعينيك سعاد" فقال:

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص157-158.
[2] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص141.
[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص178-179.
[4] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص142.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخفيف

أمّـــك الشـــعب والخلـــود أبـــوك يا ابنـــة (العـــاص) والشـــباب أخـــوك
مـــا تيتمـــت يـــا (ســـعاد) ولكـــن يُـــتِّم الـــدهر بعـــد فقـــد أبيتـــك
فاغبطيـــه فإنـــه مـــات حـــرا لا جبانـــا كميتـــة الصـــعلوك
يـــا فلســـطين فـــافخري بســـعيد إنّمـــا الفخـــر للـــذي يفتـــديك[1]

لقد وصل الأمر بالعبوشي إلى ربط المجد بجماجم الشهداء فإقبال الشهداء على الموت هو الأمل الوحيد في تحرير البلاد من براثن الغاصبين، سقوط الشهداء لا يعد موتا، بل وقودا للحياة التي يكسوها لون العزة والسؤدد، حيث يسوق العبوشي هذه الفكرة في قصيدة "الوطن المبيع":

فالمجـــد لا يبنـــى بغيـــر جمـــاجم والمجـــد تحميـــه ســـيوف غضـــابه[2]

"هذه الجماجم التي تبني مجد الأمة تعود لمناضلين غير محددين، أي لهم جميعا دون ذكر اسم أو أسماء، فالقضية عامة لأن الهم عام، ولا مكان للتحديد أو التسمية، أو أن الشاعر شهد الكثير من الشهداء، وسمع عن استشهاد الكثيرين، فلم يفضل أحدا على الآخر، ومثل هذا التعبير وهذه الصورة تعد صورة كلاسيكية"[3].

وعبر إذاعة القدس دوى صوت إبراهيم طوقان في الثلاثينيات من القرن العشرين يشيد بروح المناضل وتفانيه[4]:

مجزوء الخفيف

لا تســـلْ عـــن ســـلامته روحـــه فـــوق راحتـــه
يرقـــب الســـاعة التـــي بعـــدها هـــول ســـاعته[5]

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص131.

[2] **نفسه**، ص52.

[3] عراق، عبد البديع، **صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر**، مؤسسة الأسوار،عكا، 2002م، المطبعة العربية الحديثة، ط1، ص240.

[4] شريتح، محمود، **الشعر الفلسطيني المعاصر**،الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4، ص31.

[5] ديوان ابراهيم، ص47.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السابع: نبوءة النكبة قبل حلولها

لقد كان خطر ضياع فلسطين وتشريد أهلها يتراءى للعيان بفعل التصدع الوطني الداخلي لدى الطبقات الفلسطينية، وبفعل التفريط الذي وصل إلى مستوى الخيانة الوطنية، فقد كانت نذر النكبة تسعى بخطى متلاحقة، نحو البلاد والعباد "وقد تفجرت هذه المخاوف نذرا محذرة مفزعة من سوء المصير المنتظر، أرسلها شعراء فلسطين صيحات مدوية، توقظ النيام، فجاءت مرآة صادقة لهواجس الشعب وتوقعاته، وكأنهم شهدوا المأساة بأنفسهم، وعانوا تجربة النكبة برمتها"[1]، يقول العبوشي في قصيدة "المرج الحزين":

البسيط

(جنين) (زرعين) (بيسان) مهددة ... و(سيلة الحارثي) اليوم تضطرب
إن الجلاء على الأبواب أنذرنا ... به الدخيل ويبقى سادر طرب
يا مرج مالك تجري فيك قافلة ... من الشقاء وذا واديك ينتحب
كأن روضك للأرزاء منتزه ... وللعذاب غدير فيك ينسكب[2]

وهذا برهان الدين العبوشي "ينبه قومه قبل أن يأخذهم الجلاء عن البلاد، ويحرك فيهم الحمية التاريخية بذكرى الخالدين العرب الذين فتحوها وبذلوا حياتهم ودماءهم في سبيلها"[3]، يقول العبوشي في قصيدة "ذكرى الثورة العربية":

الخفيف

فأفيقوا يا قوم قبل جلاء ... عن بلاد فيها عظام الجدود
واذكروا الغابرين قد جبلوها ... بالنجيع الزكيّ من عهد هود
ما تقولون إن نزحتم صغارا ... لصلاح وخالد بن الوليد[4]

---

[1] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص118.
[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص46.
[3] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص119.
[4] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص172.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاء شعر العبوشي تنبيها للأمة من الخطر المحدق بها من كل فج، فقد ألهبت قصائده مشاعر الأمة وحثت على رص الصفوف، وتوحيد الكلمة، لردع أطماع المستعمرين والمحتلين، فالعبوشي تنبأ بالأحداث قبل وقوعها، وحذر مما ستؤول إليه الأحوال.

ولم يكن برهان الدين العبوشي وحيدا في هذا الشعور بل شاركه غيره من أبناء وطنه ممن أحسوا بنفس الشعور ومنهم الشاعر حسن البحيري "فمنذ بداية الأربعينيات تضخم الإحساس بمصير البلاد لدى شعرائها، فخفتت في شعرهم نبرة الأمل، وطفت سمة الحزن تخوفا من هذا المصير المرتقب، وإن حاولوا أن يلفوا الطابع الحزين في لفائف من عظمة الأمجاد والفخر بالماضي، وأوضح من يمثل هذا الاتجاه برهان الدين العبوشي وحسن البحيري"[1]، فقد هزتهما غفلة الأمة، والناس لاهون في رغد وحياة هنيّة، بينما العدوّ يتربص بهم الدوائر، ويحيط بالبلاد من كل مكان. وشاركهم النبوءة نفسها عبد الرحيم محمود، فقد نظم قصيدة بعنوان "نجم السعود" ألقاها في عنبتا في حفل استقبال الأمير سعود بن عبد العزيز، وعبر فيها عن نبوءته بضياع المسجد الأقصى:

الكامل

يـــا ذا الأميـــر أمـــام عينـــك شـــاعر ضمت علـــى الشـــكوى المريـــرة أدمعـــه
المســـجد الأقصـــى أجئـــت تـــزوره أم جئـــت مـــن قبـــل الضـــياع تودعـــه[2]

إن الأديب محمد إسعاف النشاشيبي كان أول شاعر نظم قصيدة تناولت التهديد الصهيوني لفلسطين، وكانت بعنوان (فلسطين والاستعمار الجديد)، وقد ظهرت القصيدة عام 1910م في النفائس العصرية:

المديد

يـــا فتـــاة الحـــي جـــودي بالـــدماء بـــدل الـــدمع إذا رمـــت البكـــاء
إن الاســـتعمار قـــد جـــاز المُـــدى دون أن يعـــدوه عـــن ســـير عـــداء

---

[1] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص182.

[2] عبد الله، نافع، **الشاعر عبد الرحيم محمود**، د.ن، ص125، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنهـــــا أوطـــــانكم فاســـــتيقظوا لا تبيعوهـــــا لقـــــوم دخـــــلاء[1]

وعندما يتحدث برهان الدين العبوشي عن نبوءته بالرحيل فإننا نفتقد صوته المدوي، ونبرته العالية "ليحل محلهما عروق حزن دفين يطفو بغمره على سطح قصائده وفي أجنابها، وحزنه ليس حزنا يعيي النفس ويثبط الهمة، وإنما هو حزن باسل، يذيب في قعر النفس جمودها، ويذهب عنها خمودها، ويحرك فيها القلق والتساؤل، ويشير أمامها إلى سوء المصير والمآل" [2].

ثم يبدأ الشاعر في بث روح الحسرة والألم على المدن الفلسطينية قبل الجلاء، فينظم قصائد "بيسان والناصرة والوطن المبيع وطبريا"، ونحس من خلال هذه القصائد بـــ"لهفة الشاعر على مصير هذه المدن والوطن أجمع، فهو لا يفتأ يجسد الأخطار، ولا يني يحث على العمل وافتداء البلاد، وهو يرى ان المستعمرات اليهودية قد خنقت المدن العربية، وسدت دونها السبل"[3]، يقول العبوشي في قصيدة "بيسان":

الكامل

مـــا للهـــوى يشـــجيك فـــي بيســـان ويثيـــر فيـــك حميـــة الشـــجعان
بيســـان قـــد ســـدت ســـبيلك دوننـــا مســـتعمرات الخبـــث والبهتـــان
يـــا حســـرتا للحـــي ينظـــر قبـــره ويتيـــه حـــافر قبـــره بأمـــان[4]

ثم يتعجب العبوشي من صمت أهل بيسان والعدو يطوقها من كل مكان، وهم مستكينون خانعون:

الكامل

فاســـتيقظوا قبـــل الجـــلاء فمـــا لكـــم والله غيـــر دقـــائق وثـــوان[5]

---

[1] الفرا، محمد، **مدخل الى دراسة القضية الفلسطينية**، الموسوعة الفلسطينية، مجلد 5، ص9.

[2] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص182.

[3] **نفسه**، ج1، ص183.

[4] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص55.

[5] **نفسه**، ص55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وكان مهرجان صندوق الأمة فرصة الشاعر ليبث فيها روح الوعي والتنبيه على الخطر الصهيوني المحدق بالبلاد، فيذكر أهلها بمصير الأندلس، ويثير فيهم مشاعر الأسى وعنفوان الحقد على كل الأعداء"[1]، يقول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

يا ابـن الـبلاد وأنـت كـل رجائهـا يـوم الجـلاء اسـمع نعيـق غرابـه
مـا مـسّ أندلسـا يمسـك مثلـه فابـذل لـه تلحقـه قبـل ذهابـه
قـد شـرّدوا العربـيّ عـن أوطانـه قـد جـرّدوا العربـيّ مـن أثوابـه
مـاذا تبقّـى غيـر قـاع أجـرد نرعى مـع القطعـان مـن أعشـابه[2]

"يدق العبوشي ناقوس الخطر، ويعيد إلى الأذهان مأساة الأندلس، وخروج المسلمين منها مشردين، ويرسم صورة العربي المشرد عن أوطانه والمجرد من ثيابه" [3]:

إنّ لمحة الحزن التي طفت على قصائد العبوشي قد أثرت عاطفته، فبدت أشعاره طرية نابضة، مثيرة للأحزان "ولكنها أحزان دافئة مثيرة وليست مستكينة، ونستبين أثر هذا الحزن حتى في ألفاظ قصائده... كما نستبينه في قوافي القصائد ورويها حيث حرف المد المتبوع بحرف قصير وبالهاء المشبعة، كأنها قنوات صغيرة تنفتح على النفس الحزينة، تخفف عنها أحزانها، لتروي بها أرض القصيدة"[4]، أما عن الإحساس بالفجيعة فقد ظهر بوضوح في أشعاره، فنراه يحث على قتال الأعداء ويدعو إلى الوحدة:

الطويل

تعالوا نضمّ الشمل فالحي قد خـلا وقائـده نـاءٍ ونادِيـه مبتلـى
تعالوا فإن الشـرّ أبـدى نواجـذا وحـدّد أنيابـا وجـرّد أنصـلا

---

[1] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص183.
[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص51.
[3] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص119.
[4] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص184.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالوا فإنّــا أخــوة مــن ســلالة تباهت بها الدنيا وسادت على المــلا[1]

فالعبوشي عندما ينظم القصيدة، ينظمها وكأن النكبة أمر واقع لا محالة، بل وصل به الأمر إلى أن يرى البلاد قد أصبحت منهارة، تخلى عنها أهلها وهنا الفجيعة عينها، لكن السبب في ذلك هو إيقاظ الجماهير لطبيعة الخطر المحدق، لتستفيق الأمة من سباتها .

هذه التنبؤات ما هي إلا انعكاس للواقع السياسي والاجتماعي المر الذي كانت تعيشه البلاد في تلك الفترة، فزعماء البلاد ألهاهم التنازع على المناصب، وسكروا بالثروة عن الأمة. ثم يتابع العبوشي بنوع من الحسرة والمرارة ما سيحل بأهل البلاد بعد ضياعها، وكأن الأمر قد غدا حقيقة مرة لا يمكن تجاوزها:

الطويل

وما قيمة الدنيا وقد صاح صائح الجلا ء عن الأوطان سيحوا فــلا أهــلا
لقــد عــاش فيــه الســابقون أعــزّة ويهوي بنوه اللاحقون إلى الســفلى
فيا لهف نفسي كيف أقــوت وأقفــرت وقد كان فيها الروض مزدهرًا جذلا[2]

"ويهوله الخطر المحدق بالبلاد، فيوقظ أهلها بصيحة مخلصة تعبر عن مشاعر الخوف على شعب فلسطين كله"[3]:

الكامل

يا ساكني بيســان مــن بــدو ومــن حضــر ومــن شــيب ومــن شــبان
أضــحت مــدينتكم يهــددها الفنــا ومصــيركم فيهــا إلــى خســران
فاستيقظوا قبــل الجــلاء فمــا لكــم والله غيــر دقــائق وثــوان
لا ترخصوا الأرض التي فــي قلبهــا رقــدت جــدودكم بنــو قحطــان
إن ترخصوها ترخصوا عرضــا لنــا هــل تشــترى الأعــراض بالأثمــان[4]

ثم يؤكد العبوشي حتمية الجلاء فيقول:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص44.
[2] **نفسه:** ص175.
[3] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص120.
[4] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن لم تـــذودوا عـــن قداســـة أرضـــكم فمصـــــيركم فيهـــا شـــقا وجـــلاء[1]

المبحث الثاني: الشعر القومي

"يربط بين العرب شعور مشترك، فضلا عن الدين واللغة والتراث والتاريخ والمصير، يجمعهم ويؤلف بينهم ليكونوا أمة واحدة متميزة عن سائر الأمم، وهو يقوى ويشتد في المناسبات والأحداث والاحتفالات، والحروب التي تهدد سلامة الأمة وأرضها ومصالحها، ومن هنا فإن منبع القومية وبذرتها الأصيلة هو حبّ الأهل"[2]، وقد أولى شعراء فلسطين العروبة والشعور القومي أهمية بالغة عندما تناولوا "قضايا الوطن وهمومه في أشعارهم، كانوا يدركون ارتباط هذه القضايا ارتباطًا وثيقًا بما يدور في محيطهم العربي، ذلك أن الوضع في فلسطين لم يكن ليصل إلى ما وصل إليه لولا الضعف والوهن الذي أصاب الأمة، وأدركوا أن تحرر الشعوب العربية من قيود العبودية يعني سرعة مشاركة هذه الشعوب في تحرير فلسطين"[3]، فقد جاء "الحس العروبي في قصيدة الشعر الفلسطيني حسًا متقدمًا، ومحددًا بالجماهير الكادحة"[4].

"وقد برزت الروح القومية عند العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نتيجة لافتخار الأتراك بطورانيتهم، ما أيقظ في العرب فخرهم بأمجادهم القديمة، بعد أن كان العرب والترك يلتقون عند الإسلام الذي جمع بينهم، وسوى بين أفرادهم... وكانت بلاد الشام أسرع أجزاء الوطن العربي تأثرا بالفكرة القومية التي سادت أوروبا؛ لأنها كانت أكثر أجزاء الدولة العثمانية تعرضا للتأثر بالتيارات الفكرية الغربية المختلفة"[5].

وقد عبّر عن الروح القومية غير شاعر من شعراء فلسطين كان في طليعتهم الشاعر إبراهيم اليازجي، ويوسف النبهاني، وسليمان التاجي الفاروقي، وقد عبر برهان الدين العبوشي

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص54.

[2] عطوات، محمد عبد الله، **الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر 1918-1968م**، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1998م، ص358.

[3] جعيد، عبد الرحمن علي عبد الرحمن، **علي الخليلي أديبًا**، إشراف الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشه، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية،2006م، ص34-35.

[4] أبو نضال، نزيه، **الشعر الفلسطيني المقاتل**، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 1974م، ص136.

[5] أبو عمشة، عادل محمد، **الاتجاه السياسي في شعر إيليا أبو ماضي**، ط1، 1987م، ص81.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في غير قصيدة من قصائده عن خيبة أمله في الزعامات العربية والملوك والأمراء العرب، وخاصة أولئك الذين ارتبطوا مع الكيان الصهيوني بمعاهدات الصلح، فتنازلوا بذلك عن قضية الأمة العربية – القضية الفلسطينية– وتحولوا إلى عبيد يتلاعب الغرب بهم متى يشاء وكيف يشاء، يقول العبوشي في إشارة إلى معاهدة السلام مع اليهود التي وقعها الرئيس المصري السادات في كامب ديفيد:

الكامل

وقعـــت أم أُوقعـــت تلـــك مصـــيبة وقَعَـــتْ علـــى رأس الموقـــع ذاتـــه
وطـــن العروبـــة داؤه زعمـــاؤه وبـــلاؤه والشـــرُّ فـــي ســـاداته
وإخـــالهم دُخـــلاء غَـــرَّوا شـــعبهم لمـــا رأوه يـــئن فـــي ويلاتـــه
من بعد مـا جعلتـك مصـر رئيسـها أذللـــت شـــعبك نادبـــا لقناتـــه[1]

وتابع العبوشي مذكرا السادات – زعيم مصر– أن عقد المعاهدات مع اليهود ليس هو الحل لإعادة الوطن السليب، بل الحل يكمن بالتمسك بالبندقية، فلغة الرصاص أفصح من لغة القلم:

مجزوء الكامل

خـــذ مـــن لســـان البندقيـــة لحنـــا يثيـــر بـــك الحميـــة
فلســـان ثغـــرك لا يفيـــد النـــاس فـــي حـــل القضـــية
لغـــة الرصـــاص هـــي الفصيـــ حـــة واللســـان هـــو المطيـــة[2]

حمل العبوشي على حكام الأمة العربية لأسباب كثيرة؛ منها ضعفهم وهوانهم وقلة حيلتهم في مقارعة الأعداء، فكانوا سببا من أسباب ضعف الأمة، وتجريدها من بهاء الانتصارات التاريخية التي عرفوا بها، فورثوا الملك من الآباء والأجداد العظماء لكنهم هانوا فأهانهم أعداؤهم:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص317–318–319.

[2] **نفسه**، ص301.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوافر

وما قدّرَ ابن يعرب سر ملك توارثه من الله الحميد
تسلّمه أبوه وكان شهما فسلّمه إلى عبد بليد[1]

ينظر العبوشي إلى الوطن العربي على أنه وطنه الكبير، فلا فرق بين فلسطيني وأردني، وعراقي وشامي، لهذا يظهر التداخل بين الشعر الوطني والشعر القومي في الأعمال الكاملة للعبوشي، لكننا سنضع حدودا فاصلة بين الوطنية والقومية؛ فالقومية هي حب الأمة والشعور بارتباط باطني نحوه، والوطنية هي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن.[2]

"فالعبوشي عصبيّ في قوميته، يؤمن أشدّ الإيمان أن السياسة الاستعمارية بفلسطين، ليست إلا حربا صليبية، وهو لا يؤمن بالسياسة والدبلوماسية، أو يعترف بهما، ولا يؤمن بالمعاهدات والمفاوضات، فهو رجل حرب، وجندي وطن، ولا غرو في ذلك، فهو يعتقد اعتقادا جازما أن لا حلّ لقضية البلاد إلا عن طريق الثورة، والثورة لا غير"[3].

كان العبوشي "مثقفا وواعيا، ومدركا لما يدور حوله من مؤامرات على وطنه، وكان يدعو لتجسيد الوحدة العربية، كي تتحطم عليها كل المؤامرات الرامية لاحتلال الوطن" [4]، يقول العبوشي في قصيدة "أبشر يا وطن العروبة":

الخفيف

لبيك سيضرمها بطل عربيّ الثار أيا وطني
فترى أعلامك خافقة من أرض القدس إلى عدن[5]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص86.

[2] انظر: الحصري، ساطع، **آراء و أحاديث في الوطنية والقومية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1984م، ص9.

[3] عبد الستار، إبراهيم، **شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية**، نادي الإخاء العربي، حيفا، 1947م، ص57.

[4] الخواجا، علي، **برهان الدين العبوشي**، ص6.

[5] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص92.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وها هو ذا العبوشي يذكّر مشاركة الإخوة العرب في التضحية والاستشهاد في سبيل فلسطين، من حيث هي حقيقة واقعة تستحق الإكبار والإعجاب، فينوه بأربعة شهداء، كل واحد منهم من قطر عربي:

الكامل

هذي قوافلنا التي نزهو بها خطت لأمتنا العلا بدمائها
هذا عراقي وهذا أردني قد أبليا لله في أعدائها
انظر إلى السوري يطفح نوره وإلى فتى لبنان سيف إبائها
لا تعجبوا هذي فلسطين لنا وجميعنا نفنى لأجل هنائها[1]

القومية العربية تشكل رمزا من رموز العزة والأنفة عند العبوشي، فنراه يفاخر بعروبته، ويباهي بانتمائه لبني العرب الذين منهم الرسول محمد – صلى الله عليه و سلم– والذين تعود أصول عائلته (العبوشي) إليهم[2]:

الرمل

أنا قوميّ وقوميّ أنا
أنا قوميّ وجدي يثربي أَرحم الخَلق وذا خُلق أبي
رايتي لا يعتليها أجنبي نسجتها كف حرّ يعربي
أنا قوميّ وقوميّ أنا
أنا قوميّ من العرب الأُباة كيف ينسى الحرّ في الضيق أباه
أميَ الفصحى بها نال مناه هادم العزى وأودى بعداه
أنا قومي وقومي أنا[3]

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص397.

[2] يعتقد أن أصول عائلة العبوشي من الجزيرة العربية ومن (نجران) اليمنية تحديداً. رسالة من سماك برهان الدين العبوشي، بتاريخ 16-5-2011.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص320.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هنا لم يقف العبوشي في شعره عند وطنيته، بل اتسعت دائرة شعره لتشمل القومية العربية التي يفخر بالانتماء إليها، فقد كان العبوشي سباقا إلى الدعوة للوحدة العربية التي تمثل حلمه وحلم كل المخلصين من أبناء هذه الأمة، يقول العبوشي في قصيدة "كنت سهما":

الرجز

انظر إلى الأفلاك في جوف السما تلتف حول الشمس كونا مفردا
وانظر إلى طير السماء كتيبة وأمامها فرد يطير مغردا
ترتاد دفء الأرض وهي جماعة جعل الإله لها المحبة موردا
فإذا دهاها النسر لفت حوله ورمته بالمنقار سهما مصردا[1]

ونراه يتغنى بأمجاد العروبة التليدة، وفعالهم الحميدة، ويحثهم على سرعة الوحدة ورص الصفوف، تظهر تلك الدعوة في غير قصيدة من قصائده ومن ذلك "الوحدة الكبرى":

مجزوء الكامل

يا إخوتي في القدس إخوان الكنانة والعراق
والمغرب الأقصى وصنعا ربّة الخيل العتاق
قد حن قلب اليعرب ي إلى التعانق والتلاقي
والروح عافت نأيها والدمع جفّ من المآقي[2]

ونراه يذكر الأمة بأيامها الخالدة ويطالبها أن تتعظ وتعتبر من سالف الأيام، فالسعيد من اتعظ بغيره، ثم يدعو الأمة أن توحد الصف لتكون على قلب رجل واحد، المغربي مع الأردني مع الفلسطيني مع العراقي...

البسيط

فيوم بدر وحطين لهم عبر وهل يساوي أخا بدر أخو كفر؟
إخوان بدر تراهم في سويسهم وفي دمشق وبغداد مع النذر
وفي فلسطين نذكيها ونقحمها كأنها عرسنا عنت على وتر
حي المغاربة الأبطال قد ربضوا وأسد عمان فوق المسلك الوعر

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص262.
[2] **نفسه**، ص213.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحـــي بغـــداد قـــد ثـــارت أشاوســـها أرضا وجـــوا وهـــزت رايـــة الظفـــر[1]

إن المتفحص لشعر العبوشي يجده تارة يمدح العرب وتارة يذمهم؛ فهو إن تحدث عن العرب كأمة نراه يمدحهم ويجزل في مدحهم؛ لما قدّمته الأمة العربية من دعم لصمود الشعب الفلسطيني، لكنه إذا تعرض لذكر زعماء العرب فإنه يهجوهم بأفظع الكلمات، فهم زعماء زور وبهتان، باعوا البلاد لقاء دريهمات، انظر إلى ما أورده في قصيدة "إلى الحرب":

الخفيف

قـــل لمـــن يـــدعي الزعامـــة زورا أيُّ نفـــــع جنيتـــــه للعبـــــاد
بعـــت شـــعبا وأمـــة وبـــلادا بأمـــان مصـــيرها للفســـاد[2]

أما شباب العروبة فهم أمل الأمة، وجيل المستقبل، عليهم يتوقف تحرير الوطن، ورد ما اغتصب منه إلى أهله، لا بالمعاهدات والحلول، بل بالقوة والجهاد:

الخفيف

سر إلـــى الحـــرب يـــا شـــباب ونـــاد كـــل ليـــث فـــدى العروبـــة صـــاد
يـــا شـــباب الـــبلاد مـــاذا ترجـــي أي عـــيش تعـــيش يـــا ابـــن الـــبلاد
أيـــن نفـــس ورثتهـــا عـــن أبـــاة أيـــن عـــزم ورثتـــه عـــن إيـــاد
دوحـــة الجـــد أهملـــت فتـــداعت قـــم تعهـــد غـــذاءها بالجهـــاد[3]

أما عن الأمل بالنصر رغم كل المصاعب، فله مكان، ومكان كبير في شعر العبوشي، فالإعصار – جيش العروبة– قادم وسينسف كل الحصون التي بناها العدو لحماية نفسه، وسيذيقهم من نفس الكأس التي شرب العرب منها، يقول العبوشي مخاطبا أعداء الأمة الذين شردوا أهل البلاد في قصيدة "الله جل جلاله":

مجزوء الكامل

يـــــا مجرمـــــون ترقبـــــوا غضـــب الإلـــه يحـــل غـــدْ
وترقبـــــوا جـــــيش العروبـــــة يـــــوم ينســـف كـــل ســـدّ

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص289.

[2] **نفسه**، ص324.

[3] **نفسه**، ص323–324.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويهـــب كالإعصـــار يقـــذف بالعقيـــدة مَـــن فســـد
لتـــذيقهم مـــا قـــد أذاقونـــا بـــأكواب الكمـــد[1]

ولم ينس العبوشي القسام وجماعته، الذين تجمعوا من كل حَدب وصَوب ، من كل أقطار البلاد العربية، تفشت فيهم روح العروبة، ونمّى القسام في نفوسهم حب الشهادة، فتنادوا إلى ساحات الوغى في فلسطين، باعوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله، من أجل تحرير فلسطين ليكونوا شوكة في حلق المحتلين:

الكامل

تبنـــى الممالـــك بـــالنجيع وتفتـــدى بجمـــاجم وتصـــان مـــن عنـــت الـــردى
يـــا عصـــبة القســـام لـــولا عـــزة فـــي الـــنفس مـــا ثـــرتم تلبـــون النـــدا
ثـــرتم علـــى كيـــد الغريـــب لنجـــدة الوطن الســـليب وعـــادة العـــرب الفـــدا
وغضـــبتم لله غضـــبة مـــؤمن فـــي دينـــه والله خيـــر منجـــدا
يـــا مـــن يقـــدم للـــبلاد حياتـــه أكرمـــت محتســـبا وعشـــت مخلـــدا[2]

إن القومية عند العبوشي ليست تلك القومية الضيقة التي تبعث على الانغلاق عن العالم، بل القومية المستمدة من القرآن الكريم، يظهر لنا ذلك من خلال قصائده التي يدعو من خلالها أمته إلى التمسك بالقرآن الكريم منهاجا لحياتها، فنراه يدعو العرب إلى نبذ الخلافات والتمسك بكتاب الله تعالى حتى يتخلصوا مما حلّ بهم من أرزاء، يقول العبوشي في قصيدة "الله جل جلاله":

مجزوء الكامل

لا تحســـبوا عـــزم ابـــن يعـــرب قـــد تبلّـــد أو جمـــد
فلـــدى العروبـــة دينهـــا نجـــم الفـــداء بـــه صـــعد
والله ينصـــرنا علـــيكم مَـــنْ ســـعى خيـــرا وَجَـــدْ[3]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص315.
[2] **نفسه**، ص231.
[3] **نفسه**، ص315.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يخلو كتاب الأعمال الكاملة للعبوشي من قصائد يمدح فيها الشعوب العربية الأبية، الشعوب التي أخذت على عاتقها سدّ الثغرة التي تركها الحكام خلفهم في خاصرة هذه الأمة، فأخذ العبوشي يمدح الشعوب الشامية والعراقية والمصرية...

الكامل

مـــالي إذا ذكـــروا الكـــرام ومجّـــدوا أحنـــو وأجلـــو للشـــآم وأســـجد
مســـتلهما حـــب الشـــام ودجلـــة والنيـــل والحـــرمين لا أتـــردد
ما بورســعيد ولا جنــين ســوى ســنا لبطولـــة العربـــي إن مـــدت يـــد
تجـــد الأخـــوة والفتـــوة والصـــفا والبلبـــل العربـــي عـــاد يغـــرد[1]

ونراه يمدح الجيش العراقي على وجه الخصوص، فالجيش العراقي قاتل باستبسال لحماية مدينة جنين من براثن اليهود، وقاتل العبوشي مع إخوانه العراقيين لحماية مدينته جنين، يقول في قصيدة "جيش العراق":

الكامل

قـــد بســـملت شـــفتي وســـبح خـــاطري لمـــا رأيتـــك واســـتراح جنانيـــا
لـــم لا وأنـــت مـــن النبـــي بقيـــة نظـــرت إليهـــا المـــثقلات روانيـــا
عوفيـــت جـــيش الأكـــرمين فســـر علـــى نهـــج النبـــي وكـــن لشـــعبك بانيـــا
فوقفـــت فـــي (جينـــين) أعلـــن ســـيركم وأزف للـــوطن الغريـــق تهانيـــا[2]

ولم ينس العبوشي مدح شباب مصر الذين ناصروا إخوانهم في فلسطين، فجادوا بأغلى ما يملكون لنصرة فلسطين وأهلها، ودافعوا عن وطنهم مصر في أكثر من حرب ضد الإنجليز واليهود والفرنسيين، يقول في قصيدة "فلتحيي مصر":

الكامل

مـــن ذا المـــدجج بالســـلاح مـــن ذا المهـــرول للكفـــاح

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص233.

[2] **نفسه**، ص218.- 219.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مـــن ذا الـــذي لـــبس النطـــا ق وصـــاح حـــي علـــى الفـــلاح
فـــــإذا تكلـــــم خـــــرّت ال خطبـــا ســـجودا فـــي البطـــاح[1]

وفي قصيدة "مصر" يعدد العبوشي الروابط التي تجمع مصر بالدول العربية المختلفة، ويشير لدور مصر العظيم في الدفاع عن بلاد العرب قاطبة، ويردد آيات المدح والثناء لمصر:

الطويل

سنا المجـد والعليـاء فـي النيـل بـارقُ وجـوّ المعـالي مـن سـجاياه رائـق
فلا شبل كـابن النيـل فـي حـبّ يعـرب ولا مثـل عـز النيـل تحـوي المفـارق
ففـي عزّهـا عـزّ لنـا لا نبيحـه ومن خيرها خيـر علـى العـرب دافـق
يوحـدنا التـاريخ والـدين والحجـا وإنـي بجمـع الشـمل لله واثـق
فنرفـع شـبل النيـل للأفـق ظـافرا وتسـعى فلسـطين لمصـر تعـانق[2]

وكان للجزائر بريق في شعر العبوشي إذ مدح شعب الجزائر بأكثر من قصيدة، فوصف نضالهم ضد الفرنسيين، وإقبالهم على الموت فداء لبلادهم، يقول في قصيدة "أنجدوا الجزائر":

الكامل

فـي المغـرب الأقصـى تـأجج نـار وتكلـم الرشـاش والبتّـار
وتضـمخ العربـي فـي سـاحاته بشـذا النجيـع وجنـدل الأحـرار
يمشون للمـوت الـزؤام كمـا مشـى أجـدادهم والطـارق المغـوار[3]

ثم أخذ يصف حال بلدان المغرب العربي، وهي تقاسي ويلات الاحتلال، وتناضل من أجل الحرية والاستقلال، ويطلب في شعره النجدة لهذه الدول؛ المغرب والجزائر وتونس:

الكامل

مـراكش تسـعى وتـونس أعولـت وابـن الجزائـر سـامه الجـزار
وأنـا وأنـت هنـا نعـاقر خمـرة أفـلا يحركنـا دم أو دار

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص111.
[2] **نفسه**، ص113-114.
[3] **نفسه**، ص101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن لم نثر فـــي وجـــه ظـــالمهم فـــلا كنـــا مـــن الإســـلام بـــل كفـــار[1]

أما عن الأنظمة العربية فقد صبّ العبوشي جامّ غضبه عليها، فهي سرّ الهزيمة النكراء التي حلّت بفلسطين، فقد تخاذلت ودبّ الشقاق بين صفوفها وكونت الدول العربية حلفين أحدهما عدو للآخر، فانتهز اليهود هذه الفرصة واستباحوا البلاد،ظهر ذلك جليا من خلال حوار ملؤه الأسى والحسرة دار بين شخوص مسرحية شبح الأندلس.

الكامل

الشاعر: الذنب ذنب العـرب كلهـم فـلا تنسوا خلافهم المشـين المـزدري
أمسى يقاتل كل جـيش وحـده متنـابذين وعيـن صهيـون تـرى
محمود: لو أنّهم دحروا العدو وهيمنـوا في الأرض ما عِبْتُ الخلاف المنكرا[2]

فقد سبب الخلاف بين الأنظمة العربية أن سيطر اليهود على معظم المدن، وهربت الجيوش العربية من الساحة الفلسطينية، ما سبب الهلع والرعب في قلوب السكان، فقد كان الناس يعقدون على الجيوش العربية الآمال في التحرير وطرد المحتلين "وقد عبر العبوشي عن أحزان الشعب وخيبة أمله، وجزعه الشديد لهذا الرحيل المفاجئ"[3]، فقد صور العبوشي هذا الشعور بحوار دار بين شخوص مسرحيته الشعرية (شبح الأندلس):

الوافر

سعدي: أحقا ترحلون
خليـــــــــــل: لقـــــد عجلـــــتم ولـــم تفرح بكـــم شـــمس الأصـــيل
محمـــود: أحقـــا رايـــة العربـــي تطـــوى ومـــا زال الأعـــادي قيـــد ميـــل
ومـــا زالـــت ســـرايا الخصـــم تعثـــو بـــأرض الله والـــوطن الجميـــل
إلـــى أيـــن الرحيـــل بنـــي أبينـــا أخفـــتم صـــولة الخصـــم الـــذليل[4]

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص101

[2] **نفسه**، ص494.

[3] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص225.

[4] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص496.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم يصف العبوشي جيش الإنقاذ الذي أسسته جامعة الدول العربية، فقد منع هذا الجيش تسلح المواطنين لأنه سيقوم بحمايتهم من اليهود، فسقطت المدن الواحدة تلو الأخرى وكأن الأمر متفق عليه مع اليهود، فكان ذلك أشد ما فجع به الناس، وأخذت الأنظمة العربية تغطي تقاعسها وتخاذلها عن نصرة أهالي فلسطين بالوعود والتظاهر، والخطب والحماس في الإذاعات، فندد العبوشي بهذا الموقف[1]، يقول العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس":

مجزوء الوافر

مضت صفد وحيفا ثم يافا منتهى حبّي
وما زلنا هنا ندعو إلى الحرب إلى الحرب
فهب الناس كلهم وكل الخير في الشعب
وباعوا الدار والمرعى ولم يبقوا سوى الثوب
فلم نجد السلاح وما تفيد حماسة القلب[2]

ولا أنسى في هذا المقام أن أذكر المقارنة التي عقدها العبوشي بين جاهزية اليهود للحرب، وجاهزية العرب لها كما وضّحها العبوشي بمسرحيته الشعرية (شبح الأندلس) وعلى لسان شخوصها:

الطويل

محمود (للجميع): علينا بهم
الشاعر: هيا
داود: أعدوا سلاحكم
عبدالله: وهل هم سوى أطفال صيد تلثموا
داود:

كذلك كانوا غير أن أمورهم بأيدي رجال علّموهم ونظموا
ونحن ولا يخفى عليك كما ترى نذود ولا رأس يقود ولا فم
إذا نحن قاتلنا فللدين والبقا فهيا اشتروا الأوطان مهما غلا الدم[3]

---

[1] انظر: **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص215.
[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص441.
[3] **نفسه**، ص463.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: الشعر الاجتماعي

لم يقف العبوشي في شعره عند الموضوعات الوطنية والقومية فحسب، بل جادت قريحته بأغراض الشعر؛ الوطني والقومي والديني والاجتماعي...، فجاء شعره معبرا أصدق تعبير عن طبيعة الحياة الاجتماعية في عصره.

نظر برهان الدين العبوشي إلى بني وطنه فرأى جلّ مجتمعه يقاسي ويلات الظلم والحرمان، تتحكم في أرضه فئة قليلة من الإقطاعيين والمتعاونين مع الاستعمار والاحتلال، وكان الفقر وضنك العيش سمة ملازمة لشعبه، فنظم شعره متمردا على شتى أنواع الظلم الاجتماعي التي كانت تسود مجتمعه في تلك الفترة. "والشاعر حينما يتصدى لأحد المظاهر التي تبدو شاذة غير مألوفة في مجتمعه، إنما يهدف إلى الإصلاح، والتوجيه، ورسم معالم الطريق السوي"[1]، يقول العبوشي في قصيدة "فيم افتخارك":

مجزوء الكامل

فـــيم افتخـــرت أبالمهانـــة والجهالـــــة والجمـــــود
ســـــبعون مليونـــا قـــد امتثلـــت ســـجودا لليهـــود
ذبحـــوا نســـاك الفضـــليا ت اليعربيـــــات الجـــدود
والطفـــل فـــوق نهـــودهن مُضَـــرَّجٌ بـــدم الشـــهيد
يصـــرخن وا عربـــا فصـــاح العلـــج قومـــك فـــي اللحـــود[2]

"وبدافع من الحرص الوطني، راح العبوشي يقدم نقدا ذاتيا للواقع النفسي المصاب بالضعف والتخريب والجهل"[3]، فالعبوشي يصف ضعف الحال، وقلة الحيلة، فقد أصبح اللاحقون يهدمون ما بناه السابقون، يقول في قصيدة "بيسان قبل ضياعها":

---

[1] عليان، محمد شحادة، **الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ط1، 1978م، دار الفكـــر للنشـــر والتوزيـــع، عمان، ص255.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص78.

[3] **الشعر الفلسطيني الحديث**، ص34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

تلــك العروبــة قــد بنــت وبناؤهــا عالي الذرى فانظر إلى البنيــان
أضــحى يهدّمــه بنــوه فحســرة فكأنمــا قــد شــيد للغربــان
يــا حســرتا للحــي ينظــر قبــره ويتيــه حــافر قبــره بأمــان
(السِّيبة)[1] الخضراء أضحت مســرحا لكلابهــم يــا ذلّــة الفرســان[2]

في غمرة الأحداث الجسام كان لزاما على الشعراء أن يضطلعوا بدورهم، فيخففوا معاناة شعبهم، ويعلوا من همته، فوجد الشاعر الفلسطيني نفسه مضطرا إلى أن يسخّر شعره ل "فضح الحكام ومهاجمتهم وإعلان النقمة عليهم، وعلى عرض صور المأساة، وحياة اللاجئين في مخيماتهم، وبكاء البلد الضائع، وبث روح الاحتمال والأمل، وخلق العزم والتفاؤل لدى أبناء وطنه استعدادا للجولة الثانية" [3]، انظر إلى صورة اللاجئين الفلسطينيين بعد النكبة، وروح الألم تغلف حياتهم، يقول العبوشي في قصيدة "الفداء":

الكامل

أفلــم يــر الآلاف لفّهــم العــرا وفــؤادهم متمــزّق يتفتــق
كــم درّة مكنونــة قــد شُــرِّدَتْ ترجو الطعــام ومــن حيــاء تطــرق
كم مــن وجيــه شــاب وهــو مُعَــزّزٌ قــد شــردوه ورذلــوه وأزهقــوا[4]

ثم لا ييأس الشاعر مما لاقاه أبناء جلدته من أسى ومهانة وتشرد، بل يدعوهم إلى الصبر، ويدعو العرب إلى التوحد لدفع الخطر، حيث يقول في نفس القصيدة:

الكامل

فــانهض فإنــك قــد خلقــت لمعمــع إن المناصــب للبطولــة مزلــق
فمتــى أرى علــم العروبــة واحــدا مــن تحتــه جــيش الفــدا يتــدفق

---

[1] قطعة أرض دائمة الخضرة، مرحت فيها خيول خالد بن الوليد يوم فتح بيسان.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص54.

[3] **شعر المقاومة الفلسطينية- دوره وواقعه في المنفى 1948-1967**، ج3، ص31.

[4] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص257- 258.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الفـــداء أجـــل فضـــل يبتلـــى فيـــه الإبـــاء والعـــز فيـــه يشـــرق[1]

أما عن دعوته أبناء قومه من اللاجئين للصبر، فمبعثه أنهم ليسوا وحدهم في الميدان، بل هم جزء من أمة، وستستفيق هذه الأمة في يوم من الأيام لتعيد الوطن السليب إلى أهله، يقول في قصيدة "يا أخي اللاجئ":

الرمل

يـــا فتـــى المقـــدس اصـــمد لـــلأذى كـــن حديـــدا حاميـــا قلبـــا ويـــدْ
واحمـــل الـــنفس علـــى الصـــبر فمـــا ينفـــع البـــأس إذا الصـــبر نفـــدْ
أيهـــا اللاجـــئ يـــا كـــبش الفـــدا أنـــت علمـــت الـــورى الجـــود فَجُـــدْ
لا تقـــل إنـــي غريـــب هـــا هنـــا إنمـــا أنـــت أصـــيل مـــن (مَعَـــدْ) [2]

"لقد تناول الشعراء بنقدهم البخلاء، والأثرياء الذين يضنون بأموالهم على الفقراء، وعلى أعمال البر والخير، وحملوا على المنافقين والمتكبرين"[3]، فهذا العبوشي يشن حملة إعلامية شعواء على أولئك الذين ينفقون أموالهم هنا وهناك على الفتيات اليهوديات، ويتركون اللاجئات الضعيفات دون أن ينفقوا عليهن شيئا ولو بسيطا، انظر الى قصيدة "فيم افتخارك":

مجزوء الكامل

قل أيـــن حَـــيَّ علـــى الصـــلاة وأيـــــن إيتـــــاء الزكـــــاة
أعطيتهـــــــا للزانيـــــــات ومـــا خجلـــت مـــن البكـــاة
ومـــن الحفـــاة، مـــن العـــراة العائشـــين علـــى الفتـــات
ومـــن البنـــات الطـــاهرات الفاتنـــــات التائبـــــات[4]
الهائمـــــات النادبـــــات الصـــــابرات المؤمنـــــات[5]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص258– 259.

[2] **نفسه**، ص70– 71.

[3] **الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص255.

[4] المقصود من هذا البيت الفتيات الفلسطينيات اللاجئات اللائي ذللن بعد عز.

[5] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص78.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كانت فاجعة سقوط المدن تهزّ العبوشي، ومن ذلك سقوط اللد والرملة، فتوجع برهان الدين العبوشي لمصير البلدين وأهلهما بحرارة وألم، وبكى بيأس ومرارة لما حل بهما من التعاسة والشقاء، وما نكبوا به من الذل والتشريد، كما صورها العبوشي بلسان شخوص مسرحيته الشعرية "شبح الأندلس":

الوافر

الشاعر:

لقد عِفْتُ القتال وعِفْتُ نفسي وعِفْتُ العرب والوطن المبيعا
فهذي (الرملة) البيضاء ضاعت بلا حرب ولم تقبل خنوعا
فدافع أهلها عنها وثارت كرام اللد قد أنفوا الهجوعا
تعالوا فانظروا تسعين ألفا بلا مأوى قد افترشوا الربيعا

صالح:

فكيف يطيب للعربي عيش إذا فقد الأحبة والربوعا[1]

ولم يكتف اليهود بطرد الفلسطينيين من أرضهم وقراهم بالقوة، بل ارتكبوا المجزرة تلو الأخرى وذلك من أجل إلقاء الخوف والرعب في قلوب السكان، وحملهم على الفرار من بلادهم خوفا، ومن أهم هذه المجازر؛ مجزرة "دير ياسين"[2] وقد قتل فيها نحو مائتين وخمسين فلسطينيا، وإلى هذه المجزرة أشار برهان الدين العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس" قائلا:

الكامل

وبدير ياسين مذابح قد جرت فيها دم الشهداء كالأنهار[3]

ولم يكتف العبوشي بوصف المذابح التي ارتكبتها العصابات الصهيونية ضد أبناء شعبه، بل وصف الجرائم الوحشية التي كان الإنجليز قد ارتكبوها، يقول في قصيدة "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص490.

[2] حدثت في بلدة دير ياسين غربي القدس في 9 إبريل عام 1948م على يد العصابات الصهيونية.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص439.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البسيط

أرهقتمونـــا وقَـــرَّبتم منايانـــا والیـــوم تبغوننـــا ننســـى ضـــحايانا
لـــم تتركـــوا فوقهـــا أنثـــى ولا ذكـــرا إلا قتلـــتم لـــه أهـــلا وأخـــدانا[1]

ويقدم العبوشي صورة مظلمة لما آلت إليه الأمور بعد النكبة، فقد تغير وجه الأرض، وأقفرت الديار، وتزعم الطاغوت البلاد، وانتشر الهم والأسى، وغمت القلوب:

الطويل

تغير وجـــه الأرض واشـــتط حكمهـــا وأقفـــر ناديهـــا ومؤنســـها ولـــى
تزعمهـــا الطـــاغوت فـــالحق واجـــم وحاكمهـــا بـــاغ ومحكومهـــا مـــولى
تلبّد فـــي أحشـــائها الهـــمّ والأســـى وأمعن فيها فهي من غيظهـــا حبلـــى[2]

وسادت البلاد الفوضى والشقاق، وامتدت الخصومات، فدعا العبوشي إلى توحيد الكلمة، ورصّ الصف الوطني، وتأليف القلوب، جاء ذلك في قصيدته "استفيقوا":

الكامل

هـــذا الـــدخيل لقـــد تـــربص أن يـــرى فينـــا الشـــقاق ليســـتبد ويظلمـــا
فلـــم التنابـــذ والشـــقاق وافقنـــا مـــن جهلنـــا أضـــحى علينـــا مظلمـــا
ضاع الـــذي قـــد ضـــاع فليبـــق الـــذي يـــؤوي حفيـــدكم إذا مـــا يُتمـــا[3]

ولم ينسَ العبوشي فئة الإقطاعيين وملاك الأرض من النقد، فقد "أنكر على الطبقات العليا استغلالها جهود الشعب، وابتزازها أمواله، ويصمها بالسعي في هلاك الشعب واستعباده، فالعبوشي يهاجم الإقطاع بصراحة، ويدعو إلى سقوطه وتحرير الفلاح من رقّه، ويرى فيه أصل البلاء، ويحمل على الطبقة الإقطاعية، فيحرم استعبادها الفلاحين واستغلالها إياهم على لسان فلاح فقير"[4]:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص119.
[2] **نفسه**، ص175.
[3] **نفسه**، ص163.
[4] **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

كأنّمـــا الموســـر المغـــرور طينتـــه ... من غيـــر طينتنـــا فاحتـــال واحتقـــرا
يـــا أمتـــي إنمـــا الإقطـــاع آفتنـــا ... متـــى أراه تـــولى عنـــك وانـــدثرا
كنـــا عبيـــدا بـــه والـــرق حرمـــه ... رب البريـــة والإنســـان مـــا ازدجـــرا
فليســـقط الـــرق ولتســـقط حكومتـــه ... ولتعـــل حريـــة الفـــلاح والفقـــرا[1]

ثم يعقد العبوشي مقارنة بين حال الفلاحين الفقراء، وحال الإقطاعيين ملاك الأرض، فيظهر البؤس والشقاء في بيت الفلاح المسكين، وتظهر السعادة والنعيم في بيت الإقطاعي الثري فينكشف وجه الاستغلال، هذا ما يظهر من خلال قصيدة "أيها الشعب":

مجزوء الكامل

فلاحنـــــا فـــــي حقلـــــه يـــــش ... قـــــى ومُثرينـــــا بـــــأنس
والعامـــــل الجبـــــار يـــــد ... أب فـــــي الشـــــقا يغـــدو ويمســـي[2]

ثم ينكر العبوشي على الإقطاعيين النهب والاستغلال والابتزاز، ويعزز دفاعه عن الفلاحين، وهذا يدل على صدق تجربته الطبقية، وانتمائه بإخلاص إلى الفلاحين[3]، يقول العبوشي في مسرحية "وطن الشهيد":

الرمل

نحـــن أبنـــاء القـــرى منـــا الفـــدا ... وعلينـــــا أن نلبّـــــي المطلبـــــا
نحـــرث الأرض ونرعـــى زرعهـــا ... وعلـــى ذئـــب الحمـــى أن ينهبـــا[4]

ولأنه شاعر شابّ كان متفهما لحاجات الشباب، فدعاهم إلى التسلح بالعلم والأخلاق الحسنة، وحفزهم لمحاربة أعداء الأمة، وعدم اليأس والقنوط، فقد ظلّ العبوشي "يخاطب فتية

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص34- 35.
[2] **نفسه**، ص154.
[3] انظر: **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص101.
[4] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص402.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العرب أن يغسلوا العار بالدم، وإلا خسروا الباقي من أوطانهم، لأن أطماع اليهود تتمدد على الأرض كلها"[1]، تتجلى هذه الدعوة في قصيدة "دعانا النفير":

المتقارب

تَجلّـــى الشـــباب ورفَّ العلـــم تلـــوح عليـــه رمـــوز الهمـــم
عبيـــر الجهـــاد وعـــزم الشـــباب وحـــب الحصـــيد وخـــط القلـــم
دعانـــا النفيـــر فثرنـــا إليـــه نصـــون الحـــدود ونرعـــى الـــذمم[2]

وقد حارب العبوشي في شعره آفات الشباب التي كانت تحول دون قيامهم بمهامهم على أكمل وجه، ومن هذه الآفات التدخين، يقول هائل لمارد – وهما من أشخاص مسرحية الفداء–:

الوافر

هائل لمارد: دع التدخيـــن فهـــو لنـــا عـــدوّ
ضـــرار: ويفضـــحنا وقـــد وجـــب الخفـــاء
مارد:

صـــدقت فإننـــا فـــي حـــال حـــرب فـــلا هـــزل ولا نـــور يضـــاء
يضـــيق الصـــدر منـــه إذا ســـعينا وكيـــف تحـــبّ شَـــرّاً وهـــو داء[3]

وكذلك الخمرة التي تذهب بالألباب وتقتل القلوب، وتجلب الفواحش، حيث تقول فاطمة لعياض – في مسرحية الفداء–:

الوافر

فاطمة لعياض: ولا تنس الخمور وما إليها يضيـــع الســـر فيهـــا
عياض:
والإبـــــاء
سعيد: وتقتل قلب شاربها فكونـــوا علـــى حـــذر وعندكـــم الذكـــاء

---

[1] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في المنفى 1948–1967**، ج3، ص49.
[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص320.
[3] **نفسه**، ص579.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هائل: معاذ الله أن نرضى رفيقاً يعاقرهـا ويغريـه البغـاء[1]

ولم ينسَ العبوشي ظاهرة الفقر التي كانت منتشرة آنذاك، بين طبقة الفلاحين والعمال، فقد عاب على أبناء وطنه إغراقهم في اللذات بينما إخوانهم يتضورون جوعا:

مجزوء الكامل

يـــا آكـــلا مـــال الفقيـــر يـــا راقـــدا فـــوق الحريـــر
أنّـــى لعيشـــك أن يطيـــ ب وذا أخـــوك علـــى الحصـــير
تمســـي و تصـــبح فـــي اللذائـــذ وهـــو فـــي العـــيش المريـــر[2]

وقد ألقى الفقر بظلاله على بعض طلاب العلم، حيث سأل برهان الدين العبوشي عن أسباب تغيب أحد طلابه النجباء عن مقاعد الدراسة مدة طويلة؛ فقيل له أن ذلك الطالب قد غيبه موت والده وما تبع ذلك من الجوع والفقر، فأسف العبوشي على ذلك الطالب:

البسيط

رأيتـــه ملَكـــا فـــي جلـــد إنســـان في وجهـــه صـــفرة المحمـــوم والعـــاني
فـــي كفّـــه قلـــم كـــادت أناملـــه تلقيـــه مـــن فـــرط إعيـــاء وخـــذلان
يقلـــب العـــين فـــي الأوراق يدرســـها فينثنـــي وكـــأنَّ الحـــرف حرفـــان
وكان فـــي الأمـــس ذا جـــدّ وذا جلـــد يجـــود إن نطـــق الفصـــحى كســـحبان
ســـألت عنـــه فقـــالوا مـــات والـــده فبـــات فـــي شـــظف مـــرّ وحرمـــان
الجـــوع أقعـــدهم عـــن نيـــل غـــايتهم ولـــو أُغِيثـــوا لكـــانوا خيـــر إنســـان[3]

وقد ألقى العبوشي باللائمة على الاحتلال وأذنابه في تسميم الأجواء الأخلاقية بما يفسد نقاءها ورونقها، فالشباب رمز العزة والفتوة، أصابهم الوهن والضعف، وأعرضوا عن الاهتمام بشؤون الوطن المسلوب، وأقبلوا على الغواني، فأخذ العبوشي في قصائده يصف تلك الفئة من الشباب، يقول العبوشي في قصيدة "تمادى الليل":

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص579.
[2] **نفسه**، ص154.
[3] **نفسه**، ص90.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوافر

تمـــادى الليـــل واســـتهوى حنـــاني ... فبِـــتُّ أعـــدّ للصـــبح الثـــواني
تقلبنـــي الهمـــوم علـــى فراشـــي ... فريـــدا والشـــباب مـــع الغـــواني
رمانـــا بالخبائـــث والـــدنايا ... ودنّـــس فيـــه أخـــلاق الحســـان
وزَيَّـــن للشـــباب الخُبْـــثَ حُسْـــنا ... ومـــا علمـــوا بـــأن الخبـــث جـــان
وصـــرت تـــرى الفتـــى يختـــال عجبـــا ... بمفرقـــه وألـــوان الـــدّهان
يـــرخم صـــوته ويمـــيس دلا ... كـــأنثى تســـتعد إلـــى قـــران[1]

ثم ينصح الشاعر الشباب للتخلص من آفة فساد الأخلاق، واتباع الغواني، أن يلجؤوا للزواج من الفتيات الشريفات العفيفات، حيث يقول العبوشي في نفس القصيدة:

الوافر

إذا مـــا اختـــرت عرســـك ذات يـــوم ... فخذ من قـــد حـــوت شـــرف المعـــاني
فزوجـــك نصـــف كونـــك إن توفـــق ... فقـــد أنجيـــت نســـلك مـــن هـــوان[2]

ولم ينس برهان الدين العبوشي في شعره الاجتماعي أن يؤرخ للقضايا الاجتماعية الشخصية، فقد نظم الشعر بمناسبة ميلاد وَلَدَيْه "سماك وحسن"، فبعد عراك طويل مع الحياة، وتقلب على قتاد الشعر والنفي والتشريد، وبعد سهر طويل، وعذاب مرير، وجهاد عظيم بالنفس والنفيس على المكاره والحرمان في سبيل العروبة والاسلام، وقع برهان الدين العبوشي على نصفه الضائع عام 1952م، وإذا به يستقبل مولودا ذكرا عام 1953م،[3] يقول العبوشي في قصيدة "سماك العبوشي":

الكامل

ولدتك أمُّـك فـي الربيـع فهـل تكـون لـي الربيعـا
ولدتك أمك وهـي فـي فـكّ الـردى تـذري الـدموعا

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص312.
[2] **نفسه**، ص312.
[3] انظر: **نفسه**، ص93-94.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولـــدتك فاســـتقبلت بالبشـــرى وبُوِّئْـــتَ الضـــلوعا

فعلـــى جبينـــك صـــورة الجنـــدي قـــد شـــرب النجيعـــا

وعلـــى مُحَيّـــاكَ الهدايـــة صَـــيّرَتْكَ فتـــى رفيعـــا

فاعلم وكن للعرب يا ابنـــي الـــدرع والحصـــن المنيعـــا[1]

وكذلك نظم العبوشي قصيدة "ولدي حسن" وهو ابنه الثاني، وكان الشاعر حينها يُدرّس في مدينة النجف العراقية، وأظنّ أنه سماه "حسن" تيمنا بالحسن بن على بن أبي طالب– رضي الله عنهما–، فسيدنا علي يرقد في مدينة النجف، وقد ذكر لي سماك العبوشي أن والده سمّى ابنه الثاني (حسن) احتراماً وتقديراً من والده الشاعر الراحل لاسم جده حسن قاسم العبوشي وإكراماً له، وهي عادة اعتاد عليها أبناء العروبة في تسمية أبنائهم باسم آبائهم وأجدادهم [2]:

الرمل

حســـن هـــلّ فأرْحِـــب بالحســـنْ إنّـــه نـــور مبيـــد للحـــزنْ

لاح كالومضـــة فـــي جـــوف الـــدجى فرأيـــت البشـــر فيـــه والمـــنن

وقـــرأت الـــيُمْنَ فـــي غُرَّتـــه فهفـــا قلبـــي إلـــى قلبـــي وحـــن

فـــارع حـــقّ الله فـــي الأهـــل وسِـــر في طريـــق العـــرب درعـــا للـــوطن[3]

وأخيرا فإنَّ "للشعر الاجتماعي رسالة تنبثق من رسالة الأديب في المشاركة الوجدانية في أحداث الأمة وأمانيها وآمالها وهمومها في كل المجالات ...، وهذه المجالات على تنوعها وتباينها تحتاج إلى ذلك الشعر الذي يعيش الحياة وللحياة، وينفعل بالأحداث، ويصور تلك الأحداث، ومن هذا المفهوم الاجتماعي للكلمة يصبح الشعر الذي لا يحمل رسالة ولا يخدم هدفا اجتماعيا– يصبح نوعا من الأصوات المجردة "[4].

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص94.

[2] رسالة الكترونية من سماك برهان الدين العبوشي بتاريخ: 14–7–2011.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص126.

[4] الفار، مصطفى محمد، **الشاعر أبو سلمى أديبا وإنسانا**، المؤسسة العربية للدراسات والنشـــر، ط1، 1985م، بيـــروت، لبنان، ص75 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: الشعر الديني

ينطلق الشاعر في الاتجاه الديني من تصور ديني في نظرته إلى الكون والإنسان والحياة، وفي نظرته إلى القضايا والأحداث، والأشخاص والمشكلات، وفي تعبيره عن العواطف والمشاعر[1]، والأشعار الدينية حاضرة بكثرة في شعر العبوشي، ومن ذلك قصيدة "يوم النبي" حيث تغنّى بعزة الإسلام، وتمام هذا الدين:

الكامل

الله أكمـــــل دينـــــه وأتمهـــــا نعمـــا تفـــيض وعـــزة تتـــألق
هـــي عـــزة الإســـلام لا عـــوج بهـــا دان الغـــروب لهـــا ودان المشـــرق
ســـنا بهـــا الـــدنيا وســـنا ملكهـــا سل قيصـــرا والفـــرس أنّـــى أزهقـــوا
فينـــا كتـــاب الله يـــنظم عقـــدنا كسلاســـل للـــدرع لا تتشـــقّق[2]

ومن ذلك قصيدته في مدح رسول الله – صلى الله عليه وسلم- "رسول الله البطل الخالد" حيث يقول:

الطويل

تغلغل فـــي قلبـــي النـــدي حُـــبُّ (أحمـــد) فَحِـــرْتُ بـــأي اللفـــظ أمـــدح ســـيدي
ومـــاذا تـــرى أجـــزي الـــذي ردد اســـمه مع اســـم إلـــه الكـــون عنـــد التشـــهد
لقـــد غنـــت الورقـــاء شـــوقا لـــذكره وعيش الفـــلا حَنَّـــت وهامـــت بأحمـــد[3]

ثم ينتقل العبوشي في أبيات رائعة من نفس القصيدة ليصف القرآن الكريم، فهو ينبوع العلم والهداية، وهو الفرقان، بل مصدر الحق السرمدي:

الطويل

كتاب هـــو الفرقـــان مـــا بـــين ظلـــه وحـــق وإنّ الحـــق فيـــه لســـرمدي

---

[1] عطوات، محمد، **الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر**، www.bab.com .

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص127-128.

[3] **نفسه**، ص322.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتاب هــو الينبــوع للعلــم والعلــى هو النــور يفضــي للطريــق المعبــد[1]

ثم يبين فضل القرآن الكريم على الغرب قبل الشرق، وعلى الأعاجم قبل العرب:

الطويل

فلولاه ظل الغــرب فــي غربــه غبــي ولولاه ظــل الشــرق فــي شــرقه صــدي
ولــولاه مــا قامــت ليعــرب دولــة تســامت بهــا الــدنيا وســارت لفرقــد[2]

"كان برهان شابا وطنيا متدينا، امتازت ثقافته بطابعها الديني، ويظهر ذلك جليا في شعره.. ومن ذلك قصيدته "في الرسول" التي نظمها بمناسبة الإسراء والمعراج، وهي أقرب ما تكون للنشيد"[3]:

فــي البكــورْ فــي حمــى الكعبــة طــاف نــورْ
يســتجيرْ أمتــي أمتــي يــا غفــورْ
انصــر المــؤمنين واحفــظ المســلمينْ
مــن أذى العــابثين يــا إلهــي الــرحيمْ
أمتــي قــد تــولى الغريــب قبلتــيْ
فــاثبتي للزمــان المريــبْ اثبتــيْ
أبشــري لــن يســود فــي حمانــا اليهــودْ
اقصــفي يــا رعــود واخفقــي يــا بنــودْ
وازحفــوا يــا جنــود واســتعيدوا القــديمْ[4]

ومن إبداعاته الشعرية الدينية تضمين شعري على وزن واحد وقافية واحدة لأسماء سور القرآن الكريم، اقتبس أبياتها من سور القرآن الكريم كلها، ووضع اسم كل سورة عنوانا لبيت أو أبيات شعرية اقتبسها من السور "والقصيدة مليئة بالحكم والمواعظ والتعاليم الإسلامية التي وردت في القرآن الكريم"[5]، حيث يقول برهان الدين العبوشي "كنت أظن أن أحدا لم يسبقني إلى

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص322.

[2] **نفسه**، ص322.

[3] **أدباء من جبل النار**، ص63.

[4] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص128.

[5] **أدباء من جبل النار**، ص64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما عزمت عليه، وتبين لي بعد ذلك أن أحد أدباء الفترة المظلمة قد سبقني بنظم السور الكريمة بقافية مختلفة على غرار ألفية ابن مالك"[1]، يقول برهان الدين العبوشي في قصيدة "الفرقان":

الوافر

آل عمـــران

وكانـــــــت آل عمـــــــران وفـــــــاءً تمـــــد نســـــاءنا بِـــــرّا و طُهـــــرا

النســـاء

فـــــآلاء النســـــاء تجـــــل فعـــــلا وتمـــــنح قلبنـــــا حبـــــا وقـــــدرا

الأنعـــام

وأنعامـــــا رأينـــــا الخيـــــر فيهـــــا يزيـــــد نتاجهـــــا لله نحـــــرا

الأعـــــــــــــــــراف والأنفـــــــــــــــال

و للأعـــــراف نـــــور أي نـــــور يـــــتم بهـــــا ســـــنا الأنفـــــال بـــــدرا

هـــــــــــــــــود ويوســـــــــــــــف

وحســـبك عبـــرة أصـــحاب هـــود ويوســـف إذ رمـــاه ذووه مكـــرا[2]

إلى أن ينهي تضمينه الشعري القرآني بسورتي الفلق والناس:

الوافر

أعـــوذ بخـــالق فلقـــا صـــبيحا بـــرب النـــاس والأكـــوان طـــرا

مـــن الشـــيطان إنســـانا وجنـــا مفـــرق أمـــة الإســـلام شـــذرا[3]

ويعيب العبوشي على الشعراء مباركتهم لأنفسهم بشعر الغزل والصبابة، والبعد عن نظم الشعر الديني "ما بال الشعراء يباركون انفسهم بشعر الصبابة والغزل ومدح الحاكمين، ولا يتقربون لخالق هؤلاء وخالقهم بشعر تفوح منه روائح الجنة، وتطمئن به قلوب المؤمنين، وتصحو به قلوب الغافلين، ويستلهم به الطلاب والشباب معرفة خالقهم، فينسجون نسج الصالحين

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص275.

[2] **نفسه**، ص277–278.

[3] **نفسه**، ص286.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجاهدين، فيكسبون العزيمة والعز والعمل، ويسعون إلى طلب العلم الصحيح، فيستقيم لهم درب البر والايمان وحب الوطن والعز والجاه"[1]، يقول العبوشي في قصيدة "الفداء":

الكامل

لا بـــأس فـــالهَمُّ العـــريض شـــعارنا هَـــلَّ القـــريظ وغيرنـــا يتغرنـــق
زاد الاديـــب همومـــه، وشـــرابه مـــن جرحـــه لا خمـــرة تتعتـــق
أفشـــاعر مـــن قـــام ينشـــر عهـــره وهـــو الـــذي مـــن بـــؤرة يتســـوق
يحســـو الشـــراب مـــع البنـــات كأنـــه بنـــت تغـــنج يَسْـــتحّفُ ويحلـــق
ما كـــل مـــن ركـــب المنـــابر فـــارس أو كل مـــن نظـــم القصـــيدة مفلـــق[2]

ثم يهاجم العبوشي أولئك الشعراء الذين أفسدوا على الناس العادات والتقاليد، فالمعاني عند العبوشي منتزعة من تربة القرآن الكريم، لا من الصبابة والخنوثة، بل يشن العبوشي حربا شعواء على الشعراء الذين تركوا قضيتهم، وراحوا يفسدون شباب الأمة بأشعارهم، بل يدعوهم أن يقتدوا بعنترة وأبي فراس:

الكامل

النثـــر والشـــعر القـــديم فخارنـــا ويريـــد عيبهمـــا ثويـــب أبـــرق
إنـــا لنغتـــرف المعـــاني حـــرة مـــن تربـــة القـــرآن يـــا متزنـــدق
بينـــي و بينـــك يـــا خليـــع عـــداوة مـــا دمـــت تهـــدم أمتـــي وتُـــزَوّقُ
إن الأديـــب الحـــر ينثـــر ريشـــه للمســـتجير وفـــي المعـــارك بيـــرق
كـــأبي فـــراس أو كعنتـــرة الـــذي خلقتـــه عبلـــة ليـــث غـــاب يســـحق[3]

ومن قصائده الدينية الاجتماعية الرائعة، قصيدة بعنوان "الحيمن[4] الإنسان" اقتبس معانيها من القرآن الكريم، ففي القصيدة لمحات علمية فلسفية لطبيعة خلق الإنسان، وفيها عرض موجز لمراحل خلق الإنسان في بطن أمه، منذ كان نطفة إلى أن يصل إلى التراب، يدعو فيها بني

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص275- 276.

[2] **نفسه**، ص257.

[3] **نفسه**، ص257.

[4] يبدو أن لفظة "حيمن" منحوتة من حيوان منوي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البشر إلى التواضع وعدم التكبر، وفكرة القصيدة مستمدة من الآية الكريمة "فَلْيَنظُرِ ٱلإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ"[1]:

البسيط

يا (حيمنا) سال من ظهر إلى رحم حتى استقر على وهن وفي وخم
قل لي أكنت زعيما في الحشا ملكا أم كنت فيه أميرا غير مهتهم
أم كنت فيه جبانا لا تطيق فدى أم عالما خاض بحر العلم والحكم
ومذ برزت تلقفتك المنون يدا فرحت تصرخ يا مجنون من ندم
وإن غدوت قويا رحت منسجما مع الغرور نسيت الماء في الرحم
كما نسيت الذي سواك مضغته فرحت تكفر بالرحمن ذي الكرم
غدا تعود لبطن الأرض تسألها نزلت من رحم أشقى إلى رحم[2]

كما أن القصيدة تحتوي من الأبيات ما يدعو به الشاعر للتفكر بعظمة خلق الله علاوة أن الشاعر أراد بأبيات القصيدة أن يقرّع قادة العرب، ويستهجن فيهم روح التغطرس والكبر والجبروت وخيانة الأوطان، ... نستشف ما كان الشاعر يرمي إليه من خلال قوله:

البسيط

قل لي أكنت زعيما في الحشا ملكا أم كنت فيه أميرا غير مهتهم
أم كنت فيه جبانا لا تطيق فدى أم عالما خاض بحر العلم والحكم[3]

وعندما أدى العبوشي فريضة الحج عام 1974م، نظم الشعر الديني الذي يملأ النفس طمأنينة وراحة، فوصف شعائر الحج بتفاصيلها، وذكر الأمن والنظام، وعفاف الألسنة، ونقاء القلوب، وسمو الأفكار، يقول العبوشي في قصيدة "يا رب":

البسيط

لبيك لبيك يا ربي و يا سندي نزعت ثوبي وقد هرولت بالجسد

---

[1] **سورة الطارق**، آية 5.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص245- 246.

[3] **نفسه**، ص245.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سـعيت يـا رب مـن بغـداد متـزرا أبغـي رضـاك وأرجـو النصـر للبلـد
فَلَبِّ يـا رب مـا أرجـو فـإن يـدي مُـدَّتْ إليـك و قلبـي ذل فـوق يـدي
وليس لي مـن أرَجِّيـه فيغفـر لـي سوى الذي سـمك الجـوزا بـلا عمـد[1]

ثم أردف حَجَّته الأولى بثانية عام1978م، وأعاد رسم الصورة الدينية الرائعة لمظهر الحجاج يطوفون ويسعون مسبحين مهللين، يحدوهم الأمل بالعفو والمغفرة، يقول العبوشي في قصيدة "نور مكة":

الوافر

تحـرك ركبنـا والشـوق نـام يهـيج بنـا إلـى البيـت الحـرام
يكـاد الليـل يبكيـه دُعانـا وتحرقـه تسـابيح الكـرام[2]

ولا يقتصر دعاء الحجاج لأنفسهم، بل يدعون مبتهلين أن ينصر الله أمة العرب والمسلمين، وأن يقيض لها حكاما يحفظون البلاد والعباد:

الوافر

إلـه الكعبـة الغـراء إنّـي قصـدت نـداك قصـد المسـتهام
لتمـنح أمتـي رأسـا سـليما يصـون بعقلـه حفـظ الـذمام[3]

وللكعبة المشرفة حصة من شعر برهان الدين العبوشي الديني، فهي ملجأ الأرواح، تطرب الأذن وتلذ لسماع التسبيح والتهليل في رحابها، إذا ضاقت الدنيا بالعبد فلا ملجأ إلا إلى الله في رحابها المقدسة، يقول العبوشي في قصيدة "حنانك بيت الله":

الطويل

حنانك بيـت الله يـا سـرحة الهـدى ويـا ملجـأ الأرواح يـا كعبـة الفـدا
أتيتـك والإيمـان يغمـر خـافقي ويطـرب أذنـي بالتسـابيح والصـدى
فلا بيـت إلا أنـت يسـعف مهجتـي ولا رب إلا الله يرحمنـي غـدا

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص291.
[2] **نفسه**، ص294.
[3] **نفسه**، ص295.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا ضـــاقت الـــدنيا بعبـــد فمـــا لـــه ســـوى الله ينجيـــه إذا دهـــره عـــدا[1]

ولم تتفرد الكعبة المشرفة بشعره من بقية المساجد، بل نظم العبوشي شعره داعيا أمة المسلمين لبناء بيوت الله، فهي الملاذ للنشء، ومن شعره في ذلك قصيدة بعنوان "مسجد الفاروق" أرسلها لمحافظ بغداد عام 1971 يدعوه لإتمام بناء المسجد:

السريع

الجـــامع المحـــزون فـــي حَيِّنـــا فـــي (حَـــيٍّ تمـــوز) حليـــف الألـــم
الجـــامع المحـــزون مـــا ذنبـــه حتـــى تـــوارى عنـــه أهـــل الـــذمم
فـــالخير كـــل الخيـــر فـــي مســـجد يســـتقبل الـــنشء ويعلـــي الهمـــم[2]

ويتحسّر برهان الدين العبوشي لما آل إليه حال أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، فالصخرة المشرفة في المسجد الأقصى تندب، وكنيسة القيامة تستغيث، لا ترى أنّى نظرت سوى الكآبة والحزن، يقول العبوشي في قصيدة "لهفي على القدس":

مجزوء الكامل

لهفـــي علـــى القـــدس الشـــريف قـــد عـــاد كالشـــبح المخيـــف
الصـــخرة الغـــراء تنـــدب والقيامـــة كـــالخريف
قـــد أصـــبح الإنجيـــل نســـيا والمصـــاحف فـــي الرفـــوف
أنّـــى نظـــرت فـــلا تـــرى غيـــر الكآبـــة والكســـوف[3]

وبمناسبة إحراق المسجد الأقصى نظم العبوشي قصيدة يقدح فيها بالعرب والمسلمين على السواء، فالضعف والمهانة والذل، سمات تطغى على حكام العرب والمسلمين، ولا يوجد من يحرك ساكنا ليوقف اليهود عند حدهم، بل يصل بهم الأمر إلى ممارسة شعائر الإسلام خفية خوفا على مناصبهم، يقول في قصيدة "الأقصى الحريق":

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص296.
[2] **نفسه**، ص309.
[3] **نفسه**، ص136.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

صـــوموا ضـــعافا ثـــم صَـــلّوا خفِيـــة واستقســـــــموا بكرامـــــــة الأزلام
لستم مـــن الإســـلام فـــي شـــيء وإن كنـــــتم فـــأنتم سُـــبّة الإســـــلام
المســـجد الأقصـــى اســـتجار وأنـــتم لاهـــون عنـــه فـــي هـــوى وخصـــام
النـــــار تحرقـــــه وتأكـــــل قلبـــــه وقلـــوبكم مـــن صـــخرة ورُغـــام[1]

يعد القرآن الكريم من أهم الروافد التي جعلت من برهان الدين العبوشي أديبا، فقد كان من أكبر الأسباب التي أعانته على نظم الشعر مبكرا، فالعبوشي كان كثير التلاوة، عميق الفهم لآياته الكريمة، وشعره يؤيد ما خلصنا إليه، يقول العبوشي في قصيدة بعنوان "الله جل جلاله":

مجزوء الكامل

الله مولانـــــــــا أحـــــــــدْ رفـــــع الســـــماء بـــــلا عمـــــدْ
متنـــــــــــزه ســـــــــــبحانه عـــــن كـــــل أمّ أو ولـــــدْ
صَـــــــمَدٌ تَكَفّـــــــلَ خلقَـــــــه بـــــــالرزق أعْظِـــــمْ بالصَـــــمَدْ
مـــــــرج البحـــــــار وصـــــــاننا فـــــي الأرض مـــــن جـــــزر ومـــــدْ[2]

وبعد التفكر في آلاء الله وعظمته، يجب على الإنسان أن لا يظلم أخاه الإنسان، وأن يتعظ ويعتبر ممن قبله:

مجزوء الكامل

لـــــــو أدرك الإنســـــــان آلاء الإلـــــــه لمـــــــا اضـــــطهد
حتـــــى إذا صـــــرعته حُمّـــــى صـــــاح: ربـــــي واعْتَقَـــــدْ
فـــــإذا شـــــفاه رأيتـــــه نســـي الإلـــه ومـــن عبـــدْ[3]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص313.

[2] **نفسه**، ص314.

[3] **نفسه**، ص314.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يقتصر العبوشي في شعره الديني على قصائد محددة دينية خالصة، بل انطلق في كل الاتجاهات التي نظم الشعر فيها من منطلقات إسلامية، سواء في الشعر الوطني أو القومي أو الاجتماعي ...، فالدين يمثل بالنسبة للعبوسي منهج حياة متكامل.

المبحث الخامس: شعر النكاية

يقول برهان الدين العبوشي في أعماله الكاملة تحت عنوان شعر النكاية- الهتلريات-: "نظمتها نكاية بأعدائنا الذين أضاعوا فلسطين وغيرها، رغم أنني أكره كل استعمار مهما كان لونه، ولا أرضى بغير العروبة مبدأ والقرآن كتابا".[1]

تقع الهتلريات في أربع قصائد نظمها العبوشي بمناسبات مختلفة، منها قصيدة بعنوان (هتلر)؛ نظمها بمناسبة اجتياح هتلر لبولونيا ففرنسا، فقد اعتقد العبوشي أن جيوش فرنسا وبريطانيا ستنسحب من البلاد العربية، فتستقل بلاد العرب التي كانت تحتلها بريطانيا وفرنسا فيتنفس الناس، وينتهي الاستعمار[2].

وشعر النكاية باب جديد من أبواب الشعر الحديث، وهو ليس حبا لهتلر أو إعجابا بأفعاله، بل هو نكاية في الإنجليز الذين نهبوا خيرات البلاد، وأسلموها بعد ذلك لليهود "ولقد استحدث باب جديد في الشعر العربي الحديث قيل تشفيا بالحلفاء، وبالإنجليز، خاصة أيام كان هتلر يجتاح البلدان الأوروبية، ويسحق جيوش الحلفاء تحت ضرباته الباطشة، ما أدخل الظن بأن ذلك سيضطر جيوش فرنسا وإنكلترا إلى سحب جيوشهما من البلاد العربية التي ستجد في ذلك فرصة استقلالها، وسمي هذا الباب شعر النكاية"[3]، يقول العبوشي في قصيدة "هتلر":

الطويل

إلى أين ماض أنت قل لي إلى أينا أخاف عليك الأذن والقلب والعينا
إلى (السين) أم (للمانش) أم لكليهما دفعت بجيش الرَّيْخ ترهقه بَينا

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص 117.

[2] انظر: **حياة الأدب الفلسطيني الحديث**، ص300.

[3] **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، ج1، ص181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لشـــعبك ثـــارات تريـــد ســـدادها فلم تلق مثـل الجـيش ينجـزك الـدينا[1]

ويمضي العبوشي في وصف المهانة التي لحقت فرنسا وبريطانيا من هتلر وجيشه:

الطويل

أذل فرنســـا فـــي ثمـــان وهـــذه نســـاء فرنســـا بـــالزعيم تحامينـــا
أقـــض منـــام الانجليـــز وقـــد غـــدا جلالتـــه أنـــى اســـتغاث فـــلا عونـــا
تهـــل عليـــه الســـابحات قـــذائفا لها غُنّـــة فـــي الجـــو أمـــا تـــدانَينا[2]

ثم يذكر العبوشي سبب نظمه للهتلريات، مخاطبا فرنسا وبريطانيا:

الطويل

فأنتم عـــدو الشّـــرق لســـنا نريـــدكم تشـــابهتم ظلمـــا تبـــاينتمُ لونـــا
خطيئـــتكم فـــي القـــدس هـــذا جزاؤهـــا تـــركتم بهـــا عَمّاتنـــا يتباكينـــا[3]

ثم يمدح برهان الدين العبوشي فصل الربيع؛ وذلك لأن هتلر أخذ يهدد الحلفاء بضرباته القاصمة في الربيع، فالشتاء يمنعه من مواصلة زحفه نحوهم:

المتقارب

لقـــد بُـــحّ صـــوتي فمـــا مـــن ســـميعْ وطـــال انتظـــاري لزهـــر الربيـــعْ
يجـــدد فـــيّ إهـــاب الشـــباب ويشـــفي فـــؤاد المُعنّـــى الصـــريع
ويحيي النفـــوس وقـــد شـــفّها الشـــ تـــاء وأخنـــى عليهـــا الصـــقيع
وتهـــزم فيـــه جيـــوش الطبيعـــة جـــيش الهـــوام بفتـــك ذريـــع[4]

لقد حمل الشعر دوره في وصف طبيعة المرحلة "فحين أحس الرأي العام بتفاؤل من جراء انتصارات الألمان أخذ الناس يظهرون التشفي بالأعداء، فرأينا في هذه المرحلة بابا يسمى الهتلريات في ديوان جبل النار للشاعر برهان الدين العبوشي"[5]، حيث أبدع العبوشي قصيدة في

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص117.

[2] **نفسه**، ص117- 118.

[3] **نفسه**، ص118.

[4] **نفسه**، ص118.

[5] **حياة الأدب الفلسطيني الحديث**، ص300.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نكاية الإنجليز عندما طلبوا من العرب إغاثتهم في المعارك، وكان الإنجليز يظاهرون اليهود ويذبحون العرب ويشردونهم، قال العبوشي في قصيدة "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":

البسيط

أرهقتمونـــا وقـــرّبتم منايانـــا والیـــوم تبغوننـــا ننســـى ضـــحايانا
ولم تتركـــوا فوقهـــا أنثـــى ولا ذكـــرا إلا قتلـــتم لـــه أهـــلا وأخـــدانا
ومـــا جمعـــتم طـــوال العمـــر بـــدده وصـــرتم للعبيـــد الســـود عبـــدانا
أ بعـــدما جـــرتم واشـــتط حـــاكمكم جئـــتم تريـــدوننا أهـــلا وخلانـــا
أ بعـــدما بعـــتم صـــهيون حرمتنـــا وعرضـــنا تبتغـــون العـــرب إخوانـــا[1]

ويظلّ شعر العبوشي يحمل عبء التوعية والتنبيه، ويفضح دسائس المستعمرين، فحين أقبل الجنرال "سبيرز" على دمشق منتصرا لها-على زعمه- ضدّ الفرنسيين، نشرت جريدة الوحدة العربية المقدسية عام 1956م على إثر زيارته قصيدة للشاعر برهان الدين العبوشي عنوانها (التاريخ يعيد نفسه)[2]:

البسيط

هل مات لورنس أم هل عـاد للنـاس أم هـل تقمـص فـي أثـواب خنّـاس
لقد تقمص في "سـبيرز" فـلا عجـب إن أشكل الأمر يـا هـذا علـى النـاس
أجئـــت تحمـــل ترياقـــا لأمتنـــا من لندن أم لـدس السـم فـي الكـاس
أم جئـــت تحمـــل أمـــوالا وأوســـمة قـــد جـــاء قبلـــك لـــورنس بأكيـــاس[3]

ثم يسخر العبوشي من الجنرال "سبيرز" مغلفا سخريته بلسعة لحكام العرب حيث يقول على ألسنتهم:

البسيط

أهـــلا وســـهلا فإنـــا مـــن عبيـــدكم نحن الضـيوف وأنـت المطعـم الكاسـي[4]

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص119.
[2] انظر: **حياة الأدب الفلسطيني الحديث**، ص301.
[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص119-120.
[4] **نفسه**، ص120.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم ينصح العبوشي الجنرال "سبيرز" أن يعود من حيث أتى لأن خططه مكشوفة مُعادة، فقد حملها من قبله لورنس وباء بالفشل، ويحمّله مسؤولية ضياع فلسطين والقدس:

البسيط

إن رُمت تسدي يدا للعرب ناصعة فمن ترى نكب الأقصى بوسواس
قد جاء قبلك لورنس فما نفعت رقاه بل طمروها تحت أكداس[1]

المبحث السادس: شعر السخرية والفكاهة

يمتلك برهان الدين العبوشي روح السخرية والفكاهة، وقد انعكست هذه الروح في شعره، فنراه تارة يسخر من الزعماء العرب، سخرية فيها استنكار ورفض لحالهم، ويطلب منهم أن يمتلكوا الشجاعة والغيرة اللتين يمتلكهما الديك الذي يهاجم كل من يقترب من قفصه، ظانّا أنه عدو يريد أن يفتك به وبرعيته، حيث تظهر سخرية العبوشي في غير قصيدة من قصائده ومنها قصيدة "الديك البطل":

الوافر

حلفت بديكنا وحلفت حقا بأني لم أجد بطلا سواه
يهاجمني وينقرني ويرمي بمخلبه وتجرحني مداه
ويقفز كالهزبر سخرت منه ويبذل روحه يحمي حماه[2]

ثم تبدأ المحاورة بين الشاعر والديك:

الوافر

وقلت له علام تنال مني فقال اخرس لكل أذى دواه
أتحبسنا وتأكلنا وتعدو على الأقفاص تنهب ما تراه
ولو كنا سباعا لم تنلنا فإن السبع تحميه يداه
وإني ثرت أدفع عن كياني وفيم عجبت إذ أفنى فناه[3]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص120.
[2] **نفسه**، ص252.
[3] **نفسه**، ص252.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم يصل العبوشي في نهاية القصيدة إلى سبب نظم القصيدة، وهو عقد مقارنة بين الديك والحكام:

الوافر

فقلـــت لعـــلّ هـــذا الـــديك أذكـــى مـــن الزعمـــاء إذ يفـــدي لـــواه[1]

لقد وجد العبوشي أن خير وسيلة للتعبير عن الحزن الذي يعتصره السخرية والتهكم، فهو يفضح الحكام ويُضْحِك الناس عليهم بالشعر، فسخريته مستمدة من الواقع المعاش، وقد لجأ العبوشي إلى هذا الأسلوب لمعرفته أنّ السخرية لها قوة في التأثير، وإثارة للانتباه، ثم يعيد العبوشي الكرة في قصيدة أخرى بعنوان "الأرضة"، فالأرضة تهاجم العدو باستماتة، وتضع الخطط قبل الهجوم، ولا تخشى الحرب، ولا تعود إلا بعد أن تغنم:

الوافر

بليـــت بأرضـــة أكلـــت فراشـــي وثـــوبي والخزانـــة والكتابـــا
لهـــا خطـــط العســـاكر والســـرايا إذا زحفـــت ولا تخشـــى الحرابـــا
فـــلا ترتـــد إلا بعـــد غـــنم لملكتهـــا التـــي باضـــت يبابـــا[2]

ثم يعرض العبوشي لسير المعركة مع الأرضة، فهو لا يهادن كملوك العرب وحكامهم، بل يقاوم ويقاوم، ويدفع الضيم عن مملكته:

الوافر

شهدت جيوشـــها فـــي ســـور بيتـــي فقمـــت أصـــبّ مـــن نـــاري شـــهابا
حفـــرت الأرض ثـــم صـــببت نفطـــا وحرّقـــت الخنـــادق والقبابـــا
ولـــم أكُ كـــالملوك رأوا عـــداة تغيـــر فهـــادنوا مـــنهم ذئابـــا
إذا هادنتهـــا هادنـــت نـــذلا (كإســـرائيل) قـــد نشـــروا الخرابـــا[3]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص252.

[2] **نفسه**، ص 219 – 220.

[3] **نفسه**، ص220.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتارة يصف حيّة دخلت الصف أثناء حصة دراسية في مدرسة "الشامية"، فراح يصف حركاتها وشكلها، ورعب الطلاب منها، وقد أبدع العبوشي في فن الوصف:

الكامل

يا من رآني في الصباح مساورا ... أفعى مرقطة كبنت الجان
دخلت عَليّ الصف وهي أمينة ... لتشيع رعب الموت في صبياني
فعجبت من حسن يرصع جلدها ... مثل الدنانير اكتست بجمان
وقوامها لَدْنٌ يموج كأنه ... ماء جرى والرأس كالفنجان
نظرت إليّ فخلت حَبّة عينها ... زرا أضاء على قضيب البان
فعجبت من ضدين قد جُمِعا معا ... حسن الكيان ولدغة الثعبان[1]

ثم تبدأ المعركة مع الحيّة، فهو يهاجمها ليفتك بها، ولا يرضى بالحلول السلمية، وهي تدافع بشراسة:

الكامل

لم أعطها درب السلامة فانثنت ... فرميتها حجرا من الصوان
فتحفزت فرميتها فتواثبت ... لتعضني فلقيتها بجناني
وركلتها فتشبثت فدفعتها ... فتخاذلت فقتلتها ببناني
أحمي حمى الطلاب فوق عروشهم ... لأكون فيهم قدوة الشجعان [2]

ثم يصل إلى عقد المقارنة بين حالة الحية والوضع السياسي في فلسطين، بأسلوب تغلفه الحكمة:

الكامل

لا تلقينّ سلاح حرب طالما ... فأس العدو تهدّ في البنيان
إن ابن آدم لابن آدم حيّة ... فاحذر أخاك ولا تنم بأمان
لا تأمن الرؤساء إنّ رؤوسهم ... رأس الأفاعي سمّهم بلسان

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص264.

[2] **نفسه**، ص264.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ســـمّ الأفـــاعي بعضـــه نفـــع ولا نفـــع لســـمّ مضـــيّع الأوطـــان[1]

ثم يسخر العبوشي من الجيوش العربية التي دخلت فلسطين لتحارب العصابات الصهيونية، فلطالما تغنت الدول العربية بأنها سترمي اليهود في البحر، ولا يقلل من قيمة الجنود العرب فهم فدائيون قولا وفعلا، لكن سخرية العبوشي من السّاسة، الذين ما إن مالت الكفة لصالحهم حتى أمروا جيوشهم بأن تنسحب من أرض المعركة، يقول في مسرحية "شبح الأندلس" مستغربا من انسحاب الجيوش العربية:

الوافر

المقدّم:

أمـــرت بـــأن أعـــود فقلـــت دينـــي أ أخذلـــه فلـــم أرض انســـحاب

الشاعر:

عـــــلام إذا مســـــيركم إلينـــــا أ للنزهـــــات

سعدي:

طـــــاب العـــــيش طابـــــا

فيرد المقدم نوح على الشاعر وسعدي:

نوح:

دعـــــوني واســـــألوا الأعلـــــى

سعدي:

يمينـــا تـــرى بـــرق الرجـــا عينـــي ســـرابا

الشاعر:

أ ينســـحب المســـيطر وهـــو عـــال علـــى أعدائـــه؟

محمود بألم:

متنـــــــــــا عـــــــــــذابا

قيـــــادتهم بأيـــــدي أجنبـــــي يـــدس بكأســـنا ســـمّا مـــذابا

فقـــد خلـــق الخصـــومة والتجـــافي وخادعنـــا ولـــم نحســـب حســـابا[2]

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص264.

[2] **نفسه**، ص444-445.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد سخّر برهان الدين العبوشي طاقاته الفعلية والقولية للسخرية من زعماء الدول العربية الذين أمروا جيوشهم بالانسحاب من أرض المعارك في فلسطين، بل حتى الاستفهام الذي استخدمه الشاعر خدم غرض السخرية والاستنكار.

ثم تأخذ سخرية العبوشي من الجيوش العربية شكلا آخر؛ فنراه يستهزئ من تخلف الجيوش العربية، وأخذها بالأساليب القديمة، وإتباعهم الوسائل والأنظمة القبلية في الدفاع، ثم يدعو أمة العرب أن تحتذي بالغرب لتبلغ سدّة الأمم، يقول العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس":

الهزج

أخـــي مـــا ينفـــع الصمصـــا م عنـــد الطعـــن والضـــرب
فهـــذا العصـــر عصـــر المـــد فـــع الرشـــاش والكتـــب
وفيـــه ذرة تكفـــي لحـــرق الأرض والســـحب
فهيـــيء جيلـــك الـــذري تبلـــغ مرتقـــى الشـــهب
مشـــى الغربـــي فـــي ركـــب وســـرنا نحـــن فـــي ركـــب
ولـــو ســـرنا علـــى نـــور لســـدنا أمـــة الغـــرب[1]

إن العبوشي في هذه الأبيات يندّد بالجهل والغفلة والجمود، ويدعو إلى نبذ كل ذلك، والأخذ بالعلم الحديث والحضارة العصرية؛ لتنهض أمة العرب، وتثور على أعدائها، وتسترجع ما اغتصب من أرضها.

ثم يسخر العبوشي من حجج الزعامات العربية التي سحبت جيوشها من فلسطين بداعي الهدنة مع اليهود، فأجمل شعور الناس تجاه الهدنة بقوله في مسرحية "شبح الاندلس":

الوافر

وقـــالوا (هدنـــة فرضـــت علينـــا) بلـــى فرضـــوا وربـــك أن نضـــيعا[2]

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص441.

[2] **نفسه**، ص490.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي أنّها هدنة من وجهة نظر العرب، وضياع ولجوء وتشرد من وجهة نظر الفلسطينيين ومن السخرية والدعابة ذكره لحر بغداد، فهو يحبب الإنسان في الموت للخلاص منه، حيث يصف ذلك الحر في قصيدة بعنوان "حرّ بغداد":

مجزوء الرمل

إنّ فـــي بغـــداد حَـــرّا حبّـــب الأخـــرى إلـــيْ
ألصَـــقَ الثـــوب بجلـــدي ويراعـــي فـــي يـــدي
عِفْـــتُ ثـــوبي وقميصـــي عِفْـــتُ ذا الجلـــد علـــي
مـــن يـــزر بغـــداد يســـعد فـــي جحـــيم يـــوم كـــي[1]

هذه بعض القصائد الفكاهية الساخرة التي تبين قدرة برهان الدين العبوشي على نظم الشعر في شتى الجوانب الشعرية، فالقصائد التي استخدم السخرية والفكاهة فيها كثيرة، جُلُّها انصب في الجانب السياسي، وخالطته روح المعاتبة لبني قومه، مما تقدم نرى أن الشاعر يستعمل السخرية تنفيسًا وتعبيرًا عن مرارته، وقديمًا قيل:(شر البلية ما يضحك).

المبحث السابع: الغربة والحنين للوطن

منذ وطئت قدما العبوشي أرض دجلة والفرات أحسَّ بلوعة الفراق، فراق وطنه الذي لطالما تغنى بسهوله وجباله، وتلاله وهضابه، ولم يصدق أنه غادر أرض الإسراء والمعراج بلا عودة، فما زالت ربى بلاده تعيش في خاطره، إنه الإحساس بالغربة، إنه الإحساس بالظمأ إلى تراب الأرض، تراب مدينته جنين، يظهر هذا الإحساس في قصيدة "جنين":

الوافر

حبيبـــة قلبـــي يـــا (جنـــين) ســـلام فـــديتك لـــو تـــدرين كيـــف أنـــام
أنـــام علـــى هـــم يـــؤرقني الهـــوى فألقاك فـــي حلمـــي وحلمـــي أوهـــام
وأصـــحو علـــى غـــم يكـــاد يميتنـــي فاســـتبعد الشـــكوى ولســـت أُلامُ

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص94.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقــد كنــت حــرّا والزمــان مواتيــا وحــولي أشــبال وخــال وأعمــام
وها أنا فــي بغـداد أصـبحت مفـردا يبــادلني فيهــا الحنــان كــرام[1]

كلما مرّ الزمان، وتوالت الأيام، ازداد شعور العبوشي بألم الفرقة والاغتراب، إنها جنين التي سكنت سويداء قلبه، وحاصرت أفكاره في يقظته ونومه، إنه الشعور بالحنين وألم الفراق يبثه العبوشي زفرات شعرية، تتجلى بوضوح في قصيدة "الحنين":

الوافر

تنــاهى فــي الحنــان إليــك نفســي لأنَّــك أنــت أفراحــي وأُنســي
أُحبــك مــن صــميم القلــب حبَّــا يثيــر النــار فــي قلبــي وحسّــي
فإنــك مقلتــي وشــعاع فكــري وبلســم مهجتــي ومــداد طرســي
تلــحُّ هواجســي خوفــا لأنّــي أغــار عليــك مــن جــنّ وإنــس
وأحــذر أن تغيبــي عــن لســاني فتســعف مقلتــي شــفتي بهمــس[2]

لكن الأمل بالعودة لم يخبُ من شعر برهان الدين العبوشي، نعم هي الفرقة والغربة لكن العودة قريبة، وسيبزغ الفجر قريبا:

الوافر

حرمــت لقاءهــا يــا لهــف نفســي وأشــفق أن يكــون غــدي كأمســي
فــإن تــكُ فرقــة فــإلى لقــاء بروض الحــب حيــث تهــيم نفســي[3]

إن لهيب الشوق والحنين لم يغب عن مهجة العبوشي لحظة واحدة، فها هو يحدث نفسه أحاديث غريبة عن الوطن لينسى هموم الغربة، لكن ذلك يؤدي إلى اشتعال نار العشق للوطن أكثر فأكثر:

حــدثت فــي الليــل الكريــب نفســي أحاديــث الغريــب
أطفــي بهــا حــر الهــوى فــإذا بهــا زادت لهيبــي

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص310.
[2] **نفسه**، ص133.
[3] **نفسه**، ص133.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكتمـــــــــت أشـــــــــواقي وإذ بالشـــــوق يفضـــــحه نحيبـــــي[1]

بل يصل الأمر بالعبوشي نتيجة الغربة عن الوطن أن يحسب النهار ليلا، فالموت أهون عليه من بعده عن وطنه:

يلـــــحّ علـــــيّ الهـــــم حتـــــى ألفتـــــه فكـــل نهـــار كنـــت أحســـبه لـــيلا
إذا ما اســـتوى الـــديجور والنـــور لامـــرئ فشـــقّوا لـــه لحـــدا فـــذلكم أولـــى[2]

تتملك العبوشي اللهفة والحنين على الروابي والربوع والأودية والجبال، فلا يغمض له جفن إذا لاح جبين البلاد، وعندما يتملكه الشعور باليأس من العودة يبرق وصيته لأهله وذويه؛ أن يحفروا له قبرا في ربوع البلاد:

أطبـــق الليـــل بالأســـى والســـواد وتقلبـــت فـــي فـــراش قتـــاد
لا تكـــاد الأجفـــان تغمـــض جفنـــا كلمـــا لاح لـــي جبـــين بـــلادي
لهف نفســـي علـــى ربيـــع الروابـــي لهـــف نفســـي علـــى ربـــوع وواد
احفـــروا قبـــركم هنـــاك وقبـــري فتـــراب الأقصـــى أجـــل مهـــاد[3]

لقد عبّر العبوشي عن الغربة بالليل، وعن العودة بالصباح، لكن الصباح ابتلعه التنين، والتغيير يجب أن يكون من العرب أنفسهم ليتغير الحال، فالشكوى لغير الله مذلة:

طـــال انتظـــاري للصـــباح فهـــل لـــه مـــن عـــودة تجلـــو نهـــار جنـــين
فكأنمـــا انطفـــأت ذكـــاء واختفـــت فـــي بطـــن حـــوت أو حشـــا تنـــين
لا تنفـــع الشـــكوى إذا لـــم تســـتعر نار الـــوغى فـــي القـــدس أو حطـــين[4]

"لم تعرف الآداب العربية والعالمية أدب قطر حمل معاني الحنين، والتشرد والتمزق، والتشبث بالأرض، والشتات والمقاومة، والتفاؤل الثوري، مثل أدب أبناء فلسطين من حيث النضج الفني، والرؤية المستقبلية"[5] "فلقد دوّى صوت هؤلاء الشعراء الوطنيين، أمثال عبد الكريم

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص170.
[2] **نفسه**، ص175.
[3] **نفسه**، ص237-238
[4] **نفسه**، ص241.
[5] نشاوي، نسيب، **المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر**، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، 1980م، ص426.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكرمي، وإبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وبرهان الدين العبوشي..."[1] فالعبوشي نذر حياته لفلسطين، وجاهد من أجلها، وحمل لواء الكلمة في سبيلها.

[1] دياب، صبري يوسف، **الوطنية في شعر حسن البحيري**، رسالة جامعية لنيل شهادة الإجازة (ليسانس)، إشراف: نسيب نشاوي، جامعة عنابة، دار المعرفة، ط1، 1985م، ص169.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

المسرحيات الشعرية

المبحث الأول: تاريخ المسرح العربي الحديث في فلسطين

المبحث الثاني: تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني

المبحث الثالث: مضامين المسرحيات الشعرية لبرهان الدين العبوشي

المبحث الرابع: الالتزام في المسرح الشعري عند العبوشي

المبحث الخامس: عناصر المسرحيات الشعرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: تاريخ المسرح العربي الحديث في فلسطين

لم ينسب فنّ المسرح إلى شعب من الشعوب قبل الميلاد إلا إلى اليونانيين القدماء، فلم يعرف عن شعب غيرهم أنه كان له فن مسرحي واضح المعالم كما كان عندهم، حيث كان المسرح عندهم عبارة عن أناشيد وتراتيل دينية غنائية بطولية في أعياد الآلهة وخاصة إله الخصب (ديونيسيوس)...ثم تطورت هذه الأناشيد التي اكتسبت طابع الجوقة الغنائي، واقتصارها على ممثل غنائي واحد إلى تقليل أهمية الجوقة، وزيادة عدد الممثلين، ورسم المناظر، وغير ذلك من وسائل المسرح[1].

أما الجهود المسرحية العربية فلم تتجاوز النصف الأول من القرن التاسع عشر[2]، وما تناقله النقاد بخصوص بذور المسرح العربي، أو جذور مسرحية عربية قديمة، إنما هي رغبة في أن يكون للعرب أصول في هذا الفن. ومما يوهم العرب بتاريخ عريق في المسرح بعض الفنون التي تشبه المسرح، ومنها فن خيال الظلّ، وفن البابات، وفن الأراجوز، وصندوق العجائب، وأقرب هذه الفنون إلى المسرح خيال الظلّ، فهو يشترك مع المسرح في بعض النقاط، لكنه ليس من الفن المسرحي. وقد كان معظم ما تقدمه المسارح الفلسطينية فترة العشرينيات والثلاثينيات؛ مسرحيات مترجمة عن الروسية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية، منها مسرحية البخيل، ومدرسة الأزواج...[3].

"ويمكننا أن نقرّ باطمئنان أن المسرح العربي الحديث لم يكن إلا بعد أن جرى الاتصال بين الحضارة العربية الإسلامية، والحضارة الأوروبية، أيام الحملة الفرنسية بقيادة نابليون على مصر، وما تلاها من بعثات علمية أيام محمد علي باشا، ومن سار على سنته من سلاطين"[4]،

---

[1] انظر: _الملاح، ياسر، **صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطيني**، ط1، جمعية العنقاء الثقافية، الخليل، فلسطين، 2002م، ص7. – الدسوقي، عمر، **المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها**، دار الفكر العربي، ص5، د.ت.

[2] انظر: ياغي، عبد الرحمن، **في الجهود المسرحية الإغريقية الأوروبية العربية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م، ص7.

[3] انظر: الجوزي، **تاريخ المسرح الفلسطيني1918-1948م**، ص41.

[4] **صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطيني**، ص22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أشهر رواد المسرح العربي: مارون النقاش وهو لبناني، وأحمد أبو خليل القباني وهو سوري، ويعقوب صنوع وهو مصري[1].

لقد اتكأ المسرح العربي على المسرح الأوروبي، وفي طليعته المسرح الفرنسي بالترجمة والاقتباس عن أدباء كبار أمثال "راسين وموليير"، وأول كاتب مصري ظهر في بداية القرن العشرين وامتازت كتاباته بالابتعاد عن الاقتباس والتأثر بالأوروبيين هو إبراهيم رمزي، ومن أهم مسرحياته "الحاكم بأمر الله" عام 1914م، و" أبطال المنصورة" عام 1915م.[2]

المبحث الثاني: تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني

يعد المسرح الفلسطيني حلقة من سلسلة المسرح العربي، بل تأخر المسرح الفلسطيني عن أقرانه من المسارح العربية بسبب أصناف الاحتلال التي تعرض لها، فكان على الشعب أن يوجه جهوده لمواجهة بريطانيا والصهيونية، والتصدي لمخططاتهما. بل وصل الأمر ب"يعقوب لنداو" الادعاء أن اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين هم أساس المسرح الفلسطيني[3]، وهذا الكلام عار عن الصحة لأن العرب عرفوا فنون المسرح قبل الاحتلال الإسرائيلي.

واختلف آخرون حول مستوى نضج المسرح الفلسطيني قبل عام 1948م، فرأى بعضهم ضعفه وعدم نهوضه بالمسؤولية، وأن القائمين عليه كانوا أنصاف مثقفين، ورأى آخرون فيه قسطا من الجد والاجتهاد، لا يقل عن المسرح العربي في تلك الفترة[4]، والأمر سيان بعد عام 1948م، فقد أشار الكثيرون إلى انعدام المسرح الفلسطيني بعد النكبة[5]، ولكن ذلك لا يعني عدم التأليف في فن المسرح، بل ظلت روح المقاومة لدى الأدباء مشتعلة تتحدى الواقع، وتصنع من

---

[1] انظر: **صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطيني**، ص23.

[2] انظر: أبو الشباب، واصف كمال، **القصة والرواية والمسرحية في فلسطين 1900-1948م**، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الرابع، بيروت، ط1، 1990، ص155.

[3] انظر: **تاريخ المسرح الفلسطيني1918-1948**، ص184.

[4] انظر: الملاح، ياسر، **مسرح الاحتلال في فلسطين**، ص214-215.

[5] انظر: محاميد، محمد، **مسيرة الحركة المسرحية في الضفة الغربية 1967-1987**، الطيبة-المثلث، مركز إحياء التراث العربي، 1989م، ص24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسرح جذوة للمستقبل، فبعد عام 1967م أنتجت فلسطين جيلا تمرَّس الصعاب، وراح يعبر عن واقعه بشكل جديد، ويقاوم من كل المواقع، ومن أساليب المقاومة التي ابتدعها الأدباء الفلسطينيون، المسرحيات الأدبية؛ الشعرية والنثرية.

"وانعكس ذلك على الحياة المسرحية بكافة فروعها، حيث شهد النص المسرحي غزارة نسبية، كما شهدت العروض المسرحية انتعاشا، الأمر الذي وضع المسرح على طاولة البحث النقدي، ما جعل البعض يشير إلى نضج الحركة المسرحية في مرحلة ما بعد عام 1967م"[1].

لقد هيأت كثرة الجمعيات والنوادي جوّ البلاد لغرس بذور نهضة تمثيلية مسرحية، في مدن فلسطين، وأخذت الإذاعة الفلسطينية منذ عام 1936م تخصص جانبا لها في برامجها، وممن كتبوا الروايات والمسرحيات التي مثلت على بعض مسارح فلسطين وعدد من الأقطار العربية؛ جميل البحيري، وبرهان الدين العبوشي، ومحمد حسن علاء الدين، ومحيي الدين الحاج عيسى"[2]. "وقد استفاد رواد المسرح الفلسطيني من التفاعل الوثيق بين المسرح العالمي والعربي، فراحوا يستمدون مسرحياتهم من الواقع المعيش، ممزوجا بالاتكاء على التاريخ والتراث الشعبي، وراحوا يغذون مجتمعهم المتعطش لهذا الفن في النوادي والمدارس والجمعيات"[3]،

ويعزو محمد أبو عزة ندرة المسرحيات الشعرية الفلسطينية والعربية إلى أن كتابة المسرحية الشعرية تحتاج إلى قدرة شعرية واسعة، ترفدها قدرة فنية موازية على فهم المسرح وآلياته، ولذلك كان الإبداع الشعري المسرحي قليلا في إبداع الأدباء الفلسطينيين في موازاة الأجناس الأدبية الأخرى، فلا يمكن أن يقارن عدد المسرحيات الشعرية بعدد الدواوين الشعرية، ولذلك يمكن وضع اسم "برهان الدين العبوشي" إلى جانب "أبو خليل القباني" و"أحمد شوقي" و"عزيز أباظة" و"عدنان مردم بك" و"علي محمد لقمان" من رواد المسرح الشعري في مصر وسوريا واليمن، ولا يحضرنا من الأسماء غير برهان الدين العبوشي، ومحيي الدين الحاج

---

[1] المرعشلي، **الموسوعة الفلسطينية**، الدراسات الخاصة، قسم 2، ج4، ص237.

[2] انظر: **الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من 1918-1968م** ، ص71.

[3] غنيم، كمال أحمد، **المسرح الفلسطيني**، ط1، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2003م، ص25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عيسى.[1] لكن ليس غريبا أن ترى أجيالا من الفلسطينيين لا يعرفون شيئا عن العبوشي، وإن كانت الدراسات النقدية والأدبية للشعر الفلسطيني في القرن العشرين أفردت مساحات واسعة للحديث عن شعره الغنائي وتجربته النضالية قياسا بتجارب أبناء جيله من الشعراء الفلسطينيين.[2]

لقد "حمل المسرح الفلسطيني هوية خاصة، تميزه عن المسرح العربي، متمثلة في هذا الهمّ الوطني النابع من خصوصية التجربة الفلسطينية، بالإضافة إلى أنه لم يقع في شرك المسرح التجاري، الذي غرقت فيه بعض المسارح العربية، إذ ظلت مسحة الفكاهة فيه قليلة...وظلت ممزوجة بالألم والمعاناة"[3].

لم يتأخر المسرح الشعري في فلسطين عن نظيره- المسرح النثري- بل بدأ خطواته مبكرا بموازاة المسرح النثري، فكتب فؤاد الخطيب قبل الحرب العالمية الثانية مسرحية تدور حول فتح الأندلس[4]، وكتب محمد حسن علاء الدين مسرحية (امرؤ القيس بن حجر) عام 1945م، واعتمد فيها على تاريخ الشاعر الجاهلي امرئ القيس، وسعيه الدؤوب من أجل الثأر لوالده.[5]

وأبدع برهان الدين العبوشي مسرحيات شعرية عدة شكلت مسرحية (وطن الشهيد) عام 1947م مرحلة البدايات المسرحية الشعرية الفلسطينية، وغرة ما كتبه العبوشي، فقد عرض العبوشي في مسرحيته لمكانة الشهداء الأبطال الذين رووا بدمائهم الزكية تراب الوطن، وأشار إلى ظاهرة بيع الأرض الفلسطينية لليهود التي بيع معظمها عن طريق سماسرة غير عرب، وعرض للمؤامرات الصهيونية التي تبغي تفريق الصفّ الفلسطيني، وزرع الفتنة بين العائلات والمجاهدين لسهولة السيطرة على الأرض، وأبدع في تصوير حيل اليهود وخططهم للسيطرة

---

[1] انظر: أبو عزة، محمد، **مقدمة مسرحية شبح الأندلس**، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ص10.

[2] انظر: عودة، هشام، **مجلة بلسم**، العدد306، كانون الأول، 2000م، ص85.

[3] **المسرح الفلسطيني**، ص533.

[4] انظر: المرعشلي، **الموسوعة الفلسطينية**، ج4، ص209،

[5] انظر: **تاريخ المسرح الفلسطيني**، ص126.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على فلسطين[1]، وكتب محيي الدين الحاج عيسى مسرحية (مصرع كليب) عام 1947م، ودارت حول حرب البسوس التي حصدت أرواح العرب زهاء أربعين سنة، ودارت رحاها بين قبيلتي بكر وتغلب.[2]

ثم واصل برهان الدين العبوشي إبداعاته المسرحية الشعرية، فكتب سلسلة من المسرحيات وهي على الترتيب (شبح الأندلس) عام 1949م، و(حرب القادسية) عام 1951م، و(الفداء) عام 1956م،[3] "وسار على طريقته إبراهيم أبو ناب، عندما كتب مسرحيته الشعرية (ديك الجن) عام 1952م، متناولا فيها مأساة الشاعر عبد السلام بن رغبان الحمصي الملقب بديك الجن... ونشرت هدية عبد الهادي عام 1955 المسرحية الشعرية (طالب الحق ما قعد)، وكتب أحمد جاموس مسرحيته الشعرية (مأساة لاجئة) عام 1965م ..." [4]، وواصل محيي الدين الحاج عيسى الصفدي في دمشق نشر مسرحياته الشعرية ومنها مسرحية (أسرة الشهيد) عام 1965م.[5]

ثم أخذ المسرح الشعري ينمو بشكل سريع في مرحلة السبعينيات، فكتب معين بسيسو سلسلة من المسرحيات الشعرية منها(مأساة جيفارا) عام 1969م، و(ثورة الزنج) عام 1970م، وكتب عام 1972م (الصخرة) و(العصافير تبني أعشاشها بين الأصابع)...، وممن كتب المسرح الشعري كذلك أحمد عبد العزيز حنون عام 1970م، حيث نشر مسرحية (ملحمة الحرية)، أما الشاعر سميح القاسم فكان له نصيب وافر من تاريخ المسرح الشعري الفلسطيني، فنشر عام 1970م مسرحيته (قرقاش)، وهي مسرحية تاريخية اتخذت من شخصية قرقوش "رمزا لسطوة الاحتلال وعجرفته"[6]، وفي العام نفسه كتب القاسم مسرحيته الشعرية الثانية (هكذا استولى هنري على المطعم الذي كان يديره رضوان وشلومو، وحوله إلى دكان لتجارة المعلبات)، كما كتب

---

[1] انظر: **فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، من ص325-421.

[2] انظر: الصفدي، محيي الدين الحاج عيسى، **مصرع كليب**، ط1، القاهرة، دار مكتبة الحياة، 1947م، .

[3] انظر: **فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص5.

[4] **المسرح الفلسطيني**، ص129.

[5] انظر: **نفسه**، ص130.

[6] **نفسه**، ص132.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عام 1974م مسرحية (الابن)... وكتب هارون هاشم رشيد مسرحية (السؤال) عام 1973، تحدث فيها عن الثورة الفلسطينية، وتعرض في مسرحيته الشعرية الثانية للموضوع نفسه، وهي بعنوان (عاصفة على قصر مسروق) وقد نشرها عام 1978م[1].

المبحث الثالث: مضامين المسرحيات الشعرية لبرهان الدين العبوشي

لكل مسرحية فكرة أو هدف يرمي الأديب إلى تحقيقه، حيث يحاول توصيله إلى الجمهور عن طريق عناصر المسرحية المختلفة، ويحشد الأديب كل ما يلزم من شخصيات وأحداث وحوار وإيحاءات ورموز من أجل أن يثبت للمتلقين على اختلاف ثقافاتهم أن فكرته صائبة، والفكرة هي التي تحدد موضوع المسرحية سياسية أم اجتماعية... ولا يسوق الأديب الفكرة جزافا دون مؤثرات، بل لا بد من أسس معينة لعرض الفكرة، كأن تكون ضمن حكاية مترابطة تشدّ الجمهور إلى تفاصيلها باهتمام.

واذا عرجنا على الأعمال المسرحية الشعرية لبرهان الدين العبوشي، فإننا سنجد له أربع مسرحيات هي: وطن الشهيد، وشبح الأندلس، وعرب القادسية، والفداء.[2]

المطلب الأول مسرحية (وطن الشهيد)

تعد مسرحية "وطن الشهيد" باكورة المسرح الشعري لبرهان الدين العبوشي، وعند قراءتك للمسرحية تطل عليك فراسة الشاعر، واستشرافه للمستقبل من خلال معايشته للأحداث وبعين بصيرة للأمور، حيث تقع المسرحية في94 صفحة من الحجم المتوسط، وكانت أول طبعة للمسرحية عام 1947م، في المطبعة الاقتصادية بالقدس الشريف، وتمتد المسرحية في الأعمال الكاملة من صفحة 327-421، وقد أهدى الشاعر مسرحيته إلى الشهيد، وافتتحها بآية من سورة آل عمران:" وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"[3]، ثم سجل الأبيات الشعرية الآتية في مقدمة المسرحية:

---

[1] انظر المزيد من عناوين المسرحيات الشعرية الفلسطينية: **المسرح الفلسطيني** للدكتور كمال غنيم من ص128-136.

[2] انظر:_ **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص5.

_**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الرابع، ص158.

[3] **آل عمران**، آية 69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

أهدي الكتـــاب إلـــى الشـــهيد فخيـــر مـــا يهـــدى إلـــى رجـــل الجهـــاد كتـــاب
قـــد رمـــت أهديـــه المكـــارم كلهـــا فـــإذا بهـــا مـــن فيضـــه تنســـاب[1]

وتتكون المسرحية من خمسة فصول باللغة العربية الفصحى "موضوعها سياسي وطني يتعلق بفلسطين، وبيع الأرض، ومؤامرات اليهود، والعمل على رأب الصف العربي، والدفاع عن الأرض الطهور"[2]، يضم الفصل الأول ثلاثة مناظر، والثاني ثلاثة مناظر، والثالث يضم منظرين، والرابع ستة مناظر، والخامس ثلاثة مناظر.

وقد أصدر العبوشي المسرحية بمقدمة تضمنت سبب تأليفها وأهميتها فقال: "إن كتابي هذا هو الأول من نوعه في فلسطين، إذ صورت فيه بالشعر المتواضع نوايا العدو، وتخيلت ما يضمره لنا، واستعنت بالمطالعة والجرائد والأخبار اليومية والحوادث الدامية ... والعقل والعاطفة وتجارب الذين خدموا القضية، استعنت بكل هذا لتصوير مبلغ استعداد العدو وخداعه وبذله وتنظيمه وحيله لنزع فلسطين وما جاورها منا؛ لعل في هذا التصوير حافزا لأمتنا لتتدارك الأمر وتستعد وتحرص على الباقي، وتنظم شملها وتنسى أحقادها"[3]، ثم يتابع الشاعر" لقد أردت بكتابي هذا وجه الله لا أعتمد على غيره، وإسداء الثناء إلى من عرف الله من أمتنا فضحى ولو بخفقة من قلبه..."[4].

وقد عالجت المسرحية أحداث القضية الفلسطينية تاريخيا منذ اعتزام الشريف حسين – شريف مكة– إشعال الثورة العربية ضد الدولة العثمانية سنة1915م، وتنتهي أحداث المسرحية بانتهاء ثورة فلسطين عام 1936م.[5]

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص329.
[2] **تاريخ المسرح الفلسطيني 1918-1948**، ص101.
[3] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص335.
[4] **نفسه**، ص332.
[5] انظر: **الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ص394.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصور العبوشي في الفصل الأول من المسرحية سخط العرب على الأتراك، خلال الحرب العالمية الأولى، وقيام الثورة العربية الكبرى بإشارة من الشريف حسين في الحجاز[1]، رغبة منه في إنشاء وطن خاص بالعرب بمساعدة بريطانيا، ويشير إلى تلبية كافة الأقطار العربية لطلقة الثورة التي أشعل فتيلها الشريف حسين في الحجاز، لتمتد الثورة على الأتراك في شتى أقطار البلاد العربية الخاضعة لسلطة الدولة العثمانية، ولا يخفى من مناظر الفصل الأول الشعور بالفقر والفاقة في شتى البقاع العربية التابعة لسلطة الدولة العثمانية.

بينما يصور الفصل الثاني من المسرحية الفرحة الغامرة التي تسود أوساط الزعامة الصهيونية لنجاح مساعيهم في الحصول على وعد بلفور[2] بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، كما يصور الأمل الذي يساور اليهود بإنشاء دولة خاصة بهم في فلسطين، ثم يصف الاستعدادات التي يجريها قادة الحركة الصهيونية من جمع المال، وتجنيد الشباب، وإنشاء شبكة من الجواسيس، وتجنيد الفتيات اليهوديات ليقمن بأغراض إفساد الشباب العرب، وإيقاعهم في الرذيلة، ثم يصف رسم الخطط للانقضاض على فلسطين، ويهتم العبوشي برسم عظم التبرعات المالية التي يقدمها الغرب لليهود خدمة لغرض إنشاء الدولة على أرض فلسطين، ويظهر الشاعر ممثلا للضمير الحي في نهاية الفصل، حيث يقوم بدور الناصح.

أما الفصل الثالث فيصوّر من خلاله سعادة اليهود بالهجرة إلى فلسطين وشراء مساحات واسعة من الأراضي، واكتمال هنائهم برؤية القدس[3]، ويرسم صورة قاتمة للعرب من خلال سهولة وصول اليهود المهاجرين إلى فلسطين، فقد تملّك اليهود الأرض في ليلة وضحاها، وغدا أهل البلاد لاجئين، ولا ينسى أن يذّكر بأهم حدث؛ ألا وهو طبيعة الحصول على الأرض من أهلها عن طريق السماسرة الذين باعوا دينهم ووطنهم لقاء دريهمات، كما يشير إلى آليات التزوير والتلاعب في الاستيلاء على الأراضي، ثم يصور حزن العرب على فقدان أرضهم.

---

[1] انظر: **الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين**، ص336.

[2] **نفسه** ص336.

[3] **نفسه**، ص337.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصور العبوشي في الفصل الرابع كفاح عرب فلسطين الرائع، وبطولة أبنائهم في الدفاع عن فلسطين، وصد الصهيونية عنها، ثم يصف تدفق الشباب العرب من شتى الدول العربية إلى فلسطين، ووقوفهم إلى جانب أبنائها في ميادين القتال، وجريان الدم العربي المتحد في سهولها وجبالها أثناء الثورة عام 1936م، والمعارك التي حدثت بين المجاهدين والجيش البريطاني، ويركز الشاعر على ذكر التفاصيل كأسماء الأبطال المجاهدين، وطبيعة الحوار الذي كان يدور بينهم...[1] وفي نهاية الفصل نرى مجموعة من المجاهدين أسرى لكن معنوياتهم عالية.

ثم يتابع في الفصل الخامس رسم ألوان البطولة التي تحلّى بها شباب العرب في مواجهة بريطانيا والعصابات الصهيونية، حيث يقوم المجاهدون بأسر مجموعة من اليهود كرهائن، لكن الإنجليز يحاصرون الموقع ويفشلون العملية، ويصف إعجاب مندوبي الدول العربية ببطولة عرب فلسطين، وشعورهم بوجوب التضامن مع أهل فلسطين، والعمل على إنقاذ فلسطين بالقتال، لا بتأليف اللجان، وإصدار البيانات، وينتهي الفصل بإبراز الشاعر لجهود المفتي أمين الحسيني وعزم رجال المقاومة على مواصلة الكفاح.

لقد بذل العبوشي جهودا جبارة في تحري الحقائق التاريخية، والوقائع الحربية، وتسلسل الأحداث، ومواقف الأبطال والمجاهدين، ووفق في تصوير البطولة بأزهى الصور، وفي تصوير الشهداء بالصور المشرقة، وقد ساعده على ذلك سهولة النظم، وبساطة الأداء، واستطاع أن يصور نوايا الأعداء، وشر ما يضمرونه، كما استطاع أن ينبه الأمة العربية، ويوقظ مشاعرها.[2]

يعد العبوشي شاعرا ومسرحيا بعيد النظر، يمتلك من القدرة ما يجعله قادرا على تصوير أحاسيس كل البشر– كما يظهر من خلال مسرحية "وطن الشهيد" خاصة، حيث يصور أحاسيس اليهود وأفكارهم بدقة متناهية– هذا ما نجده في أعماله المسرحية الفذة،[3] فالعبوشي من أوائل المسرحيين الذين كتبوا عن فلسطين، وصوروا أحداثها مسرحيا، وهذا إبداع جليل يسجل لبرهان

---

[1] **الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين**، ص337.

[2] انظر: **نفسه**، ص337.

[3] انظر: العمايرة، محمد، مقالة بعنوان "**العبوشي فارس الكلمة المقاتلة**"، فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص776.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدين العبوشي، رغم اعترافه بمواضع النقد في مسرحياته[1]، حيث قال العبوشي منبها النقاد والأدباء "ليعلم إخواني الأدباء كبيرهم وصغيرهم أنني أردت الشعب، الذي هو موضع العناية، والعرق النابض"[2]، ولا ضير فهي من أوائل المسرحيات الشعرية التي تؤرخ لطبيعة المرحلة بقالب تاريخي. "فشعراء المسرح في فلسطين غلبت عليهم الموضوعات التاريخية المستقاة من التراث العربي والإسلامي، بينما سعى برهان الدين العبوشي إلى توسيع الدائرة، فعالج مأساة فلسطين، أو نذر المأساة قبل أن تحدث، من خلال وعد بلفور والثورات المتعاقبة التي ناهضت المشروع الصهيوني البريطاني، وهجرة اليهود إلى فلسطين، وقضية السماسرة حتى اندلاع ثورة عام 1936م، وذلك في مسرحية "وطن الشهيد" التي عدّها المسرحية الشعرية الوحيدة التي اهتمت بطرح القضية في وقت مبكر، الأمر الذي يشكل إرهاصا قويا بكل ما جرى بعد ذلك في العام 1948م، وبصرف النظر عن درجة التوفيق التي حالفت هؤلاء الشعراء في كتابة مسرحياتهم الشعرية، وعن إمكاناتهم المتاحة لتوظيف الشعر كأداة درامية، فإن مؤرخ الأدب في فلسطين سوف يعتبر هذه المحاولات إشارة باكرة إلى وجود مسرح شعري في فلسطين، كان يواكب أحمد شوقي وعزيز أباظة في مصر، وأحمد باكثير في اليمن، ما يدل على وعي متقدم في هذا المجال البكر"[3].

المطلب الثاني: مسرحية شبح الأندلس

شبح الأندلس مسرحية شعرية طبعت لأول مرة عام 1949م، في مطابع دار الكشاف في بيروت، تدور أحداثها حول نكبة فلسطين، ومعركة "جنين" بين العرب والمستوطنين اليهود، وقد كتب العبوشي الأبيات الآتية على غلاف مسرحيته:

مجزوء الكامل

مـــن كـــان يطمـــع فـــي الخلـــود ففـــي فلســـطين الخلـــود

---

[1] الخواجا، علي، **برهان الدين العبوشي**، ص15.

[2] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص335.

[3] القاضي، محمد حسيب، **عـن المسـرح الشـعري الفلسـطيني**، منتـدى مسـرحيون، التـاريخ: 15-2-2006م. *www.masraheon.com*.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبوابهـــــا الفـــــولاذ تفتحهـــــا المـــــدافع والجنـــــود
فـــــي قلبهـــــا ســـــكن الشـــــهيد وبالشـــــهيد غـــــدا تعـــــود[1]

وقد أهدى الشاعر مسرحيته إلى فلسطين الباسلة، ومن الإهداء قوله:

المتقارب

بـــلادي إليـــك العـــذاب المـــذاب بصفحة عمـــري وهـــذا الكتـــاب
فأنـــت الحيـــاة وأنـــت الممـــات وأنـــت الطعـــام وأنـــت الشـــراب
ســـتعلو بنـــودك فـــوق البنـــود وتشـــرق شمســـك بعـــد الغيـــاب
ســـلام عليـــك فـــإن تســـلمي فـــإن الوجـــود جميـــل الشـــباب[2]

المسرحية عن مأساة فلسطين، ومعركة جنين الكبرى، وجنين هي مدينة الشاعر برهان الدين العبوشي التي أهداها هذه المسرحية، وقدم الشاعر للمسرحية بمقدمة لخص فيها أسباب تأليف المسرحية، وتحدث عن إحساسه بأن ما أصاب بلاد الأندلس ليس بعيدا عما سيصيب فلسطين، ولذلك على أمة العرب عامة، وأهل فلسطين خاصة، أن يستيقظوا من سباتهم، ويجمعوا أمرهم، ويدافعوا عن بلادهم، ويحبطوا مخططات الاستعمار والصهيونية، فبالاتحاد يحافظ العرب على بلادهم، ويجب عليهم أن يعتبروا من غيرهم، وأهم تلك العبر نكبة العرب والمسلمين في الأندلس[3]، لذلك سمّى العبوشي مسرحيته "أُخت الأندلس" ثم اقترح عليه بعض الأصدقاء أن يسميها "شبح الأندلس" ففعل.

كما تحدث العبوشي في المقدمة عن مادة المسرحية ومضمونها، واعتذر عن مواطن التقصير لأنه لم يسبق له أن قرأ مسرحية شعرية عربية تجسّد مأساة فلسطين، فكان سبّاقا رائدا في هذا المجال.

تقع المسرحية في ثلاثة فصول من الحجم المتوسط، حيث يتكون الفصل الأول من أربعة مناظر، والثاني من خمسة، والثالث من ثلاثة مناظر، وتمتد المسرحية في الأعمال الكاملة من

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص423.
[2] **نفسه**، ص425.
[3] **الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر**، 395-396.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة 423–502، أي أنها تتكون من 79 صفحة، وفكرة المسرحية تدور حول نذر المأساة المحدقة بفلسطين، وزحف الجيوش العربية من الدول المجاورة لحماية فلسطين من الاحتلال الصهيوني وكان ذلك عام 1948م، وتمتد أحداث المسرحية حتى توقيع اتفاقيات الهدنة وضياع البلاد وتشرد أهلها، وقد عرّج على أسباب الهزيمة المدوية للجيوش العربية، وندد بالزعامات والحكام واتهمهم بالتآمر، ومدح الجنود العرب الذين شاركوا في صد العدوان، وعزا سر الهزيمة إلى الساسة.

تدور أحداث هذه المسرحية الواقعية في دوائر متصلة تبدأ ببقعة مفتوحة في إحدى المدن وتنتهي بميدان المعركة فيها، مروراً بمعسكرات المجاهدين ومواضع رباطهم مع إخوانهم في الجيش العراقي وثلّة من الجيش السوري؛ ويلعب الدور فيها عشرات الشخصيات الذين يشكّلون في مجموعهم دور البطل مع بروز مسرحي محدود للشخصية اليهودية العسكرية في آخر مناظر المسرحية.

يعرض الفصل الأول لبعض الآراء السياسية لبعض الشخصيات الرسمية والشعبية في تلك الفترة، ويلح الشاعر على شعور بالإحباط والتوجس، وقد حرص الكاتب على ذكر أسماء القادة العسكريين المنتصرين في تلك المعركة، وهم "المقدم نوح" و"العقيد الركن صالح زكى" و"الزعيم طاهر الزبيدى" ، كما حرص على ذكر جميع القرى والأماكن التي دارت رحى المعركة فيها، وعرج على ذكر قائد الجيوش العربية الإنجليزي "كلوب باشا".., وردد الشاعر أسماء القادة المكافحين والسيدات المشرفات على علاج الجرحى، ثم ذيل الفصل مبررا ذلك بأنه يرى ذلك ضروريا، حتى يعلم العالم أن العرب أهل للبقاء، وفيهم مخلصون.

ثم عرض في الفصل الثاني سير المعركة مع التركيز على منطقة "تل خروبة" وهي موقع قيادة الجيش العراقي الذي دافع عن جنين وحماها من الاحتلال، وركز على تفاصيل المعركة، وروح المقاومة التي تحلّى بها الشباب والنساء، ثم يتابع القائد نوح الأحداث برصد المعركة شرقا وغربا بالمنظار ويصف الأحداث للجميع... بينما يدخل خشبة المسرح يهود مسلحون يجرّون امرأة عربية وطفلها، ويقومون بقتل الطفل خوفا من أن هذا الطفل عندما يكبر سينتقم لبلاده، ثم يقبل العرب بالهدنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعرض الشاعر في الفصل الثالث الحسرة والألم على ما حل بفلسطين من مأساة، فقد تشرد أهلها، ونكست رايتها، وهزمت الجيوش التي دخلت إليها من كل الدول العربية لمجابهة مجموعة من العصابات الصهيونية، ويستغرب الشاعر انسحاب جيش الإنقاذ من المدن والقرى العربية، واليهود مازالوا يهاجمون القرى، ويقتلون ويبطشون.

المطلب الثالث: مسرحية عرب القادسية

عرب القادسية هي المسرحية الشعرية الأولى التي خطها برهان الدين العبوشي خارج بلاده فلسطين، فقد كتبها وهو في مدينة الشامية في العراق، وكتب تحت العنوان "فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم"، وفي هذه العبارة إشارات كثيرة أهمها؛ أن يقتدي العرب بأهل معركة القادسية، وكتب الأبيات الشعرية الآتية تحت الإهداء:

الطويل

إلـــى المـــؤمنين الثـــائرين علـــى الأذى أقـــدم ســـفرا لا أريـــد بـــه كســـبا
كفايـــة مـــا أرجـــوه إنقـــاذ أمـــة تكابـــد دائـــين؛ المذلـــة والكربـــا
ولا تعجبـــوا إن ذبـــت فـــي حـــب أمتـــي وأهـــديتها روح المُعَـــذّب والقلبـــا
أقـــدم هـــذا الســـفر ملكـــا إلـــى الـــذي يـــدمر رب الغـــدر صـــهيون والغربـــا[1]

وقد كانت الطبعة الأولى لهذه المسرحية عام 1951م، في مطبعة المعارف ببغداد، وتقع المسرحية في ثلاثة فصول من الحجم المتوسط، يتكون الفصل الأول من منظر واحد، والثاني من ستة مناظر، والثالث من خمسة مناظر.

قدم الشاعر للمسرحية بتمهيد ذكر فيه السبب الذي أوحى بالمسرحية لديه، فقد كان يدرِّس في العراق بمدينة الشامية "فقلت لأستوحينّ من وحي القادسية شعرا يبعث في أمتي الغافلة إيمانا كإيمان عرب صدر الإسلام في القادسية واليرموك، وزعامة كزعامة قوادهم، فبهذا نعيد السليب من وطن واستقلال"[2].

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص503.

[2] **نفسه**، ص505.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبدأ الفصل الأول بذكر الماضي التليد للعرب، أيام كانت لا تجاريهم أمة، فيقول زعيمهم للسحابة اذهبي أنّى شئت فإن خراجك راجع إليّ، ثم تبدل حال العرب فأضحوا في غفلة وذلّ، تستبيح الدول المستعمرة أرضهم، ولا تحسب لهم حسابا، وينتهي الفصل الأول بقول إحدى الشخصيات أنها ستسرد على الحاضرين رواية بطولية لعلّها تعيد العزة للنفوس المنهارة.

ويصف الفصل الثاني فترة تاريخية محددة هي صدر الإسلام، حيث الفرس والروم يسيطرون على بلاد العراق والشام، والعرب والمسلمون يعدّون العدة لفتح بلاد الرافدين ودحر الفرس منها، حيث تبرز شخصيات قيادية إسلامية كـــ"خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص..."، وهذا الفصل يعيد القارئ إلى الأمجاد العربية العظيمة التي تثير في النفس كبرياء أجدادنا وعظمتهم، ثم يصف في آخر الفصل الحوار الذي دار بين أمراء الفرس وهم يتعوذون بالنار من شرّ العرب، كما يصف طبيعة الحوار الذي دار بين وفد المسلمين إلى الفرس حيث يستلهم العبوشي الحدث التاريخي بتفاصيله، ويظهر "خالد بن الوليد" في هذا الفصل ليحث بني تغلب على قتال الفرس، وعدم الوقوف موقف المتفرج، وينتهي الفصل باستشهاد المثنّى بن حارثة الشيباني.

أما الفصل الثالث فيدور حول تجهيز المسلمين للجيوش التي ستهاجم الفرس، ودور الشعراء في الحثّ على الجهاد ومنهم "أبو محجن الثقفي"، كما يصف بذل الأمهات ويركز على شخصية "الخنساء"، وينتهي الفصل الثالث بانتصار الحرية وانهزام الاستعمار، حيث يحاول "رستم" الفرار لكنه يقتل في المعركة.

المطلب الرابع: مسرحية الفداء

تعد مسرحية الفداء آخر مسرحية شعرية خطّها برهان الدين العبوشي، فقد كتبها في عام 1968م، بعد مأساة فلسطين الثانية، وقد طبعت لأول مرة في مطبعة البصري ببغداد عام 1968م، وكتب العبوشي تحت العنوان:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مـــن كـــان يطمـــع فـــي الخلـــود ففـــي فلســـطين الخلـــود
أبوابهـــــا الفـــــولاذ تفتحهـــــا المـــــدافع والجنـــــود
فـــي قلبهـــا ســـكن الشـــهيد وبالشـــهيد غـــدا تعـــود[1]

وقد قدّم العبوشي كعادته في مسرحياته تمهيدا أفصح فيه عن ألمه وضجره لما آلت إليه أحوال العرب والمسلمين، فحار وعجب لأحوالهم، لكنه لم يفقد الأمل والعزيمة، فمدح شباب فلسطين المجاهدين الذين يقاتلون قوى الشرِّ والظلام على أقدس تربة وأطهر بلد بعد الكعبة المشرفة، وتمتد المسرحية في الأعمال الكاملة من صفحة 561-602، أي أنها تقع في 41 صفحة من الحجم المتوسط، وهي أصغر مسرحيات العبوشي الشعرية من حيث الحجم.

تتكون المسرحية من فصلين، كل فصل فيها يشمل منظرين، حيث يبدأ الفصل الأول بحوار بين مجموعة من شباب فلسطين المجاهدين عن آليات الدفاع عن الوطن، وافتدائه بالمال والنفس، حيث يشجع الشباب بعضهم بعضا على الفداء، ويشير الشاعر أثناء الحوار إلى المواقف البطولية، ومظاهر الوحدة والأخوّة بين مختلف فصائل الكفاح المسلح الفلسطينية، ثم يتابع الفصل الأول فرحة الصهاينة لما أصابوه من انتصار على الجيوش العربية المختلفة، ويذكرون دور أمريكا في رعايتهم، ويهنئ بعضهم بعضا، ويعدون الخطط لإكمال ما بدأوا به، وينتهي الفصل الأول بحوار بين ثلاثة ضباط يهود، يتملكهم الخوف من مصير مجهول.

أما الفصل الثاني فيبدأ بدخول مجموعة من الشباب المجاهدين، يقومون بالاستعداد لجولة من التصدي لأرتال اليهود التي تتقدم نحوهم، ويطلب أحدهم من الآخرين أن يلقوا عليه أبياتا شعرية تثير في النفوس الحماس والتشجيع، فيبدأ زملاؤه بذكر الشعر العربي القديم لكبار الشعراء، ما يثير في النفوس الحميّة، ويتلو بعضهم آيات القرآن الكريم التي تحثّ على الثبات والمواجهة، وتبشر الشهداء بجنّات النعيم، ثم تبدأ المعركة.

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص561.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: الالتزام في المسرح الشعري عند العبوشي

إن المعاني التي تصدر عن أي أديب إنّما تمثل رؤية فكرية يلتزم بها، وكذا حال برهان الدين العبوشي، فهو يمثل مرجعية فكرية وطنية مغلفة بصبغة إسلامية، فنراه ينحاز في كل أعماله الأدبية لقضايا أمته وشعبه، فقد عاش النكبات المتكررة بكل مآسيها، وشارك في الحروب المختلفة ذودا عن حمى الوطن، كل ذلك فرض أن يكون للأديب دور فعّال في المجتمع.

ولا يعدّ الالتزام ظاهرة غريبة أو جديدة على المجتمعات العربية، فطالما شارك الأدباء في أحداث عصورهم ومجتمعاتهم، وكان لأدبهم صوت مسموع ومشاركة فاعلة "وقد ظلّ الأدب العربي من أكثر الآداب العالمية التصاقا بالسياسة منذ عصوره القديمة حتى اليوم، وكان شأن الأديب يعظم أو يصغر بمقدار انغماسه في السياسة أو بعده عنها"[1]، وقد شارك أدباء الشعر والمسرح في نهضة الوطن العربي الحديثة، وعبروا بأدبهم عن تطلعات شعوبهم وآمالها، وكان للمسرح دور ريادي في الالتزام بقضايا الوطن، فهذا برهان الدين العبوشي قد أخذ على نفسه أن يجعل كل إبداعاته لخدمة أمته ووطنه، وأن يكشف للأجيال المتعاقبة طبيعة المؤامرات والمكائد التي يتعرض لها وطنه، حيث يقول العبوشي في مقدمة مسرحية وطن الشهيد: "لقد أردت بكتابي هذا وجه الله لا أعتمد على غيره، وإسداء الثناء إلى من عرف الله من أمتنا فضحى ولو بخفقة من قلبه أو...، ليعلم إخواني الأدباء كبيرهم وصغيرهم أنني أردت الشعب الذي هو موضع العناية والعرق النابض"[2].

على أن ظاهرة الالتزام لها بعض المحاذير في الأدب المسرحي؛ منها أن يدفع الحماس الزائد الأديب إلى تحويل الحوار في المسرحيات الشعرية إلى خطب رنانة، فتتحول المواقف المسرحية إلى منابر خطابية، وشخصيات المسرحية إلى خطباء حماسيين، ما يضعف النص المسرحي، ويقلل من قدرة الإيحاء والتأثير على المتلقين[3]، وقد كان المسرح الشعري عند برهان الدين العبوشي جمعيّا وطنيّا أخلاقيّا، همّه التنظيم والترتيب والتعليم والنقد والاختبار.

---

[1] القط، عبد القادر، **من فنون الأدب – المسرحية**، بيروت، دار النهضة العربية، 1978م، ص31.

[2] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص332-335.

[3] انظر: **من فنون الأدب – المسرحية**، ص32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: عناصر المسرحيات الشعرية

المسرحية عمل أدبي متكامل الجوانب، لا يسهل تقسيمه إلى عناصر مستقلة، لأن كل عنصر من عناصرها لا ينسلخ عن العناصر الأخرى، بل يتفاعل معها، وتنعدم فعاليتها دونه، لكن الدراسة تتطلب من أجل تعميق الفهم ووضوح الفكرة أن نقسم الأعمال الأدبية إلى عناصر،[1] فالمسرحية تحتاج عناصر أولية متآزرة لنسميها مسرحية، كالحبكة والشخصيات والأحداث والحوار، ثم تحتاج إلى فكرة محورية ينسجها الأديب في بوتقة متماسكة الأطراف، تقوم على الحوار بين الأطراف المختلفة " والكاتب المبدع هو الذي لا يهتم بعنصر من هذه العناصر على حساب العناصر الأخرى"[2].

المطلب الأول: الشخصيات

الشخصيات هي النماذج التي تقوم بتنفيذ الأحداث الدرامية في المسرحية، ويدور على ألسنتها الحوار الذي يكشف عن طبيعتها، وتقسم الشخصيات من حيث التطور إلى؛ شخصيات نمطيّة تسير باتجاه واحد، يمكن التنبؤ بما ستقول أو ما ستفعل، وشخصيات نامية متطورة، سلوكها غير متوقع، بعكس الشخصيات النمطية.[3] ومن أبرز الشخصيات في المسرح الشعري شخصية البطل، حيث تدور معظم الأحداث المسرحية حول هذه الشخصية، وتبقى أطول مدة ممكنة في الحوار مع الشخصيات الأخرى، وهذا لا يعني إلغاء الشخصيات الأخرى "وقد تغير مفهوم البطل المسرحي بتغير المجتمع الإنساني، فكان البطل في المسرحية الإغريقية ملكا أو أميرا أو قائدا، أما في العصر الحديث فقد ظهرت طبقات جديدة لها دور كبير في المجتمع كالمثقفين والفلاحين والعمال وعامة الشعب"[4]

---

[1] انظر– **من فنون الأدب – المسرحية**، ص11.

– **المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي**، ص 258.

[2] **المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي**، ص258.

[3] انظر: **معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية**، ص93. عن كتاب المسرح الشعري، ص277.

[4] **من فنون الأدب– المسرحية**، ص27–28.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أغرق برهان الدين العبوشي مسرحياته بالشخصيات الكثيرة، حتى ليربو عدد الشخصيات في مسرحية "وطن الشهيد" عن مائة شخصية، من بينها شخصيات فاعلة لها دور البطولة كشخصية الشريف حسين، وشخصيات ليس لها حضور حتى بالاسم مثل "أربعة عشر مجاهدا"، وشخصيات نمطية غير متطورة مثل "المرأة اليهودية" التي تبيع شرفها، وتتاجر بعرضها لصالح الحركة الصهيونية، رغبة في إفساد الشباب، والحصول على الأرض والمال، وشخصيات رمزية يحركها الشاعر ولها حضور بارز في الذاكرة الفلسطينية مثل؛ الأمين- رئيس الهيئة العربية العليا-، وحلمي- أحمد حلمي باشا-، وجمال- نائب رئيس الهيئة العربية العليا-.

كما يلجأ العبوشي إلى طرح شخصيات مجهولة دون أسماء أثناء الحوار، مثل "رجل"، و"شاعر"، و"بنت"...، ويلجا أحيانا إلى ذكر عدد الأشخاص ليحقق هدفا معينا مثل "تسعة عشر من معتقلي صرفند"، و" وأربعة جرحى من دول عربية"...فذكر أسماء الشخصيات في هذه الحالات غير ضروري، بل العدد هو الذي يحقق الهدف.

إنّ العبوشي حال ذِكرِهِ الشخصيات النسائية-غالبا-، لا يذكر اسم الشخصية تصريحا، بل يقول: امرأة أو بنت أو زوجة، كما في مسرحيات "وطن الشهيد"، و"شبح الأندلس"، أما في مسرحية "الفداء" فقد ذكر أسماء شخصيات نسائية مثل، فاطمة وتماضر؛ ولعلّ ذلك يعود لطبيعة الدور العظيم الذي قامتا به في المسرحية، بينما تخلو مسرحية "عرب القادسية" من الشخصيات النسائية باستثناء الخنساء.

بينما تحظى الشخصية النسائية اليهودية بحضور لافت في مسرحيات العبوشي، وخاصة مسرحية "وطن الشهيد"، حيث تقوم سارة بدور العاهرة التي توقع أصحاب الأرض في حبائلها الواحد تلو الآخر خدمة لبني قومها، كما تقوم "شوشانة وراحيل" مع خليل الفلسطيني بنفس دور سارة، فتحاولان الإيقاع به، وإغراءه عن طريق شرب الخمر، والتسلية مع الفتيات.

كذلك تظهر الشخصية النسائية العميلة في مسرحية "عرب القادسية" وتمثل هذا الدور شيرين، حيث تحاول أن تخترق صفوف المسلمين، وتستكشف الأخبار لترسلها إلى الفرس، وتجد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لها عونا وهو محمود، لكن أمرها لا يلبث أن يفتضح، وتقع في شباك المسلمين مع محمود الذي حاول مساعدتها.[1]

لقد اعترف برهان الدين العبوشي في نهاية مسرحية "وطن الشهيد" بكثرة أشخاص المسرحية، لكنه اقر بأن السبب تمجيد أولئك الأبطال المجاهدين، بل اعتذر عن عدم ذكره لأسماء الكثير من الشهداء الذين يجهل أسماءهم، وترك ذكر أسمائهم للشعراء من بعده" لقد وجب علينا أن نمجّد الشهيد، ونرفع رايته فوق كل راية، فالشهادة في العروبة والإسلام أعظم غاية، وهي مثلها الأعلى، ولقد آن لنا أن نعطي كل مجاهد حقه، مادامت عروبتنا من مبادئها العدل والوفاء"[2].

لقد برزت شخصية برهان الدين العبوشي بوضوح في مسرحياته، وخاصة عندما يتعرض لذكر الشخصيات اليهودية، والمتعاونين مع اليهود، فنراه يعبر عن الشخصية اليهودية بشكل رائع، حيث تظهر الكثير من اللمحات الذكية في الحوار بين الشخصيات اليهودية.[3]

أما الشخصيات التراثية التاريخية فقد أضفى عليها العبوشي لمحة من العظمة والكبرياء، وذلك واضح من خلال الحوار في مسرحية "عرب القادسية"، وخاصة عندما يتحدث خالد بن الوليد، أو سعد بن أبي وقاص، حيث يعرض العبوشي الشخصيات التاريخية ليقتدي بها عرب هذا الزمان، فمن الطبيعي أن يكون للشخصيات عزة وكبرياء[4]، فكاتب المسرحية التاريخية لا يختار الأحداث التاريخية والشخصيات عبثا في إطار النص المسرحي، بل يختار ما يرى أنه ذو دلالة خاصة قد تكون نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية، ثم يحاول أن يعرض تلك الدلالة في بناء فني متكامل، تتحقق فيه السمات الفنية للمسرحية[5].

---

[1] انظر: **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص526-527.

[2] **نفسه**، ص333.

[3] انظر: **نفسه**، ص 358-366 ، وكذلك ص372-378.

[4] انظر: **نفسه**، ص518-532.

[5] انظر: **من فنون الأدب – المسرحية**، ص51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الشخصية اليهودية في أعمال العبوشي المسرحية فهي شخصية نمطية، يكن لها العداء لأسباب كثيرة أهمها الناحية الأخلاقية، فهو يرى في أخلاقهم تهديدا للأخلاق العربية الريفية الأصيلة[1]، حيث نرى العبوشي عندما يتعرض لذكر اليهود في مقدمة مسرحيته "وطن الشهيد" يصفهم بالعصاة والمتمردين على الله والرسل بل وعلى أنفسهم "إن أخلاقهم شذت قبل الإسلام وبعده، وستظل ماثلة فيهم إلى يوم البعث"[2]

إن رؤية العبوشي وموقفه من اليهود يستمدهما من الإسلام العظيم، فهو ينطلق من رؤية إسلامية عربية ريفية، ولا يفرق بين اليهودية والصهيونية، بل كلهم سواسية[3]، يقول العبوشي في مسرحية "وطن الشهيد" واصفا اليهود:

البسيط

يـــا أيهـــا الطـــامعون المفســـدون إذا أخفيـــــتم الغـــــدر فـــــالعلام يفضـــــحه
كدتم لموســـى فتهـــتم فـــي فدافـــدها وكـــل كيـــد فســـوف الحـــق يكبحـــه
أردتـــم الملـــك رغـــم الله ويحكـــم الملـــــــك للمـــــــؤمنين الله يمنحـــــــه
أنـــا المـــلاك ســـفير الرســـل أنـــذركم أن لا تعيثـــوا فخيـــر النصـــح أفصـــحه[4]

إن النصوص المسرحية تجسد نفس الأفكار التي عرضها العبوشي في مقدمات مسرحياته، فاليهود كما يظهرون في مختلف المسرحيات ماكرون، خداعون، حاقدون، لا يمتون للأخلاق بصلة، يسودهم الطمع والمكر والأنانية، بل هم جبناء.

كما تتصف الشخصيات اليهودية ب "حب المال، والتعالي على الآخرين، وهي أيضا لا ترى ضيرا في استعمال الرشوة والخداع والكذب واللجوء إلى الإيقاع بالآخرين، كل هذا من أجل الوصول إلى أهدافها"[5].

---

[1] انظر: الأسطة، عادل، **اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م**، ط1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1992م، ص28،

[2] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص331.

[3] انظر: **اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م**، ص27.

[4] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص368.**

[5] انظر: **اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م**، ص31.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الشخصيات اليهودية متشابهة في السلوك على الرغم من اختلافها في التفكير، فمثلا في مسرحية وطن الشهيد نجد أن "وايزمان" يهودي علماني، بينما "الياهو" يهودي مؤمن بالتوراة إيمانا عميقا، وكان العبوشي يود أن يقول لنا إن اليهود مهما تغير نمط تفكيرهم إلا أنّ ولاءهم ليهوديتهم أولا وأخيرا[1].

المطلب الثاني: الحوار

إن أهم ما يلاحظه المتلقي في المسرحيات على اختلاف أنواعها عنصر الحوار، فليس هناك راو يقص علينا أحداث المسرحية، ويعرفنا بالأشخاص والأحداث والعلاقات المختلفة كما في الرواية أو القصة على سبيل المثال، بل تكشف شخصيات المسرحية عن نفسها وطبائعها بوساطة الحوار[2]، فمهما اختلفت المسرحية كفن مع الفنون الأدبية الأخرى إلا أنها تعتمد على حدث يتجلّى أمام المتلقين عن طريق الحوار، ومن خلال التفاعل بين شخصيات المسرحية عن طريق الحوار يمكن للأديب أن ينسج البناء الفني للمسرحية.

"إن الحوار هو الأسلوب أو اللغة التي تدور على لسان الشخصيات، وتكشف عن الصراع بينها، وتوصل إلى فكرتها الأساسية التي يهدف الكاتب إلى الوصول إليها، والحوار المسرحي حوار نموذجي يمثّل طبيعة الحوار في واقع الحياة، فالمتحدث في المسرحية يعبر عن عواطفه وأفكاره بلا تلعثم أو تردد أو خروج عن الموضوع"[3].

"والمسرحيات الشعرية تمتاز بزيادة العبء الفني على صعيد لغة الحوار، إذ أن الكاتب مطالب بالتعبير الشعري وفق متغيرات الحدث واختلاف الشخصيات ووحدة الصراع"[4] "كما أن المسرحية الشعرية تفرض على مؤلفها بعض القيود في رسم المواقف، وإجراء الحوار"[5] إذ يحاول برهان الدين العبوشي أن يحصر المواقف التي يستطيع من خلالها التعبير شعرا عن

---

[1] انظر: **اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م**، ص31.

[2] انظر: **من فنون الأدب – المسرحية**، ص11.

[3] **من فنون الأدب – المسرحية**، ص33.

[4] **المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي**، ص408.

[5] **من فنون الأدب – المسرحية**، ص33.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طبيعة الأحداث، فالملاءمة بين الموقف والمستوى الفني لم يمثل مشكلة بالنسبة للعبوشي، فلم ير من بأس في اقتراب شعره من لغة الحوار العادي البسيط، ومواقف الحياة اليومية، إذ إن ما يهمه هنا هو إيصال الفكرة عن طريق الحوار إلى كافة المتلقين. ذلك أن الهدف من المسرح الشعري ترويج المعنى الذي تريد كل شخصية مسرحية أن يقتنع به المتلقي[1].

تمتاز مسرحيات برهان الدين العبوشي بالنبرة الخطابية الثورية أكثر من لغة الحوار العادي بين الأشخاص، ففي بعض المواطن في المسرحيات– منها الحوار بين مندوبي الدول العربية – تشعر أن لغة الحوار هي عبارة عن بعض المقطوعات الشعرية القصيرة تجمعت مع بعضها فشكلت مسرحية شعرية، ولو قارنت بين قصائد العبوشي في دواوينه والمقطوعات الشعرية في مسرحياته لوجدت أن لغة الحوار واحدة، تعلوها النبرة الخطابية المؤثرة التي تبعث في النفوس روح الحماس،[2] فمثلا في الحوار الذي يجمع بين مندوبي الدول العربية، حيث يعبّر كل مندوب منهم عن وجهة نظره بمقطوعة شعرية، لا تكاد تجد الحوار إلا على شكل مقطوعات شعرية دون تداخل في لغة الحوار بين الشخصيات، يقول مندوب مصر في مسرحية "وطن الشهيد":

الوافر

رأينا في الأحبة كل خير فهيا نبحث الخطب الجسيما
فلسطين بها الأحزاب كثر وكل نهجه أضحى قويما
فهلّا إن جمعناهم جميعا نلاقي عندهم رأيا سليما[3]

ويكمل المندوب المصري كلامه، ثم يرد عليه مندوب لبنان:

الوافر

مصيبتهم مصيبتنا وإنّي أرى هذا المصاب بنا قديما

---

[1] سلام، أبو الحسن، **مقدمة في نظرية المسرح الشعري**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006، الاسكندرية، ص177.

[2] انظر: **تاريخ المسرح الفلسطيني**، ص110–111. وكذلك: **المسرح الفلسطيني**، ص408.

[3] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص414.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتلـــك خطيئـــة منـــا فلـــولا تخاذلنـــا لمـــا هِبنـــا الغريبـــا
فُتِنّـــا بالغريـــب وكـــان داء وأســـكناه جنتنـــا نعيمـــا[1]

وهكذا تدور لغة الحوار دون أي تداخل في الأبيات الشعرية.

وهذا لا يعيب برهان الدين العبوشي في شيء، فهو من رواد المسرح الشعري الفلسطيني، ولم يكن لديه اطّلاع كامل على أسس المسرحية الحديثة، بل أطلق مسرحياته لتصل إلى الشعب فهو موضع العناية، ثم إن طول النفس في الحوار داخل المسرحيات الشعرية يعبر عن الروح الحماسية العالية التي تنطلق من شاعر خبر الأمور، وأراد أن يبث آماله وآلامه إلى بني وطنه.

لكن ذلك لا يعني أن الحوار في مسرحياته كلها سار على تلك الشاكلة من المباشرة والخطابية، فقد نوّع العبوشي في لغة الحوار، فتجد مثلا بيتا شعريا واحدا يأتي على لسان أكثر من شخصية في مسرحياته، ومن ذلك في مسرحية "عرب القادسية" حيث ورد بيت شعري على لسان ثلاثة أشخاص ضمن الحوار:

الطويل

خالد: ففيم انتبذتم جانب السلم أفصحوا
عدي: وجدناه خيرا
ساهي: قد وجدناه أحزما[2]

وهذه السمة في شعر العبوشي ليست نادرة، بل تشكل ظاهرة في مسرحياته[3]، كذلك يكثر أن يأتي بيت شعري ضمن الحوار على لسان شخصيتين في مسرحيات العبوشي، ومن ذلك في مسرحية "عرب القادسية":

سعيد: عرفنا دربنا ولذا سلكنا سبيل الحرب
فاطمة: فليعش الفداء
عياض لسعيد: وهل جندت؟

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص414.
[2] **نفسه**، ص578.
[3] انظر: **نفسه**، ص574-575.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سعيد: ألفا خير ألف أسودا لا يفل لها مضاء

عياض: وما لقّنتهم

سعيد: كتمان سرّ وتضحية إذا حتم القضاء[1]

إن أهم ما يميز مسرحية (الفداء) عن باقي مسرحيات برهان الدين العبوشي أن لغة الحوار فيها قصيرة، وسريعة ومتسلسلة بشكل متقن، فلا تكاد تتكلم الشخصية الأولى حتى تدخل الشخصية الثانية الحوار مبدية رأيها في شطرة شعرية أو أقل.

وفي كثير من المواطن يدخل الشاعر الحوار المسرحي ويتقمص شخصية الناصح لإخوانه، لكنه يمثل لغة حوارية خطابية، ويطيل في عرضه للموضوعات المختلفة، ولعل ذلك يدل على حجم الحرقة والألم اللذين يعتصران الشاعر لما لاقته أمته من ذل وهوان، "فالمسرحية الشعرية خلق لعالم كامل ومتفرد يقوم على معايشة وجدانية شعورية كثيرة الظلال والايحاءات، ولا ينبع الشعر فيها من صليل القوافي المتتابعة... ولكن من علامات تحدد انتظام هذا العالم وتشير الى التنوع والصراع فيه"[2]، يقول الشاعر في مسرحية "شبح الأندلس":

الكامل

أسمعت همس الناس في أيار حسبوه شهر مكارم وفخار
هذي المعارك عند سلمة أُضرمت وشبابها وثبوا لغسل العار
وقفوا وقوف الليث واقتحموا العدا وأسودها لم يذعنوا للنار
وشباب يافا قارعوا العادي فما لانت قناتهم إلى الفجّار[3]

المطلب الثالث: الحبكة

"الحبكة هي التنظيم العام للمسرحية، وهي عملية هندسة وبناء الأجزاء المسرحية، وربطها ببعض بهدف الوصول إلى تحقيق تأثيرات فنية وانفعالية، فكل مسرحية حتى لو كانت

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي** ص578.

[2] عبد القادر، فاروق، **تنويعات على لحن الثورة المحاصرة**، مركز القدس للأبحاث، منشورات الوكالة الفلسطينية، القدس، ط1، 1987، ص18.

[3] **نفسه**، ص439.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبثية لا تخلو من الحبكة، أي من الاشتمال على الحوار والشخصيات والأحداث، وبالتالي لا يمكن فصل الحبكة عن جسم المسرحية إلا نظريا؛ لأنها هي روح العملية الدرامية"[1]، فكل مسرحية مهما كان نوعها، ومهما تنوعت أفكارها لا بد لها من حبكة تتآزر فيها الشخصيات مع الحركة الدرامية مع اللغة المتنوعة من محور إلى آخر، فالحبكة أساس المسرحية ولا يمكن فصلها عن جوهر العمل المسرحي، فمصطلح الحبكة من بين المصطلحات الدرامية الهامة، التي تهتم بالتنظيم العام لأجزاء المسرحية، أي ترتيب الأجزاء إلى بعضها في أسلوب ما.

"والحبكة تختلف من كاتب إلى آخر، بل ومن مضمون إلى آخر، ومنذ أرسطو والباحثون يرون تقسيم الحبكة إلى نوعين؛ هما: الحبكة البسيطة، والحبكة المعقدة، وبعد 18 قرنا أضافوا لها نوعاً ثالثاً، وهو الحبكة المركبة"[2]. والحبكة عند العبوشي من نوع الحبكات البسيطة التي يمكن التنبؤ بها، وهي واقعية بعيدة عن الخيال والأسطورة.

ومما يميز مسرحيات برهان الدين العبوشي وجود حبكة رئيسة تتلوها حبكات ثانوية، لا تضعف من الحبكة الرئيسة، بل تزيدها قوة ومتانة، وتؤكدها في إطار النص المسرحي، فالاكتفاء بحدث رئيس واحد قد يجعل مجال الإبداع ضيقا، ويُشْعِرُ المتلقين أن الحبكة تسير في خط مستقيم ضيق يبتعد عن طبيعة الحياة، فقد رسم العبوشي في مسرحية "وطن الشهيد" حبكة متماسكة ملتزما بالوقائع التاريخية، حيث تتمثل الحبكة الرئيسة في جهود العرب للتخلص من جبروت الدولة العثمانية، وأردف هذه الحبكة بثلاثة محاور هي: جهود الشريف حسين في الثورة على تركيا، وتأجيج مشاعر العرب، ثم جهود اليهود في جمع المال لشراء الأراضي، وتجنيد الجيش، وأخيرا جهود المواطنين العرب في التصدي للإنجليز والعصابات الصهيونية، وما لقوا من قتل وتشرد واعتقال، لكن انتقال العبوشي من فكرة إلى أخرى كان سريعا، ما يضعف التواصل بين فصول المسرحية، ولعل ذلك يعود إلى التزام العبوشي باعتماده حرفيا على الواقع مع شيء من الخيال المسرحي، فقد استعان بالجرائد والمجلات والأخبار اليومية، والحوادث

---

[1] حمادة، إبراهيم، **معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية**، القاهرة، دار المعارف، 1985م، ص93، عن كتاب: المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي، ص264.

[2] القضابي، أحمد عادل، مقالة بعنوان"**الحبكة**"، بتاريخ: 5-8-2009م، موقع *maktoobblog.com*.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدامية، والتحليل والعقل والعاطفة، وتجارب الذين خدموا القضية في بناء مسرحيته[1]، فقد تضافرت الموضوعات الثانوية مع الموضوع الأصلي في تحقيق وحدة الأثر العام في المسرحية.

"ومن المعلوم أن الحبكة هي التي تعطي المسرحية قوامها، فهي ترتيب للأحداث، وتحديد للشخصيات وما تنطق به من حوار، بحيث تتحدد معالم الشخصيات بفضل تلك الحبكة، ويتحقق الهدف الذي يرمي إليه المؤلف من مسرحيته، وما تثيره من أفكار وانفعالات"[2].

أما مسرحية "شبح الأندلس" فقد استفاد العبوشي فيها من تجربته السابقة، فدعم من التواصل المباشر بين فصول المسرحية، فجاءت حبكتها "صدى لآلام أمة عربية لم تذق طعم الكرى سحابة ثلاثين عاما، وهي في حلبة الجهاد ومعارك البطولة"[3]، فالحبكة الرئيسة تدور حول إحساس الشاعر بأن ما أصاب بلاد الأندلس ليس بعيدا عما سيصيب فلسطين، ثم تدعم فصول المسرحية ما أراد الشاعر إيصاله للجمهور، من الإحساس باليأس والحسرة، ثم تتبدد الحسرة بدخول الجيوش العربية مع التركيز على الجيش العراقي، وتنتهي باحتلال العصابات الصهيونية لأجزاء واسعة من فلسطين.

أما مسرحية "عرب القادسية" فقد اختلفت حبكتها نتيجة ما أصاب الأمة من وهن وضعف وهزائم، فلجا العبوشي إلى بطون كتب التاريخ ليخرج لنا بمسرحية تاريخية تعكس ارتداد الشاعر إلى روح التاريخ لبناء حاضر جديد، فكتب على جدار مسرحيته "فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم"[4]، وأهم ما يميز حبكة هذه المسرحية أن التاريخ يدخل في الفصل الثاني منها كأداة درامية ليتشبه عرب اليوم بأجدادهم، ويثير النخوة والعزيمة في روح الشباب، فالفصل الأول يبدأ بحوار يضم الشاعر وجماعة من الشباب، يسير الحوار بشكل نمطي إلى أن يصل "عقيل" إلى إنهاء

---

[1] انظر: **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص335.

[2] مندور، محمد، **المسرح**، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1963م، ص83.

[3] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي** ، ص431.

[4] **نفسه**، ص503.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحوار المر؛ لأن فيه الهزيمة، ويخرج المسرحية إلى فضاء التاريخ حيث أبطال معركة القادسية خالد وسعد والمثنى...مستلهما الحبكة من وحي معركة القادسية.

وينهي العبوشي أعماله المسرحية بمسرحية "الفداء"، حيث تدور حبكتها حول تمجيد الأبطال والشهداء الذين شاركوا في التصدي للعصابات الصهيونية، وإثبات الثناء لكل من ضحى من أجل الوطن، ثم يدعم حبكته الرئيسة بمشاهد لحال اللاجئين الفلسطينيين، وما حل بهم ملقيا اللوم على الساسة الذين طعنوا الفداء زلفى ل"إسرائيل"، ويبرز انبثاق الفجر الجديد بانطلاق الكفاح المسلح والثورة الفلسطينية ضد الاحتلال.

إن أهم ميزة تتميز بها مسرحيات برهان الدين العبوشي هي وحدة الموضوع، فوحدة الموضوع تشكل العمود الفقري للمسرحية؛ "حتى لا تأتي مفككة غير مترابطة أو متعارضة متناقضة الأحداث، ما يذهب بالأثر النهائي الذي تسعى إلى توليده في النفوس"[1].

المطلب الرابع: الحدث وارتباطه بالزمان والمكان

الحدث الدرامي هو كل واقعة تحدثها الشخصيات في حَيّزيّ زمان ومكان المسرحية، مساهمة في تشكيل الحركة الدرامية، ويتكون الحدث أو الفعل الدرامي من حركات الممثلين الجسمية بالإضافة إلى كلمات الحوار التي تصور العواطف وردود الأفعال[2].

والحدث في المسرحية مبني على فكرة الاختيار والعزل[3]، حيث يختار الأديب من الحياة ما يرى أنه صالح ليكون مادة لعمله المسرحي، وما يرى أنه يثير اهتمام المشاهد، وينقل إليه المعاني والأفكار التي يرغب في عرضها، فإذا اختار الكاتب حدثا معينا عمد إلى التركيز على ذلك الحدث، وعزله عن بقية الأحداث[4].

---

[1] **المسرح**، ص83.

[2] انظر: **معجم المصطلحات الدرامية**، ص99-179، نقلا عن: المسرح الفلسطيني، ص327.

[3] انظر: **من فنون الأدب – المسرحية**، ص12.

[4] انظر: **المسرح الفلسطيني**، ص327.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يلجأ برهان الدين العبوشي إلى نزع الحدث عن ارتباطه بالزمان والمكان، بل أكّد هذا الارتباط في معظم أعماله المسرحية، ومن ذلك مسرحية "وطن الشهيد" حيث يبدأ الفصل الأول بحوار بين الشريف حسين وأبنائه عن أحوال دمشق، وجمال باشا، وسخط العرب على الدولة العثمانية، وأنه إن لم يتحسن الحال سيدافع عن العرب بالسيف، ولن يسكت على الضيم، ويدور الحوار في بيت الشريف حسين بمكة المكرمة:

الطويل

ألا خبرونـــي عـــن دمشـــق وأهلهـــا وعما جرى في الشـــام مـــن ظلـــم ظـــالم
سمعت بـــأن التـــرك عـــاثوا وأفســـدوا وأن (جمـــــالا) قـــد أتـــــى بالعظـــــائم
فإن صحّ مـــا قـــالوا فيـــا ويـــح أمهـــم إذا نحـــن ثرنـــا بالأســـود الضـــراغم[1]

هذا الحوار يمثل مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، حيث استبدّت الدولة العثمانية بالعرب، وأذاقتهم أصناف العذاب، وفي ظلّ هذه الأزمة دخل على الشريف حسين رسول الإنجليز، يحثه على طلب الدعم العربي وعقد حلف ثنائي ضد الدولة العثمانية، فرحّب الشريف حسين بالموضوع، مشترطا الحصول على دولة عاصمتها مدينة القدس:

البسيط

بلّـــغ رجالـــك أنـــي شـــاكر لهـــم ودادهـــم وجميـــل كـــلّ مـــا كتبـــوا
لكن تـــاجي بغيـــر القـــدس منـــتقص فإن رضوا ســـألبّي كـــلّ مـــا طلبـــوا[2]

ثم يؤذّن للصلاة فيقوم الجميع، وينقل العبوشي الحدث في المنظر الثاني من الجزيرة العربية إلى لبنان، حيث القحط والمحل والفقر، ويناجي الشاعر بيروت:

مجزوء الكامل

مـــــاذا دهـــــاك فقـــــد تلاشـــــى النّـــــور واربـــــدّ الفضـــــاء
والنـــــاس فـــــي هـــــرج وفـــــي مـــــرج وقـــــد عـــــمّ الـــــبلاء

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص 337

[2] **نفسه**، ص 340

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنـــــت الوجـــــوه لربهـــــا الـــــرحمن تســـــأله الغـــــذاء

المـــــوت يحصـــــد أمتـــــي وجمـــــال يـــــنعم فـــــي الرخـــــاء[1]

نلحظ من خلال انتقال العبوشي من مكة إلى لبنان رغم بعد المسافة الجغرافية، والانتقال السريع من مكان إلى آخر، أنه كان قد أبدع في ذلك، فقد ربط بين الأماكن المختلفة التابعة لسلطة الدولة العثمانية، ثم يعود الشاعر في المنظر الثاني إلى مكة المكرمة حيث مجلس الحسين بن علي وجماعته، ويتحاور الحسين مع أبنائه حول خطورة التحالف مع الإنجليز، فيدخل عليهم رسول الإنجليز يحمل كتابا من (مكماهون):

البسيط

مولاي قد جئت والبشـــرى علـــى عجـــل وما اشـــترطت علـــى الأحـــلاف مقبـــول

فقدســـــكم وبـــــلاد العـــــرب حقكـــــم وشـــــرطكم بوفـــــاء العهـــــد مكفـــــول[2]

ثم يهبّ الحسين بن علي فيطلق رصاصة الثورة ضد الدولة العثمانية، ثم ينتقل العبوشي إلى الفصل الثاني حيث يجلس زعماء اليهود على المسرح فرحين مستبشرين بالنصر على العرب، وحيازة وعد بلفور بالوطن القومي في فلسطين.

لكن الانتقال في الحدث على صعيد الزمان والمكان انتقال سريع، فمرّة من الجزيرة العربية، ومرّة من بيروت، ومرّة من فلسطين، فقد افتقرت المسرحية إلى تسلسل الحوادث ووحدتها، فتبديل المشاهد سريع، والانتقال من مكان إلى آخر فجائي دون مقدمات[3]. وقد سارت أحداث مسرحية "وطن الشهيد" في خط مستقيم، دون صعود أو هبوط، فكانت أقرب للسرد التاريخي والوصفي، ومن ذلك تصوير الأحداث الحياتية بشكل حرفي للسجناء، من خلال الحوار[4]، كما أن المواقف العربية لا تظهر من خلال الحدث بقدر ما تظهر من خلال الحوار، في أسلوب أقرب للسرد في كلام مندوبي العرب[5]، ويمتد الحدث في أماكن متباعدة من بغداد لبيروت وفلسطين ومكة المكرمة، كما أن زمن الوقائع يمتد من ثورة الحسين على تركيا حتى

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص 341.

[2] **نفسه**، ص 346.

[3] انظر: **تاريخ المسرح الفلسطيني**، ص110.

[4] انظر: **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص391.

[5] انظر: **نفسه**، ص414-415.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لحظة تخلي بريطانيا عن الانتداب على فلسطين، تمهيدا لتأسيس الدولة اليهودية، وصولا إلى استعداد العرب لمنع ذلك[1]، لكن تباعد الأماكن في النص المسرحي له ما يبرره؛ فقضية فلسطين كانت محلّ اهتمام كافة الدول العظمى، ينتقل العبوشي في النص المسرحي من دولة إلى أخرى في فصول المسرحية ليدلل على عظم اهتمام الأطراف المختلفة بالقضية الفلسطينية، واختلف هنا مع الجوزي وغنيم في أن تباعد الأماكن يقلل من قيمة العمل المسرحي، فالانتقال من مكان إلى آخر يزيد من عنصر التشويق، ويدل على أن الأقطار العربية تجمعها قوميتها وتوحد بينها.

أما في مسرحية "شبح الأندلس" فلم يتجاوز العبوشي في فصوله المسرحية، المسرح وساحة المعركة، حيث بقي عنصر المكان محدودا، وكذلك عنصر الزمان، فلم تتجاوز الفترة الزمنية مرحلة انتهاء الانتداب البريطاني، وبداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين.

ثم يعاود العبوشي التباعد في عنصر الزمان خلال الفصل الثاني من مسرحية "عرب القادسية"، حيث يبدأ الفصل الأول مع بداية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فقد كان الوضع مأساويا وأراد أشخاص المسرحية الخروج من الوضع المأساوي، فعادوا بالزمن إلى عصر صدر الإسلام، زمن خالد وسعد والمثنى، لعل الرجوع إلى عصر صدر الإسلام يسلّي النفوس، ويعلي الهمم، ويتنقل العبوشي في مناظر الفصل الثاني والثالث من الجزيرة العربية إلى بلاد الفرس ذهابا وإيابا.

أما مسرحية الفداء فقد انحصر عنصرا المكان والزمان فيها، فالزمان عام 1967م حيث احتل اليهود ما تبقى من فلسطين، والمكان البراري والتلال والسهول، داخل الخيام وأحيانا في ساحات القتال، والخيام هنا للدلالة على حجم التشرد ومرارة اللجوء.

[1] انظر: **المسرح الفلسطيني**، ص338.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

المذكرات "من السفح إلى الوادي أُلبّي صوت أجدادي"

مقدمة

المبحث الأول: دوافع العبوشي في كتابة مذكراته.

المبحث الثاني: أهمية مذكرات العبوشي.

المبحث الثالث: وصف مذكرات العبوشي.

المبحث الرابع: مضمون مذكرات العبوشي.

المبحث الخامس: أسلوب العبوشي في مذكراته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

المذكرات "من السفح إلى الوادي أُلبّي صوت أجدادي"

مقدمة

"يعدّ فنّ المذكرات من أقدم أنواع الفنون، فقد لجأ إليه العلماء والسياسيون والزعماء والقادة، حيث يحفل التاريخ بالمذكرات المتنوعة التي خلفها الأقدمون، ما يثري رصيدنا المعرفي وينمّي تجاربنا في الحياة"[1]،"وقد ظهرت المذكرات منذ القدم مسجلا لأحداث التاريخ البارزة، أو معنيا بالشخصيات المعاصرة للكاتب، وذاعت في الآداب العالمية خلال القرون الوسطى، وأصبحت في العصر الحديث من الفنون الأدبية الرائجة "[2].

والمذكرات نوع من العمل الأدبي يتبع الأديب في كتابتها إما على تسلسل الأيام، وإما بشكل متتابع لأهم الأحداث، ولا يكتب فيها إلا ما هو ذو أهمية، يبرز قضية، ويوضح مشكلة من مشكلات العصر الذي يعيشه، وقد يتوقف عند شخصية أثرت فيه وفي عصره، وقد يكثر من ذكر ما يمر في حياته. فالمذكرات "سرد كتابيّ لأحداث جرت خلال حياة المؤلف، وكان له فيها دور"[3].

وقد عدّ برهان الدين العبوشي المذكرات جنساً أدبياً، لأنها ليست بحثاً في التاريخ تدعمه المراجع والوثائق، ولأنها ليست تأملاتٍ فلسفيةً قابلة للمناقشة، وإنما هي اجترار الماضي واستبطان أحداث ماضية أسهم فيها الكاتب، وبتدوينها يمنحها دفء الحياة، وتألُّق الحركة والنشاط، حيث يقول العبوشي" لا أريد أن ألبس ثوب المؤرخ، فكتابي ليس للتأريخ، وإنما هو للتلميح والتمليح"[4].

---

[1] انظر: أبو شريفة، عبد القادر، **إشكالية مصطلحات أدب السيرة**، بحث ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، 1999م، ص13.

[2] عبد النور، جبور، **المعجم الأدبي**، ص246.

[3] **المعجم الأدبي**، ص 246.

[4] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص672.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: دوافع العبوشي في كتابة مذكراته

إن كاتب المذكرات حينما يكتب مذكراته لا يكتبها هكذا عشوائيا، وإنما يسجلها جراء بعض الدوافع التي تجره إلى الكتابة، ليحفظ بذلك تاريخ حياته مرتبطا مع الأحداث المختلفة التي عايشها وكان له دور فيها، وهذه الدوافع تختلف من كاتب إلى آخر تبعا للظروف المختلفة، لكن ذلك لا يعني أننا لا نجد كاتبين يشتركان في سبب واحد، وهذا يعني أن الأسباب كثيرة والدوافع متعددة.

لقد أراح برهان الدين العبوشي النقاد من تصنيف عمله الأدبي، فذكر غير مرة أنه يقع في باب المذكرات، حيث أطلق على كتابه "مذكرات برهان الدين العبوشي"[1]، فقد شغل نفسه بذكر الأحداث العامة الهامة، حيث ركز على شخصيته وعائلته وأقربائه في مقدمة المذكرات، لكنه لم يفصل ذلك عن طبيعة الأحداث، وبهذا هدفت مذكرات العبوشي إلى ترجمة حياته غير منفصلة عن أحداث عصره، فهدف العبوشي من مذكراته سرد الأحداث، وتحليلها وتوضيح حقائقها، وعرضها بشكل واقعي.

حيث يقول العبوشي في مقدمة المذكرات" كنت أسير في شوارع بغداد والشام وبيروت والقاهرة وعمان، فألمح عناوين كتب عن حياة (غاندي ونهرو ومصطفى كمال)، وأقرأ سيرة المثنى وخالد وصلاح الدين، فتمتد يدي بلهفة وأفرغها في يد البائع... بعد عراك خفيف مع فلسفة الاقتصاد، كنت أقرؤها فأجد مادتها شرحا لحياة رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، يرى كما نرى، ويسمع كما نسمع، ويشعر كما نشعر، وليست حياة – كما خيل لي من قبل– مشحونة بالآراء العلمية والفلسفية، والمغامرات المستحيلة والمعجزات، وإنما هي سجل حياة مرت، أو شاشة سينمائية لعوامل داخلية وخارجية، مرت على رجل عاقل لبيب عكسها على الشاشة ليفيد بها الألباء وعظا وإرشادا ومتعة... إن حياة هذا العظيم كحياة سائر الناس، فلماذا لا

[1] انظر: **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص605.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكتبون بإخلاص ليقرأ الأبناء تجاربهم، فيفيدوا منها عظة ورشدا، فتكون أساسا للأحفاد، يبنون على هداها، ويبصرون بنورها"[1].

لقد هدف العبوشي من مذكراته أن يقدم للجيل القادم أنموذجا حيّا يتعلمون منه ويقتدون به، ويأخذون منه العظة والعبرة، وبالذات ما كان في حياته من الأحداث والأزمات ما يميّزه عن غيره، ولا شك أن حياة برهان الدين العبوشي مليئة بالعظة والعبرة للنشء الجديد، فقد حرص في مذكراته على نفع الشباب وإفادتهم لتكون مذكراته علما يهتدي به الشباب من بعده "وفائدة الأحفاد هي التي حدت بي إلى كتابة كلّ ما أكتب شعرا ونثرا"[2]، فمذكرات العبوشي نثر قائم على مذكرات كان يكتبها من حين إلى آخر، فلما بلغ مرحلة عمرية متأخرة شعر أنه يجب أن يطبعها للأحفاد، يطالعها القارئ فيشعر بالمتعة واللذة، ويرى كيف كانت حياة هذا الإنسان، ولادته ونشأته وتطوره، وارتباط ذلك كله بالأحداث والثورات والحروب.

كما ذكر العبوشي في مقدمته سبب كتابة المذكرات صراحة؛ وهي إفادة الأحفاد من تجارب الأجداد فقال" إنني أكتب كعربي من فلسطين شاهد كثيرا، وتأمل فيما شاهد، وحلّل وفحّص ومحّص، فخرج بنتيجة صحيحة كتجاربه، وها أنذا أقدم إلى القارئ نتيجة هذا التحليل بكلام عربي مبين، يفيد الأحفاد كما أرهق الأجداد، وفائدة الأحفاد هي التي حدت بي إلى كتابة ما أكتب شعرا ونثرا، ولست أؤثر الشهرة في كتابي..."[3].

ومن دوافع العبوشي غير المعلنة في كتابة مذكراته حرصه على إبراز أثر مجتمعه وبيئته في حياته وأدبه، أو إبراز أثره هو وأثر أدبه في مجتمعه وبيئته، وهذا الدافع لم يكن معلنا في أعمال برهان الدين العبوشي، ولكننا نستنتجه من خلال كلماته وعباراته في المذكرات، ومن خلال تركيزه على جوانب معينة في أعماله.

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص611-612.

[2] **نفسه**، ص612.

[3] **نفسه**، ص612.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر إحياء أدبيا في الوطن العربي، سرعان ما أصبح أساسا لحركة قومية ثقافية"[1]، فالقومية هي التي حفّزت الأدباء العرب على كتابة مذكراتهم وسيرهم الذاتية، لكن الضغوط التي تعرض لها أدباء فلسطين كانت أكبر من تلك التي تعرض لها الأدباء العرب بسبب أصناف الاحتلال التي تعرضت لها فلسطين، لكن كُتّاب المذكرات في فلسطين كان لهم دور كبير كقادة للرأي العام- ومنهم برهان الدين العبوشي- فتركوا بصمات واضحة على أكثر من صعيد؛ فقد رفدوا الشعور الديني بالعامل القومي، في مواجهة الخطط الاستعمارية الغربية وعلى رأسها الصهيونية، وعملوا من خلال تدوين المذكرات والسير على تنمية الإخاء والتضامن بين فئات المجتمع الفلسطيني مسلمين ومسيحيين، وأكدوا على أن مبدأ القومية العربية أساس للحياة السياسية.

كما حاول العبوشي – مع غيره من كتّاب المذكرات الفلسطينيين والعرب- أن يزيلوا من أذهان الجمهور ذكريات التمزق والفرقة والإحباط التي حاصرت شعور الناس نتيجة للهزائم المتوالية التي تعرضت لها الأمة العربية، وأكد العبوشي من خلال مذكراته على قيم التضامن والتضافر والإخاء.

وعمل العبوشي على فضح روح الخداع والمراوغة التي تحلت بها الدول الاستعمارية، وعمل على تكريس روح المرارة عند الجماهير العربية من الدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا، فدعا العرب إلى تشكيل جبهة موحدة ضد الغرب ومخططاته التي كانت ترمي إلى توطين اليهود في أرض العرب والمسلمين.[2]

إن المذكرات الشخصية هي مرآة لصاحبها وعصره، تحكي جوانب حية من تجاربه، وترتبط بها عواطف نفسية ومشاعر عاطفية، وتعطي صورا واقعية من الحياة، صحيح أنها تدور حول أفراد يبدون وكأنهم يكيفون الأحداث، ويرسمون الخطط، ويقومون بالتفكير والتنفيذ،

---

[1] قاسمية، خيرية، **المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية**، الموسوعة الفلسطينية، ط1، مج3، ص751.

[2] انظر: **نفسه**، ص752.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتحاشون الخطأ والعيوب، لكن تظل لهذه التجارب الفردية الحية قيمتها، لأنها تشتبك بالتاريخ وتشكل جزءا منه، وتضفي الحياة عليه[1].

وغالبا ما تدور المذكرات حول أشخاص حياتهم هامة، لهم ميزة وقيمة اجتماعية وسياسية، كأن يكونوا شاركوا في صنع الأحداث بشكل أو بآخر، ودونوا جوانب حية من تجاربهم. وقد يكون الدافع النفسي من أهم بواعث كتابة المذكرات، فالمذكرات تاريخ نفسي لمبدعها، لأنها تستند إلى عنصر الاعتراف، فيكتب سيرته منتحلا ضروبا من التعليل والاعتذار والتبرير[2]. ولكن المذكرات ليست حديثا ساذجا عن النفس، بل يسعى كاتبها لتحقيق أهداف واضحة، منها بيان الدور الذي كان يلعبه في بنية مجتمعه، وموقفه من الأحداث[3].

لقد قوي ميل الكتاب الفلسطينيين لكتابة المذكرات الشخصية بعد هزيمة عام 1948م، فلجأ برهان الدين العبوشي إلى تدوين بعض الجوانب الحية من تجاربه وما مرّ به من وقائع وأحداث، فكشف لنا في كثير من الجوانب عن عالم نجهله، وأطلعنا على خبايا الوقائع التي كان شاهدا عليها، فلم يكتب العبوشي مذكراته من أجل التسلية والمتعة، أو ليقال إنه كتب المذكرات الشخصية، بل كتب من أجل التسجيل والتوثيق التاريخي والأخلاقي والقومي، وليأخذ الأبناء العبرة مما حلّ بالآباء، فاللبيب من اتعظ بغيره.

لم يكن برهان الدين العبوشي متفردا في فنّ المذكرات الشخصية، بل كان حلقة من سلسلة كتاب فلسطينيين، من رجال السياسة والأدب والثقافة والمعرفة، وممن كتب المذكرات من رجال السياسة؛ عوني عبد الهادي، ومحمد عزة دروزة، وأكرم زعيتر، وممن كتب المذكرات من رجال العلم والقلم؛ خليل السكاكيني، وعارف العارف، وفدوى طوقان إضافة إلى برهان الدين العبوشي، وكان ممن كتبوا المذكرات أناس شاركوا في الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الاحتلال ومنهم؛ فوزي القاوقجي، وصلاح خلف[4].

---

[1] عباس، إحسان، **فن السيرة**، ط1، بيروت، 1956م، ص9.

[2] انظر: عباس، إحسان، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، عمان، دار الشروق، 1986م، ص107.

[3] انظر: **المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية**، ص757.

[4] انظر: **نفسه**، ص758.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن هذا التقسيم لا يمنع أن يجمع أحدهم اتجاهين في آن واحد؛ وهذا ما كان من سمات برهان الدين العبوشي الذي شارك في الحياة السياسية، فكان رائدا في توعية بني وطنه من أخطار الاحتلال، فهو شاعر مشهور، وكاتب مسرحي، وهو كذلك من السباقين في الدعوة إلى الثورة، ومن المشاركين فيها، وقد أصيب عدة مرات، وبقي على قيد الحياة ليسجل لنا مذكراته الشخصية.

المبحث الثاني: أهمية مذكرات العبوشي

لا يخفى على أحد أن للمذكرات أهمية عظمى لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها، من هذا المنطلق كان اهتمام العرب والمسلمين بها واضحا جليا، ونستنتج ذلك من خلال التراث العظيم والإرث الحضاري الواسع الذي خلفه لنا أجدادنا العرب والمسلمون، ومن هذا المنطلق أخذ برهان الدين العبوشي على عاتقه تسجيل الحوادث المهمة التي وقعت في حياته وكان له مشاركة فيها، من أجل التلميح والتمليح.

وتعود أهمية المذكرات في أنها تعمل على حفظ حياة صاحبها بتفاصيلها من الضياع، ولذلك تعد مذكرات العبوشي مرجعا مهما في التعرف على طبيعة حياته وسلوكه، والبيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي نشأ فيها، وليس أدل على ذلك من أهمية العودة إلى مذكراته عند الوقوف على حياته ونشأته، وأثر البيئة في تلك النشأة لنخرج بصورة واضحة لنشأته، وهذا ما صنعته في دراستي هذه، فقد عدت إلى المذكرات وقرأت تفاصيل حياته كاملة مرات عدة، فالمذكرات مصدر مهم من مصادر التعريف بالأفراد.

كما تعد مذكرات العبوشي مصدرا من مصادر العلم والمعرفة في التاريخ والأدب، فقد عرّف العبوشي من خلالها على أعماله الشعرية والمسرحية والعملية المختلفة، كما تناول أهم أحداث التاريخ والمعارك والثورات التي حصلت في زمانه، أو كانت له فيها مشاركة.

وتعد مذكرات العبوشي مصدرا من مصادر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة، نستطيع من خلالها أن نستجلي طبيعة الحياة، حيث بدأ العبوشي مذكراته بالحديث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن ولادته وبيئته وطبيعة الحياة التي عاش فيها، ووصف المجتمع وطبائعه، كل ذلك يدلل على أهمية المذكرات باعتبارها أداة من أدوات التاريخ والأدب والمعرفة. هذا ما دفع الحكيم أن يقول "لا يروقني شيء مثل قراءة المذكرات التي يكتبها الأدباء والعظماء عن حياتهم الخاصة" [1].

تستمد هذه المذكرات التي دوّنها العبوشي أهميتها من أهمية الأدوار التي اضطلع بها، فهو من صفوة المناضلين في سبيل تحرير فلسطين، فقد كان عضواً فاعلا في الدعوة إلى الوقوف صفا واحدا في وجه المؤامرات والمخططات الاستعمارية التي تستهدف النيل من وحدة البلاد العربية وخاصة فلسطين، بل شارك في الحروب التي وقعت في فلسطين وأصيب فيها، كما شارك في ثورة رشيد الكيلاني في العراق وأصيب فيها إصابات بالغة.

إن أهمية المذكرات ترتبط ارتباطا وثيقا بالشخص الذي يكتب هذه المذكرات، وبالتالي فإن هذه المذكرات تعد انعكاسا جليا لحياة الكاتب وللبيئة التي عاش فيها، والأعمال التي شارك فيها، والوظائف التي تولاها، لذلك تمحورت مذكرات العبوشي حول الإنسان والوطن والتعليم، وهذا ما سأعرضه في دراسة مضمون المذكرات.

ومن أهم أهداف كاتب المذكرات توكيد الذات، أو التنفيس عن الانفعالات والحالات النفسية التي ألمت به نتيجة لمواقف مختلفة، أو الدفاع عن قضية فكرية أو اجتماعية[2] أو سياسية يؤمن الكاتب بها، ولا يتبنى الكاتب الفكرة إلا إذا تمتع بالالتزام الفكري لما يدافع عنه. ولا بد لكاتب المذكرات أن يفصح عن الدوافع التي جعلته يكتب مذكراته، فقد تكون تفسيرًا للحياة، حلوها ومرّها، أو تكون" تذكراً اعترافياً موجهاً إلى قارئ متعاطف"[3]، أو تكون "رغبة من المؤلف في نقل تجربته للآخرين"[4].

---

[1] الحكيم، توفيق، **من البرج العاجي**، مكتبة مصر، القاهرة، 1988، ص124.

[2] انظر: _ **السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية**، ص10.

_ **فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي**، ص149.

[3] انظر: **فن السيرة**، ص101.

[4] الشيب، ندى محمود، **فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002م**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل أبو عمشة، ص10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: وصف مذكرات العبوشي

تقع مذكرات برهان الدين العبوشي في الفصل الثالث من الباب الأول في الأعمال الكاملة وتمتد من صفحة 603–739، وقد عنون العبوشي مذكراته ب" من السفح إلى الوادي ألبي صوت أجدادي"[1]، وكتب تحت العنوان أبياتا شعرية:

مجزوء الكامل

مـــن كـــان يطمـــع فـــي الخلـــود ففـــي فلســـطين الخلـــود
أبوابهـــــا الفـــــولاذ تفتحهـــــا المـــــدافع والجنـــــود
فـــي قلبهـــا سَـــكَنَ الشـــهيدُ وبالشـــهيد غـــدا تعـــود[2]

وقد أهدى العبوشي المذكرات إلى الشهداء فكتب على صدر المذكرات:

الكامل

أهدي الكتـــاب إلـــى الشـــهيد فخيـــر مـــا يهدى إلـــى رجـــل الجهـــاد كتـــاب
قـــد رمـــت أهديـــه المكـــارم كلهـــا فـــإذا بهـــا مـــن فيضـــه تنســـاب[3]

وكعادته في كل كتاب، قدم العبوشي للمذكرات بمقدمة تضمنت أهمية المذكرات للجيل القادم؛ فهي تكشف المستور من خبايا الحروب المختلفة التي تعرضت لها فلسطين، وتوضح وجهة نظر مبدعها في كافة الأحداث المهمة التي واكبها، فقد بدأ العبوشي المقدمة بقوله "فليست حياتي حياة ذلك الفاتح العظيم، أو المكتشف الخطير، أو العالم المبتكر، ولكنها حياة فتى فكهل عربي مسلم من فلسطين، تفتحت عيناه في مدينة جنين على معالم العبودية العثمانية... وترعرع في حمأة استعمار بريطاني بغض إليه الحياة، وحبب إليه الجهاد" [4].

---

[1] طبعت المذكرات عام 1980م في مطبعة الأمة ببغداد.

[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص605.

[3] **نفسه**، ص607.

[4] **نفسه**، ص611.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما ذكر العبوشي في مقدمته سبب تأليف المذكرات؛ وهي إفادة الأحفاد من تجارب الأجداد فقال" إنني اكتب كعربي من فلسطين شاهد كثيرا، وتأمل فيما شاهد، وحلل وفحص ومحص، فخرج بنتيجة صحيحة كتجاربه، وها أنذا أقدم إلى القارئ نتيجة هذا التحليل بكلام عربي مبين، يفيد الأحفاد كما أرهق الأجداد، وفائدة الأحفاد هي التي حدت بي إلى كتابة ما أكتب شعرا و نثرا، ولست أؤثر الشهرة في كتابي..."[1].

وتمتد الفترة الزمنية التي تناولتها المذكرات من نهايات حكم الدولة العثمانية لبلاد الشام، مرورا بالحرب العالمية الأولى، حيث تحدث عن أسرته ونشأته، ولم ينس أن يذكر قصة خطبة والده لوالدته –وهذا يسمى الاسترجاع– ثم وصف المراحل الدراسية المختلفة التي مر بها من المدارس الابتدائية في جنين مرورا بمدرسة النجاح في نابلس وصولا إلى مدرسة الشويفات في لبنان وانتهاء بالجامعة الأمريكية في بيروت والتي لم يكمل دراسته فيها حيث فصل لأسباب وطنية، ثم وصف بدايات الانتداب البريطاني على فلسطين، والمؤامرات المختلفة التي كانت تحاك ضد فلسطين وأهلها، وتنبأ بما ستؤول إليه الأمور، وكان لثورات فلسطين نصيب وافر في مذكراته وأهمها ثورة فلسطين عام1936م.

لقد سعى العبوشي من خلال مذكراته إلى أن يقدم معلومات مفصلة عن حياته في مراحلها المختلفة، طفلا وطالبا ومناضلاً فمعلما، كما قدم معلومات واسعة حول أسفاره التي كان جلها في سبيل وطنه وأمته، وحدثنا عن طفولته في نهايات العهد العثماني، كما ربط حديثه عن طفولته وتعلمه بالأحداث الكبرى التي حلت على فلسطين، وكثيرا ما كان يستطرد في الشرح والتفصيل.

كما أفرد العبوشي مساحة من مذكراته لتلك الفترة من حياته التي قضاها في الاعتقال حيث تنقل بين عدد من المعتقلات أهمها؛ عوجا الحفير وصرفند والمزرعة وعكا، ثم انتقل للعمل مدرسا في العراق عام 1939م، وذكر الحفاوة العظيمة التي قابله بها أهل بغداد "فكان

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص612.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقاؤهم إياي كلقاء أهل المدينة الأنصار لإخوانهم مهاجري مكة المكرمة" [1]. كما شهدت هذه المرحلة انتقال عدد من المناضلين والمثقفين الذين هاجروا إلى العراق بعد الثورة مثل عبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان...

وقد ذكر العبوشي مشاركته في حركة مايس[2] عام 1941 في العراق حيث شغل العبوشي أمين سر الحملة العراقية، ثم توترت الأمور في بغداد إثر فشل الحركة فانتقل العبوشي متخفيا إلى سوريا ثم عاد إلى بلده فلسطين، وتحديدا إلى مدينته جنين، ومكث العبوشي فترة دون عمل، إلى أن عمل في بنك الأمة العربية، وتنقل بين فروعه، ثم أخذ يحث الفلاحين على عدم بيع أرضهم، فتعرض نتيجة ذلك لشتى أصناف المضايقة من الاستعمار وأعوانه.

ثم أفرد العبوشي صفحات مشرقة من مذكراته لمعركة جنين الكبرى، وأبرز ما ركز عليه العبوشي الدور العظيم الذي قام به الجيش العراقي لإنقاذ جنين من براثن الصهيونية، وأسهب في وصف بطولة شباب الريف، وبعد الهزيمة التي منيت بها جيوش الدول العربية عاد العبوشي إلى العراق ثانية، وبعد عدة سنوات حصل العبوشي على الجنسية العراقية.

لقد اعتمد العبوشي في مذكراته على الانتقاء، فأهمل الكثير من الأحداث التي لم يكن لذكرها فائدة "لقد حدث في فلسطين حوادث كثيرة كالتي ذكرت، ولكن العرب خذلونا وتألب العالم الغربي ضدنا"[3]، وأسهب شرحا وتفصيلا في أثناء عرضه للأحداث ذات التأثير المهم، فذكر ثورات العراق المختلفة، وعرج على حرب حزيران 1967م، ومصرع جمال عبد الناصر، واستقلال بعض الدول العربية أمثال أريتريا وجيبوتي... وأورد ذكرى إحراق المسجد الأقصى، وحرب أكتوبر 1973م...

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص667.

[2] انقلاب عسكري حدث في العراق نتج عنه إسقاط عبد الإله الوصي على العرش وقيام حكومة برئاسة رشيد عالي الكيلاني.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص664.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يقسم العبوشي مذكراته على شكل فصول – كما في مسرحياته الشعرية– بل قسم المذكرات إلى مقدمة وسلسلة عناوين فرعية مترابطة زمنيا، فكأنها مناظر متتابعة لمسرحية تراجيدية، وختم مذكراته ببعض الملاحق منها؛ مثلث الرعب(جنين–نابلس–طولكرم)، وصقور جنين، وخواطر عن التدريس... وهذا يعني أنه مزج في مذكراته بين بعض الفنون.

المبحث الرابع: مضمون مذكرات العبوشي

تعد المذكرات بابا من أبواب التاريخ لأنها تقدم للقارئ سيرة حياة مؤلفها، كما تعد بابا من أبواب الأدب لأنها ليست سردا للوقائع التاريخية وحسب، بل هي إبداع لغوي فحواه وقائع تاريخية، والمذكرات ليست بالضرورة سردا لوقائع حياة مؤلفها من بدايتها إلى نهايتها، بل هي انتقاء للأحداث المهمة التي واكبها المؤلف وكان له فيها دور، والعبوشي – كما ذكر لي نجله سماك في بريد الكتروني– كان يسجل مذكراته على دفتر خاص "على ما أذكر وأنا طفل صغير، فلقد كان لوالدنا رحمه الله دفتر بحجم كبير كان يدون فيه ما يمر من أحداث يومية، وأنه قرر أن يطبعه بكتاب واحد حمل عنوان (من السفح إلى الوادي ألبي صوت أجدادي) وذلك بعد تسع سنوات تقريباً من تقاعده"[1].

إن الذي يقدم مذكراته إلى الناس إنما يحس بذاته إحساسا خاصا، ويشعر بأن مسيرة حياته مهمة وتحتاج إلى تسجيل للأجيال القادمة، وهو عندما يفعل ذلك إنما يجيب عن سؤال: من أكون؟ ليصل إلى سؤال: كيف صرت؟ [2] .

تعد المذكرات من أخصب مجالات العطاء في الأدب الوجداني الذاتي، لما فيها من انعكاس حقيقي لمنطقة البوح الذاتي، فهي تؤدي دور الإضاءة الحقيقية لحياة الكاتب من حيث تكوينها الذاتي قبل أي إضافة وافدة من هنا أو هناك [3]. وفي هذا الإطار تأتي مذكرات برهان الدين العبوشي التي نشرت لأول مرة عام 1980م.

---

[1] رسالة من سماك برهان الدين العبوشي بتاريخ 28–7–2011.

[2] انظر: لوجون، فيليب، **السيرة الذاتية**، ترجمة: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م، ص23.

[3] انظر: المغيض، تركي، **السمات الأسلوبية في مذكرات الملك عبد الله بن الحسين**، مقالة ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، منشورات جامعة آل البيت، 1999م، ص429.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد احتلت شخصية برهان الدين العبوشي المحور الأساسي في غرّة مذكراته، فقد تحدث عن ولادته ومراحل حياته المختلفة، وما ذاق خلالها من حلو ومر، وما خاض فيها من صراعات، وما شارك فيها من ثورات ومعارك، وما حققه من مكانة اجتماعية وسياسية، تحدث عن طبيعة البيئة التي ولد فيها، والحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي كانت سائدة آنذاك "أبدأ طفولتي من الساعة التي بدا فيها الانجليز في الحرب العالمية الأولى يقصفون مدينتي (جنين) ليخرجوا من بعض بيوتنا جنود الترك والألمان، وكان ذلك سنة 1918م، مع العلم أنني ولدت في جنين سنة 1911م، في اليوم السابع من كانون الأول حسب شهادة ميلادي العثمانية" [1].

بل نجده يذكر تفاصيل التفاصيل في معرض الحديث عن ولادته –وهذا يسمى الاستباق– فقد تعرض لحادثة الولادة وذكر أنها كانت شاقّة على أمه بسبب كبر رأسه، فقد "عانت أمه ثلاثة أيام خطرة في مخاضها" [2]، ثم قيض الله لها عم والده وهو (الحاج مصطفى العبوشي) فبادر بوضع منديل في عنقها وقرأ عليه آيات من القرآن الكريم فولدت الحاجة مشخص فتى وأسمته برهان الدين، ويعود العبوشي إلى ذكر التفاصيل فيسوق بعض القصص لعم والده مع الانجليز.

لا يكاد القارئ يمر عن سطر أو سطرين في المذكرات–النصف الأول منها– إلا ويقرأ عن أحد أقرباء العبوشي من أم أو أب أو عم أو جد أو قريب...، لقد ساقه الحديث عن نسبه إلى حديث طويل عن العائلة وأصولها جذورا وامتدادا، ويبدو حبه لعائلته بشكل واضح حيث يذكر سمات الجد والأعمام وزوجاتهم وأبنائهم وأعمالهم، ويتتبع القرى والمدن التي يقطنونها، ويتحدث عن أبرز رجالات العائلة في العلم والشرف "والحقيقة أن عائلة العبوشي كانت مرموقة محترمة لدى جميع خدام الوطن المبغضين للاستعمار، وكان ديوانها مثابة لزعماء الأمة العربية" [3].

أما حظ والده ووالدته من المذكرات فيمتد على صفحات طويلة بالمدح والثناء "كان والدانا متعبدين تقيين... كان أبي عسكريا زمن العثمانيين ... لقد بذل والدي جهدا كبيرا في

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي** ص614.

[2] **نفسه**، ص614.

[3] **نفسه**، ص618.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعليمنا التعليم الثانوي، إذ لا مدارس ثانوية في جنين آنذاك... كان والدي – رحمه الله – رجلا أي رجل شجاعة وكرامة وعظم أخلاق وثقة مطلقة بالله عز وجل... أما والدتي فإنها كوالدي صبرا وعظم خلق، وتعبدا وثقة بالله جل جلاله، إلا أنها تمتاز بالحنان المتأجج الذي لا تخفيه كما تخفيه رجولة أبي"[1].

ولا يخفى من خلال المذكرات حب العبوشي الجم للعلم، فبعد أن أتم تحصيله الابتدائي حرم من نعمة التعليم عاما كاملا لضيق ذات اليد، فلم يكن في جنين مدارس ثانوية، والوضع المادي لوالده لا يسمح بتعليمه خارج جنين "تأخرت سنة واحدة عن التحصيل الدراسي، كنت أرى فيها السماء والأرض والنجوم والناس والحياة وأهلي في صورة غير التي كنت أراهم فيها يوم كنت تلميذا أنعم بلذة الدرس، على أن هذه أفادتني ألما عبقريا أذكى لهيب شعري"2، لكنه استفاد من هذه السنة عبقرية شعرية، فنمت فيه الروح الشاعرية، فالإبداع لا ينبت إلا من رحم المأساة.

ولكن والده كان يحب العلم ومجالس العلماء؛ فاستدان مالا وأراد أن يسجل ولده في مدرسة (سمبل) الأجنبية في مدينة صفد "مضى العام بما فيه، فأقمت الدنيا وأقعدتها لأتمم تحصيلي، فاستدان والدي ورأى أن يدخلني مدرسة (سمبل) الأجنبية في مدينة صفد"[3]، لكن العبوشي في السنة التي أمضاها بلا تعليم في المدارس نهل من رحيق أمهات الكتب ما تعجز كافة المدارس عن غرسه في نفوس الطلاب، فاغترف من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن كتاب نهج البلاغة لعلي بن أبي طالب، وكذلك ديوان الحماسة لأبي تمام، وكتاب فتوح البلدان وقصص عنترة وتغريبة بني هلال...أضف إلى ذلك حياة الريف التي كان يعيشها، كل ذلك بعث فن الخطابة من مرقده، فعنت لهذا الشاب الطموح، فكان مستقبلا من خيرة الخطباء.

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص624–627.

[2] **نفسه**، ص631.

[3] **نفسه**، ص633.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم عدل العبوشي عن الدراسة في صفد، ودخل كلية النجاح الوطنية في نابلس "لقربها من جنين، ولاهتمامها بلغة الأجداد، ولمعونة المجلس الإسلامي الأعلى لي بنصف القسط، وهذه المدرسة تخرج فيها أبناء عمي وأبناء أخوالي وجمع غفير ناهض من أبناء فلسطين"[1]، حيث سلخ العبوشي من عمره في كلية النجاح الوطنية ثلاث سنوات، كان لها الأثر العظيم في صقل شخصيته النضالية والإبداعية.

إن من أبرز سمات برهان الدين العبوشي التي تعد ثمرة من ثمار إبداعه وتفوقه، أنه كان خطيبا مميزا، فقد بدأت هذه الموهبة عنده وهو في المرحلة الابتدائية، فقد انتدبته المدرسة لتمثيلها في المسابقات الشعرية والخطابية[2]، وكان ممن أذكى روحه الخطابية إضافة إلى ما ذكرت، معلمو المدارس ومنهم (سميح عبد الهادي) معلم اللغة العربية في المدرسة الراشدية في جنين، ثم واصل العبوشي السير على هذا النهج الخطابي في مراحله الدراسية المختلفة، وبالذات في كلية النجاح الوطنية "فقد كنت معروفا بخطابتي لدى الطلاب، وبالحماس والسير في المظاهرات ضد الانجليز، ولا سيما يوم أعدموا الشهداء(فؤاد حجازي ومحمد جمجوم وعطا الزير)، وفي آخر سنة لي في مدرسة النجاح انتدبتني المدرسة لإلقاء خطاب المتخرجين في حفلة تخرجنا"[3] ، لكن العبوشي لم يلتزم بالكلمة التي أعطته إياها إدارة المدرسة، وعزز الكلمة بقصيدة من تأليفه مطلعها:

البسيط

ما عاد شـــيء مـــن الـــدنيا يواســـينا إلا دمـــاء العـــدا تـــروي مواضـــينا[4]

لكن إدارة المدرسة غضبت لفعلته ومزقت شهادته، فموهبة الخطابة ميزة تميز بها العبوشي عن أقرانه، فلازمته الخطابة طوال حياته، وظل خطيبا مفوها مميزا، وصل به الأمر إلى القدرة على أن يبكي الجمهور لفرط حماسته وإبداعه في الخطابة[5].

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص635.

[2] انظر: **نفسه**، ص622.

[3] **نفسه**، ص635–636.

[4] **نفسه**، ص636.

[5] انظر: **نفسه**، ص647.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما انتقل العبوشي إلى مدرسة الشويفات بلبنان ليكمل دراسته الثانوية، انتخبه الطلاب رئيسا لجمعية الخطابة العربية، بعد خطاب ناري ألهب فيه مشاعر الطلاب، وراح يقيم الحفلات الخطابية، وعندما انتقل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت أقام الطلاب حفلا ثقافيا، حيث ألقى العبوشي قصيدة شعرية مطلعها:

الخفيف

أيهـــا المجمـــع الـــذي لا يجـــارى كل طـــرف بـــروض غيـــدك حـــارى

فضجت القاعة بالتصفيق والهتاف، وبعد فترة دعته جمعية العروة الوثقى ليلقي القصائد...

وهكذا شق برهان الدين العبوشي طريقه إلى الشهرة الأدبية خطيبا وشاعرا[1].

ويظهر لنا العبوشي في مذكراته وفيا لكل من كان له فضل عليه، ولا سيما فئة المعلمين، الذين يكن لهم كل الاحترام والتقدير، فقد خص كل من علمه بذكر اسمه في المذكرات، ابتداء من المدرسة الابتدائية مرورا بالمدارس الثانوية وصولا إلى الجامعة، فظهر العبوشي في مذكراته بمظهر الوفي الصالح البار بمعلميه، ومنهم مدير المدرسة الابتدائية(يحيى الشهابي) و(سميح عبد الهادي)، والشيخ الأستاذ(فارس العورتاني)، وفي كلية النجاح الوطنية المدير(جودت حيدر)، والأستاذ(قدري طوقان) والشاعر الكبير(إبراهيم طوقان)، والشيخ الأستاذ (عبد الحميد السائح)، والدكتور(عمر فروخ)، و(علي نويهض) وغيرهم[2].

ولم يقتصر اهتمام العبوشي على ذكر أسماء المعلمين، بل امتد ليشمل فرّاش المدرسة وهو (أمين)، وضابط المدرسة(خليل خماش)، ومن باب الوفاء أورد أسماء بعض الطلبة الذين كان يزاملهم؛ مثل الدكتور(عوني حنون)، والدكتور(جودت تفاحة)، والدكتور(اشرف عبد الهادي) والشاعر(عبد الرحيم محمود)، و(الطيب بنونة) و(محمد الفاسي) من المغرب[3].

---

[1] انظر: **فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص636-638.

[2] انظر: **نفسه**، ص635.

[3] انظر: **نفسه**، ص636.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد وضح العبوشي دور المعلمين في التأثير على الطلاب وغرس الروح الوطنية فيهم، فقد كان المعلمون يلقنون الطلاب الأناشيد الوطنية الحماسية في مواجهة النشيد البريطاني، ومن جملة هذه الأناشيد: (محبة الأوطان حتم على الإنسان في كل آن)، وكذلك (نحن جند الله شبان البلاد نكره الذل ونأبى الاضطهاد)، وآخر وهو (بالقنا والقضب شيد مجد العرب)[1].

ونتيجة لهذا التشجيع الذي لاقاه العبوشي وبقية طلاب المدارس أضحت سنهم سن الرجال- وهم في الابتدائية- إذ كانوا يحاربون الانجليز، وينظمون المظاهرات، ويقودون الاعتصامات، ويسوق العبوشي عدة حوادث ليدلل على ما ذهب إليه ومنها "أذكر أنني تعرضت لقافلة من تسعين سيارة تقل سياحا من يهود أمريكا، مرورا من جنين لزيارة القدس ليستقروا فيها سكانا مهاجرين... فرميت إحداها بحجر كان أثقل مني، فوقع على ظهر السيارة ولم ينفذ، فاحتجزتني الشرطة، فتجمع أهل المدينة لإنقاذي، فتنازل الأمريكي مذ راني صغيرا، ولكنه تساءل كيف يطيق طفل مثلي أن يلقي حجرا أثقل من طاقته على سيارة، وأنا أيضا استغرب، ولكن حقدي على المستعمرين أمدني بقوة خارقة حينذاك"[2].

لقد قدم العبوشي من خلال مذكراته صورا مختلفة للتعليم، فجنين مثلا لم يكن فيها مدرسة ثانوية واحدة في الثلث الأول من القرن العشرين، وما كان من مدارس ثانوية في فلسطين أنشئت لخدمة أغراض استعمارية كمدارس الإرساليات، وإن وجدت المدارس الثانوية فهي مبادرات أهلية محضة، كمدرسة النجاح الوطنية في نابلس، فهي مدرسة أهلية لا سلطان للانتداب عليها، والانجليز لم يسمحوا بإقامة المدارس العالية في فلسطين باستثناء دار المعلمين ودار المعلمات "وقصدهم من ذلك قتل العلم والمعرفة، وحصرهما باليهود الذين اقاموا الجامعة العبرية" [3]، هذه صورة المدارس.

أما المعلمون فظهرت صورتهم إيجابية مشرقة، حيث عدهم الطلاب آباء لهم، وذلك يعود لعظم اهتمام المعلمين آنذاك بالجيل الصاعد، وتربيته وتعليمه على الوجه الصحيح، لكن

---

[1] انظر: **فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص617.

[2] **نفسه**، ص619.

[3] **نفسه**، ص620.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المناهج كانت سيئة للغاية، هدفها أن يحفظ الطلاب المادة دون وعي أو إدراك لحقيقة محتواها، فهذه سياسة المناهج الاستعمارية التي تريد من الطالب أن يكون مجرد آلة تنطق ولا تعي، فكانوا لا يدرسون من التاريخ والجغرافيا إلا أسماء المعارك والدول والملوك وتواريخها؛ لئلا يتعلم الطلاب الاستنتاج[1]. وقد ظلت المناهج الفلسطينية كذلك حتى كنس الاستعمار وأذنابه عام 1948م.

ومن إخلاص المعلمين واهتمامهم بالنشء الجديد أن كانوا يكثرون من الرحلات إلى القرى والجبال، وإقامة المخيمات الكشفية، وتأليف فرق الألعاب المختلفة، حيث أتقن العبوشي كرة القدم، كما كان حظه في التشكيلات الهرمية قاعدة الهرم التي يقف عليها سائر أعضاء الفريق "أما اللغة العربية فكان المعلمون مخلصين لها كرد فعل لتعصب الانجليز للغتهم وعنجهيتهم، كنا نحفظ في كل أسبوع قصيدة كاملة – في الابتدائية- وكثيرا ما يكون وطنيا برغم رقابة الانجليز على المعلمين، فقد كان المعلم يشعر من الأعماق بعشق اللغة الأم، ومن هنا كانت تكثر أسواق الشعر بيننا، في الصفوف وخارجها، والمناظرة الشعرية نتلهى بها في الطرقات بدل المقاهي وبدل الشتائم والسباب ومطاردة البنات ورصدهن في مواقفهن كما يفعل الشباب اليوم"[2].

لقد أكثر العبوشي في مذكراته من الحديث عن المعلمين، فذكر قصصا مع معلمي اللغة العربية والتاريخ والدين...، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظم إخلاصهم وتفانيهم في تربية الجيل وتعليمه، ليكون شوكة في حلق كل احتلال واستعمار.

ومن فوائد مذكرات العبوشي أنها تقدم لقارئها لمحة عن طبيعة النشاط السياسي في تلك الحقبة، وبالذات في أروقة المدارس والجامعات التي درس فيها، كما تقدم ردة فعل إدارات المدارس والجامعات، وردة فعل إدارة المعارف البريطانية، فقد عرف العبوشي بين أقرانه بالقدرات الخطابية، وإلهاب المشاعر والأحاسيس، والسير في المظاهرات ضد الانجليز انطلاقا من المدارس "ولاسيما يوم اعدموا فؤاد حجازي وجمجوم والزير، واذكر في هذه الحادثة أن

---

[1] انظر: **فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص620.

[2] **نفسه**، ص621.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إدارة المدرسة أغلقت علينا أبوابها الحديد وحصرتنا في داخلها، إلى أن أقبلت علينا مظاهرات الطلاب والشعب، وكانت سلطات الانجليز قد أنذرت مدرستنا بالإغلاق فهاج هياجنا، وأخذنا نقتحم الأبواب عبثا، وصعدت إلى شرفة السطح لأقذف بنفسي على الجماهير، ومن فرط حماسي كنت أبكي ... وتسلقت سور المدرسة الشائك بعد أن دفعت معلمي إبراهيم طوقان، واشتركنا بالمظاهرات ضد الاستعمار واليهود، وخطبت في الشعب أحييهم"[1].

كما ظهر العبوشي في مذكراته محبا لمهنته التي سلخ عمره في سبيلها، فظهر معلما ناجحا مميزا ساعيا إلى التطوير، وقد عدّ الطلاب أبناء له، كما قام الطلاب بتمثيل مسرحياته الشعرية في مدارس العراق المختلفة "لقد مثل الطلاب مسرحية (عرب القادسية) وغيرها في الشامية والديوانية..."[2].

وكلما انتقل العبوشي للحديث عن مدينة من مدن العراق أخذ يصف جمالها وروعتها، وأخلاق السكان ومساندتهم له، وراح يذكر تاريخ المدن العراقية، وأنها أخرجت صلاح الدين الأيوبي وستخرج ثانية من يقوم بتحرير فلسطين وكل بلاد العرب من ظلم المستعمرين "وبعد سنة في النجف الأشرف نقلت إلى ثانوية الحلة، والحلة مدينة جميلة، وأهلها عرب كرام، وقد ساهمت فيها في بعض الحفلات الأدبية، وبعد سنة في الحلة نقلت إلى متوسطة نجيب باشا في بغداد"[3].

لقد تميز العبوشي بالتسامح والنزاهة، فحياته كانت مليئة بالحروب والمغامرات والثورات إلا أنه كان يكثر من الدعاء لمن خاصمه أو غدر به، ويعطى لهم سبعين عذرا، ويسامحهم، ومنهم الشهيد عبد القادر الحسيني الذي تركه وهما في طريقهما إلى غزة لتأليب أبنائها على لثورة ضد الانتداب البريطاني، وكذلك إدارة كلية النجاح الوطنية التي حرمته من

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص635.

[2] **نفسه**، ص716.

[3] **نفسه**، ص717.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشهادة الثانوية، فقال "رحم الله تلك الشهادة التي هي خلاصة عمري، وحفظ الله المدرسة وأبقاها، وسامح الله الإدارة"[1].

ومن نزاهته انه لم يطلب مالا في كل أسفاره التي شارك فيها ليحث على الثورة والوحدة والصمود، أو في الغربة التي عاش ماسيها صابرا محتسبا، فكان مصروفه من جيبه الشخصي، ولم يستعن بلجنة أو مؤسسة لتنفق عليه "لقد كنت احرم نفسي من ملاذّ الشباب وسهراتهم، وأنفق نقودها على تحمل مؤونة الاغتراب، واقتناء الكتب، فكل نفقاتي على سفري ومعيشتي كانت من جيبي الخاص، لم استعن بلجنة أو غيرها ولله الحمد"[2]، كما نظم في نزاهته ورفضه لحياة اللذة والشهوات شعرا وأورده في مذكراته منه:

الكامل

لـــو جـــاءت الـــدنيا تهيـــل نضـــارها مـــا ســـيطرت يومـــا علـــى أخلاقـــي
نفسي أعـــز مـــن الجبـــال فـــلا أرى أحـــدا أديـــن لـــه ســـوى الخـــلاّق
أدبـــي ودينـــي ســـالمان وإن أكـــن بالمـــال قـــد منّيـــت بالإخفـــاق[3]

ومن الصفات التي تجلت بوضوح في شخصية العبوشي وطنيته ومعاداته للاستعمار بأشكاله المختلفة، فقد جهر العبوشي بالعداء للانتداب البريطاني البغيض، وظل على الدوام يؤلب الجماهير على الثورة والوقوف صفا واحدا في وجه المؤامرات التي تحاك ليل نهار ضد الوطن، فقد عد الاستعمار أساس الداء، وسبب البلاء، لكن جهره بالعداء للانتداب البريطاني سبب له المصاعب والمتاعب، فقد سجن عدة مرات، وتنقل بين كافة السجون، وأصيب في السجن، بل كاد يفقد حياته نتيجة التعذيب، وشارك في الإضراب عن الطعام داخل السجن لمقاومة الضغوطات التي كانت تهدف إلى كسر صمود المعتقلين، فلم تلن له قناة، بل كان يخطب في المعتقلين في السجون ويحثهم على الثورة، وكلما خرج من سجن تعرض للملاحقة من دوائر التحري، فنظم في ذلك شعرا وأورده في مذكراته:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص636.
[2] **نفسه**، ص692.
[3] **نفسه**، ص692.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوافر

أدائـــرة التحـــري مـــا دهـــاك هـــدمت وقـــد قـــدرت علـــى عـــداك
ظلمـــت المـــؤمنين ولـــم ترقـــي وســـقت إلـــى المشـــانق والهـــلاك
وجـــرتِ علـــى الخلـــيّ ولـــم تراعـــي بريئـــا تـــوقعين بـــه أذاك[1]

إن للعبوشي بعد نظر مميز في القضايا الوطنية، فقد نصح أبناء وطنه في مرحلة الانتداب أن لا يقتلوا سماسرة الأرض الذين أخذ الانتداب على عاتقه كشف أسمائهم ليوقع الفتنة بين الناس، فتنبه العبوشي لهذه النقطة، حيث أراد الاستعمار من ذلك أن ينشغل الناس بالثارات فينصرفوا عن مقاومته، وأنى له ذلك "لقد كنت أنصح السماسرة أن يرحموا أمتهم، وأنا عدو اللجوء إلى قتل أبناء الأمة لئلا يستفيد العدو بالثارات فيشغلنا ببعضنا عن قضيتنا، ومثال هذا النصح ما نقرأ من مسرحيتي "وطن الشهيد":

الكامل

لا تقتلـــوا الإنســـان فـــالله الـــذي يبنـــي ويهـــدم فـــاعملوا بســـداد
الشـــرع أولـــى بالقصـــاص فعنـــده القســـطاس فلـــيحكم بحكـــم الهـــادي
بالـــدين والأخـــلاق يصـــلح أمرنـــا فانشـــرهما بـــالوعظ والإرشـــاد[2]

إنّ نظرة العبوشي للأماكن لا تشبه نظرتنا نحن إليها، فكان إذا نظر من سجنه – عوجا الحفير على حدود صحراء سيناء– إلى الصحراء خلا إلى نفسه وأخذ يتذكر الماضي التليد، فالصحراء "ممر أجدادنا الذين فتحوا فلسطين ومصر، ها نحن أحفادهم نعبرها مكبلين وهم عبروها أحرارا مكرمين، ما ابعد الفرق بين المشهدين! من هنا كان أجدادنا يطاردون فلول الروم، وها هنا يطاردنا أحفاد الروم... ما أشد ألم الذكريات!"[3].

إن روح الوحدة تشع من مذكرات برهان الدين العبوشي التي سجلها وهو في المعتقلات المختلفة، حيث يصف نفوس المعتقلين على اختلاف مشاربهم وعاداتهم وتقاليدهم "فرضينا بالحياة

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص692.
[2] **نفسه**،ص691.
[3] **نفسه**، ص651.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إخوانا، يجمعنا وطن واحد وغاية واحدة، كنا نتبادل أحاديث الجهاد وننشد، كان بيننا عمائم رجال الدين والقضاء وقلانس رجال الكنيسة جنبا إلى جنب، يعبدون الله ويخدمون الوطن، وقد فشلت فيهم محاولة الاستعمار التفرقة"[1].

لقد أفرد برهان الدين العبوشي جل مذكراته للحديث عن وطنه فلسطين، وما لاقاه في سبيل نصرته من مصاعب وويلات، فقد وصف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي كانت تعيشها فلسطين منذ العهد العثماني، وقدم صورة سلبية للدولة العثمانية من حيث الظلم والفقر المدقع وسوء التعليم – وان قدم صورة مشرقة للمعلمين– كما وصف البلاد وما وقع فيها من أحداث في ظل الانتداب، فذكر الضرائب التي فرضها الانتداب على الفلاحين حتى يعجزهم فيضطروا لبيع أرضهم لليهود، كما تعرض لعدم اهتمام حكومة الانتداب بالتعليم، فلم يكن في فلسطين زمن الانتداب أكثر من ثلاثة مدارس ثانوية حكومية، وذكر تعاون حكومة الانتداب مع العصابات الصهيونية.

وقد أنصف العبوشي شباب الريف الفلسطيني في مذكراته، فذكر المآسي الاجتماعية التي واجهها ملاك الأرض، والضغوطات التي مارسها البريطانيون واليهود ومن خلفهم السماسرة على أهل الريف، ولكنهم ثبتوا أمام كافة الصعوبات واحتفظ الجزء الأكبر منهم بأرضه، فالأراضي التي وصلت لليهود كان سببها الانتداب البريطاني والحكام زمن العهد العثماني، فقد استولى اليهود على(65000) دونما زمن الحكم العثماني بحجة أنها أرض أميرية يريدون إنعاشها، و(3.000.000) دونما منحتها حكومة الانتداب لليهود دون مقابل، وهي من أملاك الدولة...إضافة للأراضي التي اشتراها اليهود من السماسرة العرب – غير الفلسطينيين– منهم آل سرسق اللبنانيون[2]، مما سبق يتبين أن سبعة أثمان ما استولى عليه اليهود من أراض إنما تسرب إليهم عن طريق غير الفلسطينيين، وبذلك يبرئ العبوشي أهل الريف الفلسطيني من تهم بيع أرضهم لليهود.

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص654.

[2] انظر: **نفسه**، ص703.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعدّ برهان الدين العبوشي من أبرز الأدباء التزاما، والتزامه لا يقتصر على مشاركته في الأحداث، بل يتعدى ذلك إلى الموقف الذي يتخذه الأديب "وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا، واستعدادا من المفكر الملتزم لكي يحافظ على التزامه دائما، ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام"[1] وهذا ما حصل مع العبوشي بفعل التزامه قولا وفعلا بقضايا وطنه فلسطين، فقد تعرض لشتى ألوان المعاناة من نفي وسجن وتعذيب، كل ذلك لان التزامه بقضايا وطنه كان التزاما عقديا، منبثقا من شدة إيمانه بهذه القضية، كيف والقضية الفلسطينية هي أم القضايا العربية ومحورها "لكنني سأكتب كعربي من فلسطين، وان كتبت فإنما أكتب إلى قلوب أمضها الاستعمار، بقلم أسال عبرته الزمان، من مهجة صدعها الجوى، وفكر قومه العقل، وعقل هذبه المصاب"[2].

إن التزام العبوشي لم ينبع نتيجة للمآسي التي حلّت بالوطن، بل لأن الالتزام جزء من شخصيته الأدبية إذ يجب أن يكون الالتزام جزءا من شخصية الأديب، ويجب أن يلتزم وهو لا يشعر أنه يلتزم، فقد فتح العبوشي عينيه- كما في عنوان عهد الطفولة- على مأساة وطنية وقومية، فمن عهد الترك الذين ساموا البلاد والعباد سوء العذاب في نهاية حقبة حكمهم لبلاد العرب، إلى عهد الانتداب البريطاني الذي حكم بلاد العرب بالحديد والنار، والمراوغة والمكر، إلى عهد الاحتلال الصهيوني لفلسطين وقطعها عن بقية الجسد العربي الواحد، فشعر العبوشي ونثره يكاد يقتصر على قضايا الوطن، كل ذلك نتيجة طبيعية لالتزامه بهموم وطنه وأمته، بل وأفعاله تصب في نفس الاتجاه "لقد كنت أساهم في التوجيه الوطني في الجمعيات والنوادي والصحف والمظاهرات الوطنية؛ لبث القوة ونبذ اليأس من نفوس الشباب ... وفي حيفا انتخبت سكرتيرا للمقر العام لجمعيات الشبان المسلمين فأقمت المهرجانات الحماسية لأجدد ثقة الشعب بنفسه، وقد تحملت من ذلك الأهوال، فقد طاردني الإنجليز والصهاينة في كل مكان ودسّوا عليّ الدسائس، ولكن الله مع الصابرين، ولنا في رسول الله أسوة حسنة"[3].

---

[1] الشيخ، غريد، **فدوى طوقان شعر والتزام**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص73.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص612.

[3] **نفسه**، ص690-691.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصاب العبوشي من الفقر والضيق ما أصابه نتيجة لالتزامه بهموم وطنه ومن أهم ما واجهه العبوشي قلة المال الذي يدفع به عن نفسه هموم الحياة – هذا إضافة إلى ما ذكرت من سجن ونفي وتعذيب– فكتب على باب بيته شعرا يجسد حالته:

الخفيف

إنّ لـــي غرفـــة الفقيـــر إذا مـــا جاءهـــا اللّـــص حـــاز خـــفّ حنـــين[1]

لقد اعترف العبوشي صراحة أن ما دفعه إلى توصيل أدبه للناس حبّ وطنه وتفانيه في سبيل ذلك "إن حبّ الوطن ووطن الحبّ هما اللذان دفعا بي إلى اقتحام المخاطر، وتحمل الأرزاء، والصبر على المكروه"[2].

المبحث الخامس: أسلوب العبوشي في مذكراته

لقد تفاوت أسلوب برهان الدين العبوشي في مذكراته، فكان تارة يركز على تصوير الأحداث المتلاحقة، دون إبراز رؤيته الشخصية لما يجري، بينما تعاطف مع الكثير من الأحداث وتفاعل معها، حيث نلمس المسحة العاطفية بوضوح في مذكراته عندما يتعرض للحديث عن فلسطين عامة وجنين خاصة، وتمتاز مذكرات العبوشي بأسلوب ذي ميزات عالية، فنراه يجمع في مذكراته بين الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع والدين، كل ذلك بلغة سلسة سهلة، تنفذ إلى عقل القارئ وقلبه بسهولة ويسر.

ولم يلجأ العبوشي في مذكراته إلى اتصال الحدث، إذ لا يشترط في المذكرات اتصال الحدث فهي تعبّر عن أهم الأحداث، فالحدث متقطع وغير مترابط، والمهم فيه ذات الحدث وليس طبيعته، فمعظم ما كتبه العبوشي في مذكراته يدخل في باب الذكريات والحوادث والمشاهدات واليوميات، ووقائع الأحداث القديمة التي أسعفته ذاكرته بحفظها، فقد كان يورد في أثناء شرحه بعض الحوادث "أذكر مما أذكر، أو مما أذكر، أو نسيت أن أذكر..."[3]، ما يدل على أنه كان

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص691.

[2] **نفسه**، ص38.

[3] **نفسه:** ص 692، وص695، وص696.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعتمد على الذاكرة في كتابة المذكرات، إضافة إلى دفتر كان يدون فيه ما يمر من أحداث يومية كما فعل خليل السكاكيني وأكرم زعيتر، وبعد تقاعده بفترة طويلة قرر أن يطبعه بكتاب واحد وقد تمتع العبوشي بذاكرة مكنته من استعراض الوقائع التاريخية بدقة؛ ذلك أنه شارك فيها بقلمه وسيفه، فكان مثالا حيا يكتب عن أمور واجهته تباعا، فكان شاهدا حيا، ما زاد من مصداقية أعماله.

أما لغة العبوشي في مذكراته فهي ذات مستوى واحد، ولكن تتفاوت إيقاعاتها حسب المواقف والأفكار، فاللغة واقعية وصفية دون تركيز على الدلالات الهامشية أو اللغة الإيحائية، وهي بذلك تختلف عن اللغة في المسرحية والرواية حيث يكسر الحوار لغة السرد، ويدفع الأحداث إلى الأمام، فالحوار قد يدخل في لغة السيرة، لكن لا حاجة له في لغة المذكرات، ثم أن لغة العبوشي في كثير من المواضع لغة عاطفية خطابية مؤثرة، مهما كان نوع الموضوع الذي يطرقه، وطنيا أم قوميا أم اجتماعيا...، وهي لغة منطقية واقعية تعتمد الأدلة والأحداث المؤكدة، وتفترق عن المسرحية والرواية أن المؤلف في المذكرات هو الكاتب والبطل والممثل.

لقد تميزت لغة العبوشي في كافة أعماله الأدبية بالشحنات العاطفية، وهذا يدل على عظم حبه لوطنه وارتباطه به، ومن ذلك وصفه في مذكراته لحرب أكتوبر سنة 1973م، حيث يقول"تغطرس اليهود كثيرا على العرب، وظنوا أنهم هم القوة التي لا تقهر، وفي ليلة ظلماء اكتسح الجيش العربي المصري خط (بارليف)... واستولى على الخط وسيطر على الميدان، واكتسح الجيش العربي السوري هضبة الجولان وحرر الكثير منها لولا قبول العرب للهدنة" [1].

لقد كان العبوشي في مذكراته (جاحظي النزعة) ميالا إلى الاستطراد في معظم عناوين المذكرات، فنراه إذا تحدث عن الأقارب مثلا، يذكر الأعمام والعمات وأزواجهم وأبناءهم ووظائفهم، وفي أي بلد يعيشون، وإذا تحدث عن المعلمين ذكر طبائعهم وأمزجتهم، وأردف ببعض القصص التي لها علاقة بهم، ثم يقول: لنعد إلى ما كنا فيه، أو لنعد إلى الشطر الطفولي، أو نرجع إلى موضوع ...

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص722.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن قارئ مذكرات العبوشي يجد متعة عميقة أثناء قراءتها، لأنها ليست حديثا مقتصرا على النفس، ولا عرضا للأمور الساذجة، ولا ديوانا لعرض المفاخر والمآثر، بل هي ربط دقيق لحياة صاحبه بالأحداث الهامة، وفيها من العظة والعبرة ما يثير الإعجاب.

إن مذكرات برهان الدين العبوشي تجمع بين التاريخ والأدب؛ فهي تاريخ لأنها تغطي الأحداث السياسية الرئيسة في تاريخ فلسطين والمنطقة العربية خلال القرن العشرين، ولأن صاحبها من المناضلين الفاعلين والقادة المؤثِّرين، إضافةً إلى تمرُّسه في النظم الشعري، فله أربعة دواوين شعرية، وأربع مسرحيات شعرية، وهي أدب رفيع في الوقت نفسه، لأنها كُتِبت بلغةٍ جميلةٍ مشرقةٍ سلسة، وبأسلوب أدبي ممتع.

تستقي هذه المذكِّرات إمتاعها وإثارتها لا من الوقائع التي تسردها والشخصيات التي تعرضها فحسب، وإنما من ثقافة صاحبها الواسعة، فهو فرد متعدد: شاعر، مسرحي، كاتب مذكرات، ثوري، إضافة إلى أن هذه المذكرات لا تقتصر على فلسطين فحسب، وإنما تتناول أيضاً عدداً من البلدان التي حصلت فيها أحداث كبرى.

إذا كانت الموضوعية تعني فصل الذات عن الموضوع، فإن هذه المذكِّرات ليست موضوعية بهذا المعنى، لأن كاتبها ليس مجرّد مؤرِّخ أو باحث يدوّن مذكراته عن أحداث يشاهدها عن بُعد، وإنما هو جزء من الأحداث ومشارك في صنعها ويقدّم تحليلاً شخصياً لكثير منها؛ إضافة إلى أنه يتحدّث فيها عن نفسه وأهله ومشاعره الذاتية، فقد خصَّص مقاطع لوالده ووالدته، وخصَّص مقاطع عن ولادته وتعلمه وأسفاره، وخصص مقاطع عن أولاده، وعن البلاد العربية المجاورة...ولكن وصف هذه المذكرات بالموضوعية يعني أن المؤلِّف قصد سرد الأحداث بأمانة وصدق، وبتواضعه المعهود عندما يقول: "ليست حياتي حياة ذلك الفاتح العظيم، أو المكتشف الخطير، أو العالم المبتكر، ولكنها حياة فتى فكهل عربي مسلم تفتحت عيناه في مدينة جنين على معالم العبودية العثمانية..." [1].

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص611.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حاول برهان الدين العبوشي أن يرتب الأحداث حسب التسلسل الزمني، وكان موفقا في ذلك، لكنه قدم وأخر في بعض التفاصيل، حيث بدأ مذكراته بعهد الطفولة، ثم المدارس الابتدائية، لكنه أورد بعد ذلك قصة خطبة والدته لوالده، وهذه إذا سلكنا مبدأ الترتيب الزمني وجب أن ترد في بداية المذكرات، إضافة إلى أنه أورد ثورة 14تموز 1968م قبل حرب حزيران عام 1967م، وما سوى ذلك التزم التزاما تاما بالترتيب الزمني في عرض الأحداث.

لقد تعددت مستويات الاقتباس من القرآن الكريم في مذكرات العبوشي، كشكل من أشكال التناص، فكان أحيانا يقتبس آية كاملة أو جزءا من آية، أو يستلهم معنى آية وينشرها في مذكراته، وقد تعددت وظائف التناص كذلك بتعدد أنواعه، فمن التأكيد على فكرة معينة، أو إبراز موقف ذاتي، أو استشهاد يتطلبه الموضوع، ومن ذلك قول العبوشي تحت عنوان "المرحلة الثانوية":"أنهيت المرحلة الابتدائية وبقيت سنة محروما من نعمة الدرس لضيق ذات اليد، فسماء فلسطين تجود فصولا وفي فصول أخرى تكون سماؤها من نحاس، فحينا تجود الأرض بثلاث سمان، وحينا تنذر بمثلها عجاف" [1]. بل يتبتل العبوشي إلى ربه أن يهب له فصاحة القرآن الكريم؛ ليبث شكاته وألمه:

البسيط

سبحان وجهك يا من نوره سطعت منه الشموس وزانت روحه كلمي
هب لي فصاحة قرآني أصغه دعا أبث فيه شكاتي من لظى ألمي [2]

نلمس في بداية المذكرات أن العبوشي كان يكتب بنفس طويل، فذكر التفاصيل الكاملة لولادته وحياته، والمراحل التعليمية المختلفة، كما تناول فترات سجنه ومشاركته في الثورات وهجرته إلى العراق بالتفصيل، لكننا نلمس أن العبوشي في نهاية مذكراته تحول إلى أسلوب آخر أقرب إلى الشكل المقالي منه إلى المذكرات دون ذكر السبب، فالقارئ للعناوين الأخيرة يلحظ أنها تشبه التقارير الصحفية والأخبار، وخلت من اللمسات الفنية، فقد لجأ العبوشي إلى ذكر حرق

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص631.
[2] **نفسه**، ص613.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسجد الأقصى، ومصرع جمال عبد الناصر، واستقلال أرتيريا العربية، واستقلال إقليم جيبوتي العربي إلى آخر المذكرات، فقد اشتملت المذكرات من صفحة 718–729 على 17 عنوانا، بينما عنوان معركة جنين لوحده امتد من صفحة 705–715 .[1]

حيث يغلب على مذكرات العبوشي في ثلثها الأخير سمة المذكرات ذات الشكل المقالي في أسلوب يشوبه التقرير لا التصوير، والمباشرة لا الإيحاء، وان حاول العبوشي إيجاد رابطة في بناء مذكراته للتدرج في نقل الوقائع والأحداث والبعد عن الفجائية ليكون العمل متماسكا.

لقد اعتمد العبوشي في رواية مذكراته على سرد الأحداث المتصلة بحياته سردا إخباريا، واعتمد على إثبات الحقائق التاريخية، ونقل واقع الحياة الماضية ليزيد من المصداقية في مذكراته، ونقله للأحداث أقرب إلى التقارير في كثير من أقسامه منه إلى الأسلوب القصصي أو الروائي، وهو أقل من ذلك اعتمادا على التحليل والتفسير، ولم يستخدم العبوشي أسلوب البناء الدرامي في مذكراته، كما خلت المذكرات من أسلوب الحوار والقصص.

كما تمتاز مذكراته بالسرد المتصل –غالبا– للأحداث ما منحها قدرا من الوحدة الموضوعية، والاتساق بين العناوين المتتالية، وعزز العبوشي مذكراته بذكر الأماكن والتواريخ والأشخاص بالتحديد، ما زاد من نسبة المصداقية عنده، وفي سرده للأحداث تشعر أن العبوشي يمثل السارد "كلي المعرفة"، فهو يتعمق في نفسه واستحضاره للأحداث السابقة، ويتنقل في الزمان والمكان دون أدنى صعوبة، ويستخدم ضمير "الأنا" في مذكراته ما يزيد من مصداقيتها.

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص 718–729.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

التشكيـــل الفنـــي

المبحث الأول: اللغة

المبحث الثاني: الأسلوب

المبحث الثالث: الصورة

المبحث الرابع: الموسيقا

المبحث الخامس: التناص

المبحث السادس: التكرار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: اللغة

اللغة "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]، وهي سلوك متعلم مكتسب، يتعلمها الإنسان من البيئة التي يترعرع في أحضانها "فالبيئة تؤدي دورا رئيسا في تشكيل لغة الشاعر"[2]، وهي ميزة تميز الإنسان عن باقي المخلوقات "فالألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها الشكل الفني"[3]، والشعراء يلجؤون إلى نقل تجاربهم، وأفكارهم إلى الآخرين، عن طريق القصيدة التي تعدّ بمثابة "موضوع لغوي من نوع خاص، واللغة توظف فيها على نحو متميز"[4].

واللغة تعبّر أصدق تعبير عما يجول في نفس الشاعر من آمال وآلام، خاصة وعامة "فالشاعر بألفاظه وعباراته التي يصوغها في قصيدته إنما يعكس تجربته التي عاشها، وعالمه الداخلي، ذلك أن المعاناة هي التي تدفع الشعراء إلى انتقاء ألفاظهم، وتؤدي بالتالي إلى تميز الشعراء بعضهم عن بعض"[5] حيث "تعدّ اللغة عنصرا أساسيا من عناصر القصيدة، وقد ذهب بعض المفكرين إلى أن مادة الشاعر اللغة، وبها يختلف عن غيره من الفنانين، مثل الرسام الذي مادته الألوان، والموسيقي الذي مادته الأصوات"[6].

فلغة الشعراء لها خصائصها ومميزاتها التي ترقى بها عن اللغة العادية، فهي تتجاوز المعاني المعجمية إلى فضاء الدلالات المتنوعة "وهي تنتهك قوانين اللغة من أجل تفجير الطاقات الكامنة في اللغة"[7]، والشعراء يختلفون عن بعضهم البعض في مادتهم الشعرية تبعا لاختلاف

---

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، المكتبة العلمية، القاهرة، ج1، ص33..

[2] فخر الدين، ساهرة عادل، **القتال الكلابي شاعرا**، رسالة ماجستير، إشراف: خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، 2005م، ص106.

[3] القط، عبد القادر، **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر**، مكتبة الشباب، القاهرة، 1986م، ص435.

[4] الربيعي، محمود، **لغة الشعر المعاصر**، مجلة فصول، العدد الرابع، يوليو، 1981م، ص62.

[5] الضمور، عماد عبد الوهاب، **محمود فضيل التل**، حياته وشعره، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2001م، ص161.

[6] أبو بكر، أحمد حسن محمود، **حنا إبراهيم أديبا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2001م، ص110.

[7] انظر : سلسع، جمال، **الظاهرة الإبداعية في الشعر الفلسطيني الحديث**، مطبعة المعارف، 1994 م، ص15 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجاربهم الشخصية، فبرهان الدين العبوشي الذي عاصر وطنه يباع ويشترى، عاصر نهايات العهد التركي، وصولا إلى الانتداب البريطاني، ثم الاحتلال الصهيوني، وعاصر المعارك المختلفة بين العرب والإنجليز من جهة، والعرب والعصابات الصهيونية من جهة أخرى، هذا إضافة إلى دراسته، فقد تخرج في كلية النجاح الوطنية، ثم أتمّ تعليمه في كلية الشويفات بلبنان، ثم الجامعة الأمريكية، وشاعر بهذه التفاصيل يملك حصيلة لغوية مميزة، لا تتوفر لدى كثير من الشعراء.

لكن من أين ينبع قاموس المفردات الشعرية الإبداعية لدى شاعر مثل برهان الدين العبوشي؟

"الشعر الحق ينبع من شرف الشاعر وضميره، وتعلقه بآلام أمته وأفراحها، وبقضايا وطنه، ومصير أهله، وتشردهم وترحالهم الدائم من قطر إلى قطر، ومن عذاب إلى عذاب"[1].

فقاموس العبوشي الشعري يفيض بمفردات الثورة والوطنية، وأما مفردات النسيب والتشبيب فلم يفها حقها، بل يتعجب من أولئك الشعراء الذين تملأ مفردات الغزل والتشبيب قصائدهم، وقد لامه بعض النقاد على أن مفرداته لم تتعد الثورة والوطنية فرد واثقا "وهل الشعر إلا شعور؟ وهل حبّ يفوق حبّ وطن يعيش فيه الحبيبان؟ أأضع (الوهن) بدل (الوطن)، و(العورة) بدل (الثورة)، ليرضى عني اللاحون؟" [2].

وأضاف العبوشي" أنا لم تنطقني الشهوة، بل أنطقتني الكرامة أو الروح أو بنتها، والروح أسمى من شهوة الجسد"[3]، يقول العبوشي في قصيدة "الفداء":

الكامل

زاد الأديـــب همومـــه، وشـــرابه مـــن جرحـــه لا خمـــرة تتعتّـــق

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص276.

[2] **نفسه**، ص149.

[3] **نفسه**، ص149-150.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أفشـــاعر مـــن قـــام ينشـــر عهـــره وهـــو الـــذي مـــن بـــؤرة يتســـوق
يحســـو الشـــراب مـــع البنـــات كأنـــه بنـــت تغـــنج يســـتحف ويحلـــق
ما كـــل مـــن ركـــب المنـــابر فـــارس أو كـــل مـــن نظـــم القصـــيد مفلـــق[1]

وقد وردت مفردات الثورة بكثرة في معجمه الشعري منها: تعالوا، نشيد الزحف، ثورة تموز، ثورة القسام، أزفت ساعة الجهاد، لقد أذّن الجهاد، دعانا النفير، إلى الجهاد، إلى الحرب، أمة الحرب، معركة جنين، لغة الرصاص، انهضوا، استعدوا، دججوا الشيب والشباب... الخفيف

قـــد رأيـــتم بعيـــنكم وســـمعتم يـــا بنـــي العـــرب فانهضـــوا واســـتعدوا
أصـــبح الحـــق للســـلاح وإنّـــي لا أرى الحـــق بالبكـــا يســـترد
دججـــوا الشـــيب والشـــباب وســـيروا لقـــراع الخصـــوم حيـــث اســـتبدوا
مـــن يـــنم عـــن حمـــاه يلـــق ثبـــورا وهـــو فـــي الأخســـرين حتمـــا يعـــد[2]

يحرض العبوشي أمته على الثورة والمواجهة، ولا يدخر مفردة أو صيغة من صيغ التحدي إلا استعان بها في سبيل تحقيق غايته، وقد وردت هذه المفردات لخدمة الهدف الذي يسعى لتحقيقه، وهو أن الخلاص من العدو لا يتحقق إلا بالجهاد والمقاومة والثورة. كما يدعو العبوشي الشعب إلى أخذ زمام المبادرة والثورة بيده حتى لا تلعب بها الأهواء:

يـــا شـــعب غيـــرك لا يحـــل قضـــية لعبـــت بهـــا الأهـــواء ســـتة أشـــهر
يا شـــعب دونـــك والســـلاح فـــلا أرى منجـــاة عـــز دونـــه فـــي الأعصـــر[3]

أما عن مفردات الجمال فهي موجودة بكثرة في شعر العبوشي، لكن عن أي جمال يتحدث؟ إنّه جمال زهور الوطن، وسفوح الجبال، ومباهج المرج، وحفيف الشجر، وسنبل السهل، وشدو البلابل... وصرير القلم، وصفحة الكتاب، وترتيل القرآن الكريم، ولذلك قال العبوشي في صباه:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص257.
[2] **نفسه**، ص135.
[3] **نفسه**، ص179.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

إنّ الـــذي خلـــق الجمـــال لمـــوقن أنـــــي لأعبـــده بـــــه وأمـــــوت[1]

ويقول العبوشي في وصف جمال الزهور:

الخفيف

انظـــر الـــورد والقرنفـــل زُفـــا نعمـــــة الله للكئيـــــب ورَفّـــــا
فـــاذا مـــا حرمـــت ود حبيـــب فنعـــيم الزهـــور أبقـــى وأوفـــى
وإذا مـــا الغـــرام ضَـــرّسَ قلبـــا فحنـــان الـــورود للهـــم أنفـــى[2]

فالورد والقرنفل نعمة من الله للناس عامة، وللمكتئب خاصة، وهما خير جليس لأن نعيمهما أبقى وأنقى، ووجودهما يزيل الهموم.

كما استخدم العبوشي مفردات تشي بالحزن والأسى اللذين حلّا بالوطن منها على سبيل المثال: الوطن المبيع، المرج الحزين، أخي اللاجئ، الطالب الجائع، النازحون، أشواق محرقة، الغربة، الرحيل... وانتشار مثل هذه المفردات لا غرابة فيه، فالعبوشي شاعر عاش هموم أمته، وآلامها وآمالها، ووهب فكره وشعره للتعبير عما لحق وطنه من ضيم، يقول العبوشي في قصيدة "أيها المرج":

الرمل

أيهـــا المـــرج الـــذي كنـــا بـــه نقتـــل الوقـــت ســـرورا وابتهاجـــا
نحتســـي كـــأس الهنـــا فـــي غابـــه ونغنـــي فيـــه مـــا ينشـــي المزاجـــا
مـــــن تـــــرى أنـــــآك عنـــــا
وســـــبى مغنـــــاك منّـــــا
إنّ لـــــي قلبـــــا تغنّـــــى
فيـــــك يـــــا مرجـــــي الخصـــــيب[3]

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص150.
[2] **نفسه**، ص303.
[3] **نفسه**، ص47.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كثر في شعر برهان الدين العبوشي استخدام المفردات الشعبية التي تفهمها عامة الناس، لأنها منتزعة من واقع حياتهم، ولذلك ما يبرره، فاستخدام شعراء فلسطين لكثير من الألفاظ الشعبية في أشعارهم إنما يهدف إلى تشبثهم بالجذور العربية الفلسطينية، وينسجم مع تبنيهم لفكر المقاومة الهادف إلى الوقوف في وجه المحتل من خلال استثارة الإرث الحضاري المتمثل بلغة الآباء والأجداد.[1]

لقد "اتجه كثير من الشعراء في فلسطين إلى استخدام مفردات الحياة اليومية، والاقتراب من لغة الشعب، ما دعا إلى إدخال بعض الألفاظ المتداولة إلى البناء الشعري"[2]، فالألفاظ اليومية قد تعبر عن المعنى أفضل من غيرها إذا اقترنت بجمل وتعبيرات أخرى موحية، والشاعر الجيد هو الذي يستطيع أن يمنح الألفاظ العادية بعدا فنيا عن طريق نقلها من بعدها العادي إلى بعد مليء بالإيحاءات الفنية.

فشعر برهان الدين العبوشي واضح القصد، لا يموه ولا يحير، فهو يكاد يخلو من التأملات الذهنية، والغموض النفسي المحير، وشطحات الخيال البعيدة، كما يخلو من غرابة التركيب اللغوي، أو التعقيد في بناء القصيدة... ويمتاز شعره بوضوح الغرض الشعري، وسلامة اللغة وجزالتها، ومتانة البيت...فشعر برهان الدين العبوشي يمتاز عن غيره من شعراء زمانه بالحماس الذي لا حدود له.[3] وسرّ سهولة الألفاظ في شعر برهان الدين العبوشي واضح، فهو يخاطب المتلقين كافة، على اختلاف ثقافاتهم وعلمهم، فجلّ شعره يعدّ شعر منابر ومناسبات، ولا يستقيم ذلك مع فهم الناس لما يقول إلا إذا امتاز شعره بسهولة الألفاظ.

والدليل على ما ذهبنا إليه قول العبوشي في مقدمة ديوانه (جبل النار):" ولم أكن أجهد نفسي بتزويق شعري، فإنني لا أحب التصنع... ولم أكن لأقول ليقال عني شاعر، بل هي ثورات

---

[1] انظر: اشتية، معاذ عبد الله حامد، **عبد اللطيف عقل شاعرا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2003م، ص141.

– **حياة الأدب الفلسطيني الحديث**، ص290.

[2] **علي الخليلي أديبا**، ص80.

[3] انظر: **الشعر الفلسطيني الحديث**، ص43-48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نفسية عاطفية تجيش في صدري فأنفثها لأبناء الشعب على اختلاف مداركهم ليفهموها، لأنها نتيجة آلامهم، وخلاصة أوطانهم"[1]، فقد كانت عناية الشعراء بتجويد قصائدهم وتنقيحها قليلة؛ لازدحام الأحداث، والمشاركة فيها، وقد وظّف الشعراء جلّ شعرهم لخدمة بني أمتهم ووطنهم، لذلك طغى عليها الحماس والخطابية، والمباشرة بصورة عامة2، فلم يكن لدى العبوشي من الوقت ما يبذله لتجويد القصائد وتنقيحها، ورفع المستوى الفني، بل همّهم توعية قومهم لما يحاك من مؤامرات تبغي سلب الأرض، وطرد أصحابها منها عنوة.

ولم ينسَ برهان الدين العبوشي مدن فلسطين وقراها في شعره، بل هي حاضرة بكثرة، حتى إنّ المدن تحتل في دواوينه المختلفة عناوين القصائد الرئيسة، ومن تلك المدن: الناصرة، بيسان، جنين، صفد، طبريا، القدس، حيفا...، وفي بعض الأحيان كان يعقد الشاعر مقارنة بين حال المدينة قبل النكبة وبعدها، فذكر المدن المختلفة في شعره يدل على مدى الارتباط الوثيق الذي يجمع برهان الدين العبوشي بمدن وطنه وقراه، يقول العبوشي في قصيدة "المرج الحزين":

البسيط

"جنـــين" "زرعـــين" "بيســـان" مهـــددة و"ســـيلة الحـــارثي اليـــوم تضـــطرب[3]

وكان في المعجم الشعري لبرهان الدين العبوشي نصيب لألفاظ البعد القومي، ومنها: وطن العروبة، أنجدوا الجزائر، شباب الشام، فَلتَحيى مصر، يا عرب، بني أمتي هبوا، ذكرى الثورة العربية، جيش العروبة، الوحدة الكبرى، المجاهد العربي، أنا قومي... وهذا ينم عن شدة التواصل مع البلدان العربية الأخرى، وأنها تعد الامتداد الطبيعي لفلسطين، ومن ذلك قوله في قصيدة "فإن تسلمي يا مصر فالشرق سالم":

الطويل

سرى الركب مشتاقا يحن إلى مصـــر يـــزف ســـلام القـــدس للبلـــد النضـــر
يعبـــر عـــن آمالـــه بشـــبابه ويرفـــع آي الشـــكر للســـادة الغـــر

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص40.

[2] انظر: **الشعر الفلسطيني الحديث**، ص42.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلـــى بلـــد فاضـــت أياديـــه بالنـــدى على أمـــة شـــادت فســـادت علـــى الـــدهر[1]

"وقد عرف العبوشي بثقافته التراثية الدينية"[2]، وما يدل على ذلك شيوع المفردات ذات الدلالة الدينية بكثرة في أعماله المختلفة، ومن تلك المفردات: يوم النبي، ذكرى مولد المسيح، الرسول، المسجد الحريق، الفرقان، مسجد الفاروق، الأقصى الحريق، الله جل جلاله... وهذا يدل على عمق ارتباط الشاعر بموروثه الديني، وحجم التأثير الذي خطه والده في نفسه، فقد كان والده يأخذه إلى المسجد منذ صغره، ويعلمه تلاوة القرآن، ومجالسة العلماء، يقول العبوشي في قصيدة "الفرقان":

الوافر

إلـــه العـــرش يـــا مـــن مـــدّ بحـــرا مـــن الغفـــران أرجـــو منـــك غفـــرا
خلقـــت الكـــون مـــن عـــدم فأضـــحى بفضـــــل يـــــديك آلاءً وســـــحرا
وهيـــأت الثـــرى رزقـــا ومـــأوى وللأخـــرى جعلـــت الـــرزق أجـــرى[3]

نستنتج من كل ما سبق أن لغة برهان الدين العبوشي في أعماله الأدبية لغة فصيحة خالية من اللحن والخطأ اللغوي، وكذلك خالية من قاموس المفردات العامية.

المبحث الثاني: الأسلوب

يرتبط الأسلوب بطرق مختلفة من التعبير، تحدها علاقات لغوية ومعجمية متنوعة[4]، والأسلوب عنصر مهم من عناصر العمل الأدبي، يختاره الأديب ليجمع كافة العناصر، وبرهان الدين العبوشي شاعر مبدع، نبت في بيئة أدبية تمتاز بالأصالة والعراقة، وتخلو من التعقيد والغموض، وقد أُتيحت له فرص ذهبية للاتصال بمشاهير الشعراء الفلسطينيين في زمنه أمثال؛ أستاذه في كلية النجاح الوطنية الشاعر إبراهيم طوقان، وزميله في الكلية نفسها الشاعر الشهيد

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص110.

[2] الهواري، عرفان سعيد أبو حمد، **أعلام من أرض السلام**، شركة الأبحاث العلمية، حيفا، 1979م، ص88.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص277.

[4] انظر: عبد المطلب، محمد، **بناء الأسلوب في شعر الحداثة– التكوين البديعي**، ط2، القاهرة، دار المعـــارف، 1995م، ص20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد الرحيم محمود- والاستفادة من تجاربهما الإبداعية، وقد أتيح للعبوشي الاستعداد الفطري لقراءة أشعار القدماء ومحاكاتها.

ويمكننا تحديد أهم سمات أسلوب برهان الدين العبوشي فيما يلي:

- طول النفس - التصريع.- التدوير.- الجناس.

- النداء.- الاستفهام.- القسم.- التعجب.

طول النفس الشعري

الشعر موهبة فطرية، بل شعور يتملك المبدع، وعندما يريد الشاعر أن ينظم قصيدة في موضوع معين، فإن عناصر كثيرة تقتحم الجو الشعري وتتحكم في طول القصيدة أو قصرها، ومن أهم هذه العوامل الجو النفسي، وطبيعة الموضوع، وعنصر الزمن المتاح للشاعر.

فمثلا المعلقات الجاهلية تمتاز بطول النفس في دلالة على توفر كافة العناصر التي تتيح ذلك، بينما قصائد الصعاليك نلاحظ فيها ظاهرة قصر القصائد، بل هي مقطّعات شعرية؛ لأن عناصر طول النفس لم تكن متوافرة لحظة نظم القصيدة، بسبب طبيعة عيش الشعراء الصعاليك.

لكننا نلاحظ الحالتين معا في شعر برهان الدين العبوشي، فهو في حالة السرعة وضيق الوقت ينظم مقطعات شعرية، أو قصائد قصيرة قليلة الأبيات، وعندما يسمح الجو النفسي وعنصر الزمن نراه يبدع القصائد الطوال، التي يزيد عدد أبيات بعضها عن مائة بيت، حيث تبرز ظاهرة النفس الشعري الطويل في قصائد: "الإعدادية المركزية"[1]، و"التأميم"[2]، و"نور مكة"[3]، و"يا رب"[4]، و"تململ الليث"[5]...

ومن قصائده الطوال قصيدة "فيم افتخارك" حيث يزيد عدد أبياتها عن تسعين بيتا:

مجزوء الكامل

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص315-317.

[2] **نفسه**، ص307-309

[3] **نفسه**، ص294-296.

[4] **نفسه**، ص291-293

[5] **نفسه**، ص287-291.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصـــطفى نـــور الوجـــود ودينـــه عمـــل وطاعـــة
قرآنـــه ســـرّ المبـــادئ منـــه إن رمـــت انتفاعـــة[1]

التصريع:

هو "جعل العروض مقفاة تقفية الضرب"[2]، إذ يُختم الشطر الأول بما خُتم به الشطر الثاني فيكون عروض البيت تابعا لضربه [3]، وهو كذلك "تصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، رغبة في إنتاج إيقاع واضح في مطلع القصيدة، ليرتفع الإيقاع، جراء تآلف العناصر، وليقيم ارتباطا تلازميا بالسلوك الشعري التقليدي الذي يعد التصريع فيه تقنية أساسية في التشكيل الموسيقي المزدوج، التكويني والإطاري، وفق ما يتطلبه الموقف، فالحالة الشعورية والفكرية في أبعادها الوطنية والقومية وإفرازاتها المختلفة، تتطلب نبرة حماسية متمردة، ثورية غاضبة، تستدعي إيقاعا متميزا ذا وضوح سمعي، رغبة في التأثير الفاعل في أذن المتلقي، وبالتالي في وجدانه، بما يوجهه نحو المحمول الدلالي في القصيدة، فبمجرد الولوج إلى القصيدة يواجه المتلقي بهذا الإيقاع المعزز بالقافية الموحدة على وجه الخصوص"[4].

والتصريع ليس أسلوبا حديثا في الشعر، بل هو أسلوب عريق لجأ إليه الفحول والمجيدون من الشعراء القدماء والمحدثين، ومن التصريع قول أبي العتاهية في هارون الرشيد:

الكامل

قطعـــت منـــك حبائـــل الآمـــال وحططـــت عـــن ظهـــر المطـــي رحـــالي[5]

وأسلوب التصريع موجود بغزارة في أعمال برهان الدين العبوشي الأدبية[6]، وسر غزارته أن شعره في معظمه شعر منابر ومظاهرات وثورات، أي أن الشاعر يلقي أشعاره أمام

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص77.

[2] الصعيدي، عبد المتعال، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علـــوم البلاغـــة**، القـــاهرة، مكتبـــة الآداب،ج4، 2000م، ص86.

[3] انظر: أبو عمشة، عادل، **العروض والقافية**، نابلس، مكتبة خالد بن الوليد، ط1، 1986، ص57.

[4] الخواجا، علي، **برهان الدين العبوشي**، ص22–23.

[5] أبو العتاهية, أبو اسحق إسماعيل بن القاسم، **ديوان أبي العتاهية**، بيروت، دار صادر، 1964م، ص57.

[6] انظر: **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص43– 44–46– 50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جمهور عريض، ما يعزز حاجة الشاعر إلى لفت الانتباه، وقوة التفاعل مع الجمهور، ومن ذلك قصيدة "بيسان قبل ضياعها" التي ألقاها في مهرجان صندوق الأمة العربي حيث يقول العبوشي:

الكامل

مـــا للهـــوى يشـــجيك فـــي بيســـان ويثيـــر فيـــك حميـــة الشـــجعان[1]

وقد عد ابن الأثير التصريع بمنزلة السجع في الكلام المنثور[2]، ومن التصريع في شعر العبوشي، مطلع قصيدته الموسومة ب(كنت سهما)، وقد ألقاها في مهرجان المؤتمر العام لكتاب فلسطين في القاهرة:

الكامل

ما لـــي أراك غـــدوت ســـهما مغمـــدا والسيف أجـــود مـــا يكـــون مجـــردا[3]

ومن أسباب اهتمام الشعراء بالتصريع إثبات الشاعرية، وسعة القدرة الشعرية، وإيجاد إيقاع واضح ولافت في مطالع القصائد "إن التزام الشاعر بهذه التقنية ليؤكد تمتع بيته الشعري بسكتة عروضية، تستوقف المتلقي ليتأمل محمولها الموسيقي والدلالي، فتحفزه للانتقال إلى ما يليها، وهكذا إلى نهاية القصيدة"[4]، ومن ذلك قول برهان الدين العبوشي في قصيدة "المرج الحزين":

---

[1] **نفسه**، ص54.

[2] انظر: ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانـــة، مطبعـــة نهضة مصر، 1959م، ص118- 119.

[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص260.

[4] **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص52.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البسيط

مرج ابن عامر باعــت مجــدك العــربُ واستأسد الغرب والشرقي يحتــربُ[1]

إن التصريع هنا ماثل في تفعيلتي العروض والضرب، فتفعيلة العروض هي نفسها تفعيلة الضرب، كما أن التماثل الصوتي قائم في توافق القافية(الباء المضمومة) ما ضاعف الأثر الموسيقي الناتج، فأصاب أُذن المتلقي مما دفعه إلى تبين العلاقة القائمة بين(العرب– يحترب)، كما أن الضمة القصيرة في قافية الصدر تدل على سكتة عروضية طويلة نسبيا، قياسا فيما لو كانت القافية ساكنة، ما يقوي فرصة السكتة الدلالية، ويترتب على ذلك تراكب عروضي دلالي، يصيب به الشاعر مقصده؛ وهو تحقيق الأثر الوجداني في المتلقي[2].

التدوير

"وهو إزالة الحاجز الجزئي الذي يقوم بين شطري البيت، وإخراجه في قالب واحد، يصل بين صدر البيت وعجزه لفظ مشترك بينهما، ويعدّ نوعا من الخروج بالقصائد عن نسقها العمودي الثنائي، إلى نسق عمودي جديد موحد الإطار"[3] " ما يسمح بتدفق عدد من التفعيلات المتلاحقة دونما سكتة في نهايات الصدور، فتكتسب نغما إيقاعيا مميزا مباينا لتلك الصدور التي لم يقع التدوير فيها" [4] وقد يكون التدوير إما لاتصال الوزن أو لاتصال المعنى، "ما يستدعي نفسا موسيقيا متواصلا"[5]، لأنه يربط آخر البيت مع بداية البيت الذي يليه[6].

لقد لجأ برهان الدين العبوشي إلى أسلوب التدوير ليخرج ولو شكليا عن نهج القصيدة العمودية، فقد دور في قصيدة واحدة ثلاثين بيتا، وهي قصيدة "ذباب"[7]:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص46.

[2] انظر: **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص53.

[3] سليمان، فتح الله أحمد، **الأسلوبية – مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004م، ص57.

[4] **خواجا، علي، برهان الدين العبوشي**، ص23.

[5] **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، ص337.

[6] انظر: **العروض والقافية**، ص 224.

[7] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص72–73–74.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجزوء الكامل

يـــــا ويـــــح أمـــــك يـــــا ذبـــــا ب قتلـــــت ربـــــات الحجـــــاب
أوديـــــت بالطفـــــل الرضـــــي ع ولســـــت تحـــــذر أو تحـــــابي
ســـــنبيد جنـــــدك بـــــالهجو م عليـــــك لا بالإنســـــحاب[1]

وقد دوّر برهان الدين العبوشي في كثير من قصائده، منها "الوطن المبيع"[2]، و"ليلى العراق"[3]، و"أنجدوا الجزائر"[4]، ومنها كذلك قصيدة (ألا هل زرت بيسانا) حيث يقول:

الهزج

ولـــــو شـــــاهدت دمـــــع الأر ض مثلـــــي ثـــــرت نشـــــوانا
ألا مـــــا قيمـــــة الأحـــــزا ب إن لـــــم تحـــــم أوطانـــــا[5]

إن التدوير لا يدخل القصيدة عبثا دونما فائدة، بل يعمل على اتصال الشطرة الأولى بالثانية عروضيا ودلاليا، ويعبّر عن الحالة النفسية التي تنتاب الشاعر في تلك اللحظة، والتدوير يعني في معظم حالاته أن لا مجال للوقوف في لحظة من اللحظات على الشطرة الأولى، بل لا بد من اتصال بينهما ليتحقق الهدف المطلوب، فتسارع الأحداث أو الاضطراب النفسي يمنعان الشاعر من الوقوف، ويسهمان في تدوير الشاعر لكثير من الأبيات ليحقق ما يصبو إليه.

الجناس:

"لقد وجّه الشاعر الفلسطيني جلّ إمكاناته اللغوية لإنتاج التماثل الصوتي في نهايات أبيات قصائده، ليحقق نظام القافية المطلوب، وتأكيدا لهذه الغاية فقد عمد إلى تقنية الجناس، بين دوال

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص73.
[2] **نفسه**، ص50.
[3] **نفسه**، ص56.
[4] **نفسه**، ص101.
[5] **نفسه**، ص305.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوافيه، وذلك بالتزامه التزاما كبيرا بما يسبق الروي من أصوات إضافية أخرى كالردف والتأسيس[1]، فزاد من فرص وقوع الجناس بين قوافيه" [2].

ونستنتج من تتبع قصائد برهان الدين العبوشي وقوع الجناس بكثرة، مع تعدد أشكاله وآلياته، فقد انتشر الجناس في عشرات القصائد من قوافي الأعمال الشعرية للعبوشي[3]، ما يوحي التزامه بالجناس تقنية أساسية في قصائده، ومن أمثلة الجناس في شعر برهان الدين العبوشي قوله في قصيدة (طبريا):

الطويل

ألـــم يَعِـــدِ الجبّـــارُ قـــومَ محمـــدٍ بنصـــر إذا جَـــدّوا وجـــادوا بـــأثمن[4]

يجمع العبوشي بين دالّين متجاورين هما "جدّوا وجادوا" بتماثل صوتي عام، وتخالف صوتي خاص، حيث أضاف الشاعر صوت الألف في المفردة الثانية التي أدت إضافتها إلى تخالف المعنى بين الدالين، فمدلول "جدوا" هو الجد والمثابرة والاجتهاد، ومدلول "جادوا" هو العطاء والسخاء والجود[5]. ومن أمثلة الجناس كذلك في نفس القصيدة قوله:

الطويل

أحاط بكـــم جـــيش الثعالـــب فاســـمعوا ندائي فـــإن الصـــدق دينـــي وديـــدني[6]

يجمع العبوشي دالين متجاورتين في قوله "ديني وديدني" بتماثل صوتي عام، وتخالف صوتي خاص، فقد أضاف الشاعر صوت الدال في المفردة الثانية التي أدت إضافتها إلى تخالف المعنى، فديني هو الدين والشريعة، بينما ديدن هو الطريقة والأسلوب. ومن الجناس في شعره كذلك قوله في مسرحية "شبح الأندلس":

---

[1] الردف: حرف علة يسبق الروي مباشرة، ويلتزم في سائر الأبيات. والتأسيس: ألف تسبق الروي، وتكون معه في كلمة واحدة، على أن يفصل بينهما حرف أجنبي يسمى الدخيل. انظر: **العروض والقافية**، ص 198.

[2] انظر: **خواجا، علي، برهان الدين العبوشي**، ص24.

[3] انظر: **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص58-59، وكذلك ص90.

[4] **نفسه**، ص48.

[5] انظر: خواجا، علي، **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص56.

[6] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص49.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطويل

بـــذل النفيســـة والنفـــوس ليشـــتري شـــرف الحيـــاة وعـــزّة الأبـــرار[1]

حيث التشابه الصوتي بين النفيس والنفوس، فالنفيس الغالي الثمين، والنفوس الأرواح، فالتخالف بين صوتي الياء والواو أدّى إلى اختلاف المعنى كليا. ومن أمثلة الجناس في شعر برهان الدين العبوشي قوله في قصيدة "نهر الفتوح":

الطويل

فلا تحزنـــي إن خانـــك الحـــظ فتـــرة فإنّـــا ســـنبني، كـــل داء لـــه دوا[2]

تظهر بنية الجناس في مفردتي"داء/دوا"، إذ تختلف المفردتان في صوت الواو الذي عمل بدوره على التفريق في المعنى بينهما، فلفظة الداء تختلف عن لفظة الدواء؛ إلا أن التباين الدلالي عمل على خلق تناغم ثنائي متضاد "فدالّ الداء يستدعي دالّ الدواء، والعكس صحيح، وبالتالي فإن بنية الجناس هنا جاءت معبرة عن عنصر التنافر (التضاد)"[3]، فالداء عند برهان الدين العبوشي ليس ذلك المرض الذي يقعد النفس عن العمل، أو يجعلها تشعر بأعراض الأمراض المختلفة، بل هو اغتصاب الأرض العربية عنوة، والمقصود هنا احتلال فلسطين، وقد خرجت المفردة عن معناها الدلالي لتؤدي وظيفة هامشية مرتبطة بطبيعة الأوضاع في فلسطين، أما الدواء فهو الجهاد بالمال والنفس من أجل تحرير فلسطين من نير الاحتلال الذي يسومها سوء العذاب، وبذلك يخرج العبوشي في لفظة الدواء من العلاج المادي الذي يبرئ الأمراض إلى العلاج المعنوي الذي يحقق النصر على الأعداء.

أستنتج مما سبق أن الجناس قد انتشر على مساحات واسعة من أشعار برهان الدين العبوشي، مما يؤكد انصراف الشاعر إلى هذه التقنية عن قصد، ما يؤدي إلى تكثيف إيقاعاته، وتنويع تشكيلاته.[4]

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص439.

[2] **نفسه**، ص123.

[3] **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص57.

[4] انظر: **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النداء

يعدّ النداء من الأساليب الإنشائية اللغوية المشهورة، حيث اهتم به العلماء والنحاة والبلاغيون والشعراء، وأفردوا له مساحات واسعة في أعمالهم[1]، والنداء هو "طلب الإقبال"[2] حيث يتكون أسلوب النداء من حرف نداء واسم بعده، وقد استخدم برهان الدين العبوشي من أحرف النداء(يا، وأيا، والهمزة، وأيها)، وقد حاز حرف النداء "يا" على حصة الأسد من بين أحرف النداء الأخرى، ومن ذلك قوله في قصيدة "أمة الحرب":

الخفيف

أيهـــا النـــائمون مـــن آل قـــومي يـــا أذلاء ذلكـــم قـــد شـــجاها[3]

ينادي الشاعر النائمين من بني قومه في صدر البيت ب"أيها النائمون"، ثم يناديهم ب"يا أذلاء" في مطلع العجز، تأكيدا لفكرة النوم السياسي، حيث يشكل النداء في مطلع الصدر والعجز نقطة مركزية في تكوين الدلالة، وعليه يبنى معنى الأبيات اللاحقة، وقد أدّى النداء في البيت معنى "النداء والتحقير"، واستخدام الشاعر حرف النداء "أيها" دلالة على حالة الغربة والضياع التي يعانيها الشاعر. ومن أمثلة النداء قوله:

الخفيف

لا تعقـــوا بلادكـــم يـــا بنيهـــا إن مـــن عقهـــا يعـــق الإلهـــا[4]

حيث مثل النداء في هذا البيت خاتمة الصدر بعد صيغة النهي، ما يدل على أن النداء في هذا البيت ذو أهمية ثانوية، وهذا يؤكد تخصيص المنادى وجعله مركز التوجه الطلبي.[5] ومنه قوله في قصيدة "يا رب":

---

[1] **بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص394.

[2] الصبان، محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، دار إحياء التراث العربي، د.ت، 134/3.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص43.

[4] **نفسه**، ص43.

[5] انظر: خواجا، علي، **برهان الدين العبوشي**، ص25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البسيط

يا ســـامعا صـــوت مـــن لا يســـتجيب لـــه إلاك، عفـــوك، صُـــن أهلـــي وصُـــن ولـــدي[1]

حيث خرج النداء هنا عن معناه الحقيقي ليفيد معنى الدعاء، وكان الشاعر يدعو الله وحده أن يصون أهله وولده[2].

الاستفهام

يعد أسلوب الاستفهام أحد الأساليب اللغوية المشهورة التي لا يمكن الاستغناء عنها[3]، والاستفهام "طلب ما ليس عند المستخبر"[4]، وتكمن أهمية أسلوب الاستفهام إذا خرج عن معناه الأصلي ليضفي على النص دلالات جديدة، وقد كرر العبوشي استخدام أسلوب الاستفهام؛ وذلك يشي بالنفسية المضطربة لديه نتيجة الظروف القاسية التي تعيشها البلاد العربية عامة، وفلسطين خاصة.

ومن أدوات الاستفهام التي استخدمها العبوشي "متى، كم، الهمزة..." ومن أمثلة ذلك اسم الاستفهام "متى" في قصيدة " ذباب" حيث يقول:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص293.

[2] انظر: دعمس، أحمد داود، **بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث**، دراسة تطبيقية في شعر: إبراهيم طوقان، وبرهان الدين العبوشي، وراشد حسين، رسالة دكتوراة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الدار العثمانية، عمان، ط1، 2010م، ص397 .

[3] **نفسه**، ص339.

[4] ابن فارس، أحمد، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق عمر الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ط1، 1993، ص186..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجزوء الكامل

فمتـــــى سنشـــــبع فـــــي الـــــبلا د ونحـــــن نقعـــــي كـــــالكلاب[1]

فقد تصدر اسم الاستفهام "متى" البيت، وقد خرجت متى من استخدامها الحقيقي(تعيين زمان الفعل) إلى معنى جديد يناسب المقام، فالشاعر يستبعد تحقق الفعل "سنشبع" في البلاد المحتلة، وما يؤكد فكرة الشاعر جملة "ونحن نقعي كالكلاب" فقد أخرجت هذه الجملة الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى التقريع، فما دمنا نطلب الطعام من المحتلين، فلن نشبع أبدا، والتقريع هنا جاء لحث أمته على العمل الجاد لنيل لقمة العيش بكرامة وعزة.

القسم:

يعدّ القسم من أساليب الجملة الإنشائية، وهو أسلوب يفيد التوكيد في الخطاب نحو قوله تعالى على لسان إبراهيم _عليه السلام_: "وتالله لأكيدن أصنامكم"[2]، وأسلوب القسم في شعر برهان الدين العبوشي يعد ظاهرة، ومنه قوله:

المتقارب

أطيـــرَ الهـــزار بربـــك خُـــذني أبثُّ غرامي إلـــى مـــن هويـــت[3]

فالقسم في هذا البيت يدل على الطلب، فالشاعر يطلب من الطير ويستحلفه أن يأخذه ليبث غرامه إلى من يهوى[4]، ومن القسم في شعره كذلك قوله في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

والله لـــو جعلـــوا الكواكـــب فـــي يـــدي لنبـــذتها تهـــوي علـــى أعتابـــه[5]

والقسم هنا مستمد من قصة كفار قريش مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – حينما حاولوا إقناعه بترك الدعوة مقابل مال أو جاه أو سلطان، فرد عليهم بأسلوب القسم.

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص73.

[2] **سورة الأنبياء**، آية57.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص75.

[4] انظر: **بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص426 .

[5] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعجب

يكون التعجب في أمور عظيمة حصلت وانقضت، أو في معرفة سبب فوجئت بمعرفته[1]، ومن أمثلة التعجب في شعر العبوشي قوله في قصيدة "الأمير شكيب":

الطويل

وما أكثــر الأبطــال فــي الغُــنْم والرخــا ولســت تــرى فــي الكــرب مَــنْ رَتَــقَ الفَتقــا[2]

فالعبوشي يتعجب من كثرة الأبطال في وقت الغُنْمِ والرخاء، وما أقلهم وقت الكرب والشدة، مع أن الأصل في البطل أن يكون موجودا وقت الشدة.

كذلك يُكْبر برهان الدين العبوشي حالة إقدام أبناء البلاد على الشهادة فداءً لوطنهم، حيث يقول في قصيدة "إلى الجهاد":

الكامل

فرميــت نفســك فــي اللهيــب لتفــت دي الوطن الحبيــب ومــا أحــيلاه فــدا[3]

المبحث الثالث: الصورة الفنية

تحظى الصورة الفنية بعناية خاصة في شعر برهان الدين العبوشي، ولا عجب؛ فهي دعامة رئيسة من دعائم البناء الفني للشعر، كما أنها من أهم مميزات فن الشعر "فالشعر في حقيقته يعتمد على الإيماء والتصوير، وإذا تجرد منهما فقد روحه"[4]، والجاحظ أول من أطلق تسمية التصوير على الشعر، حيث قال: "إنّما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[5].

---

[1] انظر: **بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص447.

[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص125.

[3] **نفسه**، ص321.

[4] **إبراهيم طوقان حياته وشعره**، ص150.

[5] الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ج3، ط3، ص132.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومصطلح الصورة الفنية لم يعد يقتصر في العصر الحديث على الناحية البلاغية، بل قد تكون الصورة الفنية عبارات حقيقية الاستعمال، خالية من التشبيه والاستعارة والمجاز، ومع ذلك تشكل صورة مفعمة بالحركة والحياة، فالشاعر يلجأ إلى الصورة الفنية ليعبر عما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس وخيال، لا يمكن أن تصل فكرتها إلى المتلقي إلا باستخدام تقنية الصورة الفنية.

وبناء على ذلك فإن الصورة الشعرية ليست مجموعة من التشبيهات، أو طائفة من الأنواع البلاغية فقط، وإنما هي تركيب لغوي تشترك في نسجه تلك الأنواع البلاغية، وقد تخلو منه[1]، وتتفاوت جمالية الصورة الفنية من شاعر إلى آخر، حسب قدراته وموهبته الشعرية، إضافة إلى اطلاعه على الخصائص الفنية للصورة وتطبيق ذلك في أعماله.

إن المتأمل في شعر برهان الدين العبوشي يلحظ ظاهرة الالتزام في شعره حتى على صعيد الصورة الفنية، فهو شاعر رسالة أولا وأخيرا، وقد أراد بشعره أن يوصل هذه الرسالة بشتى الطرق والوسائل، منها أسلوب الصورة الفنية، فقد استمد صوره من البيئة التي عاشها في فلسطين، ودمج فيها عناصر اللون والحركة ... ما يؤكد حجم ارتباطه والتزامه بقضايا وطنه.

يضفي العبوشي نوعا من القدسية على تراب الوطن، ويطلب من الفلسطينيين السجود شكرا لله أن حباهم وكرمهم بفلسطين وطنا، وأن يتواضعوا في مشيتهم على ثرى بلادهم لأنه مجبول بدماء الآباء والأجداد، يقول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

مـــرغ جبينـــك فـــي طهـــور ترابـــه واســـجد فـــإن الله فـــي محرابـــه
وامـــش الهـــوينى خاشـــعا متصـــدعا فلقـــد مشـــيت علـــى رفـــات عرابـــه
واحـــبس لســـانك أن تقـــول ســـفاهة فـــالبرّ والتهـــذيب مـــن آدابـــه[2]

---

[1] انظر: إسماعيل، عز الدين، **الشعر العربي المعاصر**، بيروت، دار العودة، 1973م، ص143.

[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل يصل الأمر بالبحر أن تتلاطم أمواجه، غضبا على أولئك الذين سلبوا فلسطين من أهلها، ثم يشرك العبوشي التاريخ في الصورة الفنية، حيث يبكي البحر ماضيه مع العرب والمسلمين، حين كانت الأساطيل تصول وتجول في أرجائه، يقول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الطويل

انظرْ إلى البحر الخِضَمِّ تلاطمت أمواجه غضبا على سُلاّبه
يبكي الأساطيل التي كانت لنا أيعود أسطول لنا بعبابه[1]

وتشترك (الكرمل) مع البحر في البكاء، حزنا على الأرض المسلوبة:

الطويل

و(الكرمل) المحزون بعد هنائه يلقى الأذى والذل من أغرابه[2]

يستخدم برهان الدين العبوشي في صوره الفنية تقنية تبادل المدركات، كالتشخيص، فالبحر غضبان آسف على ما حلّ بالوطن من مآس، لا بل هو يبكي زوال التاريخ، التاريخ المشرف، وجبل الكرمل حزين لأنه يعاني الأذى والذل من الغرباء.

ومن تبادل المدركات كذلك قول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الطويل

واخفض جناح الذل للوطن الذي روّاك من أكوابه ورضابه[3]

لقد آلف العبوشي في هذا البيت بين متنافرين، أحدهما معنوي وهو "الذل"، والآخر مادي، بصري لمسي وهو "جناح"، راسما صورة طبيعية متحركة، تكشف عمق الحالة الوجدانية للشاعر، وأثرها عليه من خلال تشخيص الذل، وتحويله إلى طائر بجناحين مخفوضين، يشيان عن قيمة الوطن بالنسبة للشاعر، ومدى انتمائه له، ومدى أثر الوطن في حياته، بل تضام المشبه

---

[1] **نفسه**، ص51.
[2] **نفسه**، ص51.
[3] **نفسه**، ص50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمشبه به برباط دلالي أعاد لهما التقارب والتالف، فأضاف أحد أعضاء لوازم الكائن الحي "الطائر" إلى الذل المعنوي فأضحى للذل جناح يخفضه أهل البلاد لبلادهم دلالة على استسلامهم لحبها[1]. ومن ذلك أيضا في شعر العبوشي ما ورد في قصيدة "رسول الله البطل الخالد":

الطويل

ألا فانهضوا يا عرب إن بلادكم تئن وتشكو فانهضوا للتجدد[2]

فقد خلع على البلاد الأنين والشكوى لما حل بها من ظلم ومهانة.

ومن تبادل المدركات أسلوب التجسيم، حيث يبذل المعلم ما بوسعه، يحترق من أجل أن ينير السبيل أمام الآخرين، يقول العبوشي في قصيدة "الإعدادية المركزية":

الوافر

تراه يذيب مهجته حنانا وينثر قلبه المضنى بخورا[3]

فالمهجة تذوب لما يبذل المعلم من جهد مضن في سبيل إيصال رسالة العلم. والحب لديه فيه قدرات جبّارة على الوصول لغايته المنشودة، حيث يجسّم الشاعر الحب، فيجعل له قدرات على التغلغل إلى حيث يشاء، هذا ما ورد في قصيدة العبوشي "رسول الله البطل الخالد":

الطويل

تغلغل في قلبي النَديِّ حب (أحمد) فحرت بأيّ اللّفظ أمدح سيدي[4]

وكثيرا ما يعمد العبوشي في عرضه للصورة الفنية إلى أسلوب التشبيه، وهو أسهل أساليب الصورة الفنية للتعبير عن مكنونات الشاعر النفسية، لكنه في الوقت نفسه يعد من أهم أساليب الصورة الفنية، إذ يعمل على تماسك الصورة، ويزيد من قوتها، ويعمق في إيحائها، مما ينشط ذهن المتلقي، ويجعله في بحث دائم عن وجه الشبه الخفي بين المشبه والمشبه به[5]، فقد

---

[1] انظر: **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ص129-130.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص323.

[3] **نفسه**، ص317.

[4] **نفسه**، ص322.

[5] انظر: **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص122.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وظّف أسلوب التشبيه لينتقد عدم إكمال بناء مسجد الفاروق في "حي تموز" ببغداد، يقول العبوشي في قصيدة "مسجد الفاروق":

السريع

الجـــامع المحـــزون فـــي حَيِّنـــا فـــي (حَـــيِّ تمـــوز) حليـــف الألـــم
كالهيكـــل العظمـــي فـــي حزنـــه كأنـــه بيـــت هـــوى أو صـــنم
قـــد بعثـــرت أشـــلاؤه حولـــه كالبيت فـــي القـــدس غـــداة انهـــدم[1]

حيث يشبه العبوشي مسجد الفاروق بالهيكل العظمي، كما يشبهه بالصنم، والتشبيه هنـا بسيط سهل خال من التعقيد، وتتآلف الصور المفردة لتشكل صورة مركبة لحالة المسـجد، كمـا استخدم أداة التشبيه "مثلما" في قصيدة "أيها المرج" ليدلل على تجدد الحب واستمراريته:

الرمل

بـــرح الحـــب بقلبـــي وجـــرى في عروقـــي مثلمـــا تجـــري الحيـــاة[2]

ولم يهمل العبوشي الغرب في تشبيهاته، فقد شبّه الغرب بالسرطان الذي ينتشر في جسد الأمة العربية، وقد استطاع العراق بقرار تأميم النفط عام 1972م- طرد هذا السرطان من بلاد العرب، يقول العبوشي في قصيدة "يا نسور العراق":

الخفيف

قـــد بتـــرتم بـــه أذى ســـرطان حمـــل الشـــر للـــورى وإلـــيكم[3]

أما القنابل والمدافع فلها لغة خاصة بها، لا تكذب، بل هي أصدق من لغة الكتب، يقـول العبوشي في قصيدة "الفداء":

الكامل

ذلّ البيـــان وســـاء فيـــه المنطـــق لغـــة القنابـــل والمـــدافع أصـــدق[4]

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص309.
[2] **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص47.
[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص268.
[4] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص255.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن تقنيات الصورة الفنية البناء الدرامي، حيث يستخدمه برهان الدين العبوشي في قصيدة "بين المواهب والشهادة"، إذ استخدم الشاعر أسلوب الحوار لإكمال بناء الصورة من الناحية الفنية:

مجزوء الكامل

بين المواهب والشهادة قامت على قدم مشادة
كلتاهما تبغي السيادة في الحياة بلا هوادة
الشهادة: من يبارز إنني أخت المجدِّ أنا العميدة
قد لجّ في طلبي الشباب ولم تنل مثلي بليدة
المواهب: إن تفخري فالفخر حقك أنت في الدنيا مجيدة
لكن نسيت بأنني أصل وأنت هنا جديدة[1]

لقد استخدم برهان الدين العبوشي تقنية بناء الصورة الكلية بناء دراميا عن طريق الحوار في كثير من قصائده، بحيث تقترب القصيدة من المشاهد المسرحية، ومن هذه القصائد "تتويج الملك فيصل رسميا"، حيث ترى مجموعة من الفتيات شيخا مقبلا من بعيد:

المتدارك

البنت: من ذاك ؟ أرى شبحا يدنو
(البنات يهرعن صوبها ليرين الشبح)
البنت: يبدو كالكوكب في الحلك
الشيخ: أنا صقر قريش يا بنتاه
البنت بدهشة: وفيم هبطت من الفلك
الشيخ: لأشهد تاج العز يش ع هناك على فرق الملك
البنت الثانية: قل ما تحمل في يمناك؟
الشيخ: كتاب البشرى للعرب
البنت الثالثة: ممن؟

[1] **نفسه**، ص95-96.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشيخ: مــن سيدنــا الهــادي لحفيد محمد ذي الحسب

خلفت الجنــة في عرس والعرش تهلل عن كثب[1]

يقدم العبوشي في هذا الحوار صورة كلية تتفاعل من خلالها الفتيات بالمستقبل من خلال استلام الملك فيصل رسميا العرش في العراق، والشاعر من خلال سلاح الكلمة الحواريــة فــي القصيدة يلفت نظر المتلقين إلى الأحداث من خلال الحوار بين الفتيات والشيخ.

كما استخدم العبوشي بناء الصورة الفنية من خلال البناء التوقيعي؛ أي أن القصيدة تمثل عند العبوشي فكرة واحدة قصيرة واضحة، واستخدام لفظة التوقيع هنا للدلالة على قصر القصيدة وحملها كرة أو انطباعا محددا، ومن الصور الفنية التوقيعية عند العبوشي "بطاقة عيد":

الكامل

لا عيــد للمفجــوع فــي اســتقلاله فــإذا اســتقلّ فكــلّ يــوم عيــد[2]

فالصورة مكونة من بيت شعري واحد، إلا أنها تحمل دلالات كثيرة وكبيرة، فــالاحتلال يشكل مأساة حقيقية للإنسان الفلسطيني بكل المقاييس، فإذا زال الاحتلال فكل يوم يعد عيدا، إذ لا معنى للعيد تحت الاحتلال، ووصف الاستعمار بالفاجعة تحل علــى الــوطن. ومــن توقيعاتــه الاجتماعية قوله:

البسيط

بيــت المعلــم واهٍ لا أســاس لــه على الطباشــير يرســو لا التباشــير[3]

فالصورة هنا مكونة من بيت شعري واحد، المعلم الذي يحترق ليضيء الدرب للأمة، لا يقف اجتماعيا على أرض صلبة، وضعه المادي مأساوي للغاية، وانتزع العبوشي الصورة مــن واقع التعليم، فاستخدم لفظة "الطباشير" وهي كالهباء المنثور، لكن العبوشي أضاف لهذا البيــت أبياتا أخرى فأصبحت قصيدة وعنونها ب"بيت المعلم"[4].

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص92-93.

[2] **نفسه**، ص74.

[3] **نفسه**، ص74.

[4] انظر: **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص253.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعد الصور التقريرية أكثر أنواع الصور استخداما في أعمال العبوشي الأدبية، لكن ذلك لا يعني عدم ميله إلى الكناية، فمن أنواع الكناية التي استخدمها العبوشي في أعماله الأدبية الكناية الإشارية "وهي نوع من الصور الكنائية يتميز بقلة وسائطه، وبعده عن الغموض" [1]، ومن ذلك قول برهان الدين العبوشي في قصيدة "بيسان قبل ضياعها":

الكامل

فيك البهاليل الميامين الأُلى قد دوّخوا الدنيا بحدّ سنان[2]

فجملة "قد دوخوا الدنيا" فيها إشارة إلى ما كان فيه العرب من عزة وقوة وعظمة، يقارعون الأعداء ويلقنونهم أقسى الدروس، وهذا ما رفع من شأن أمة العرب والإسلام فوق كل الأمم، ومن ذلك قول العبوشي في قصيدة "المصريات":

الطويل

إلى بلد فاضت أياديه بالندى على أمة شادت فسادت على الدهر[3]

فجملة "فاضت أياديه بالندى" فيها إشارة إلى الصفات العظيمة التي تميزت بها مصر من كرم وعطاء، ومساندة لكل البلاد العربية بالإمكانات المتاحة.

---

[1] **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص139.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص55.

[3] **نفسه**، ص110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: الموسيقا

"لا يختلف نقاد الأدب ودارسوه على أن الموسيقا في الشعر من أهم عناصره، ولعل الوزن والقافية هما أكثر عناصر الموسيقا أهمية في الشعر، وإذا كانت عناصر الموسيقا تتعدد لتشمل الجناس في الشعر، إلا أنه يظل للوزن والقافية مكانة خاصة"[1]، و"إذا كان للّفظة المفردة نغمة موسيقية محدودة، فإنها أوضح في البناء المتكامل للعبارة... للبيت... للقصيدة كمعزوفة واحدة تتآلف فيها الألفاظ تآلفا موسيقيا"[2]، فالموسيقا عبارة عن "مجموعة أصوات متناغمة، تتفاعل في نسق منتظم، لتنقل الانفعالات الداخلية للمبدع، وتعمل على استثارة الإحساس لدى المتلقي من خلال مخاطبة روحه وعقله، ونقله إلى أجواء النص"[3].

تلعب الموسيقا دورا رئيسا في البناء العام للقصيدة، فدورها لا يقل عن دور الصورة الفنية، والموسيقا وسيلة إضافية من وسائل اللغة يستطيع الشاعر من خلالها أن يعبر عما عجز عن التعبير عنه بالكلمات، ويختلف الشعراء فيما بينهم في القدرة على توفير الأجواء الموسيقية في قصائدهم حسب مقدرتهم الشعرية، وحالاتهم النفسية، والأوضاع التي يعيشونها.

تقسم موسيقا القصيدة إلى قسمين هما: الموسيقا الخارجية التي يحكمها العروض وحده، وتعنى بالوزن والقافية، والموسيقا الداخلية، وتحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظم المجردين، وأكثر ما تتمثل بالإيقاع الداخلي للكلمات[4]، كما تعنى الموسيقا الداخلية بالتناغم بين الحروف.

المطلب الأول: الموسيقا الخارجية

يهتم برهان الدين العبوشي بالموسيقا الخارجية اهتماما كبيرا، فهو من أتباع المدرسة الكلاسيكية التي تولي اهتماما كبيرا للقصيدة في الشكل والمحتوى، فجاء إنتاجه خطابيا تقريريا

---

[1] أبو أصبع، صالح، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي 1948-1975م**، ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص217.

[2] **كمال ناصر الشاعر والأديب والسياسي**، ص505.

[3] **عبد اللطيف عقل شاعرا**، ص183.

[4] انظر: ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط10، دار المعارف، القاهرة، ص78.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعنى برتابة النغم، وعمودية القصيدة، ووحدة البيت، ويعنى بالصياغة اللفظية عناية فائقة، ويهدف إلى إثارة الإعجاب والطرب، كل ذلك تأثرا بديباجة الشعر العباسي أولا، وبغنائية أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ثانيا.[1]

إن الموسيقا عند العبوشي تكرار لما يختلج في نفسه من انفعالات، لذلك نلحظ تغير الأوزان والقوافي في قصائده لتلبية مستوى الانفعالات التي يمر بها الشاعر، ما يجعل قصائده مرآة تبرز طبيعتة النفسية التي يمر بها.

فعندما ينظم قصيدة يصف فيها ربوع البلاد فإنه يستخدم قافية سهلة سلسة تبعث على الراحة والطمأنينة، تشوبها لمسة حزن على تلك الربوع التي أضحت ملكا لأعداء البلاد، ما دفعه لاستخدام التصريع في مطلع القصيدة ليثير الانتباه:

الوافر

تنـــاهى فـــي الحنـــان إليـــك نفســـي لأنـــك أنـــت أفراحـــي وأنســـي
أحبـــك مـــن صـــميم القلـــب حبـــا يثيـــر النـــار فـــي قلبـــي وحســـي
فإنـــك مقلتـــي وشـــعاع فكـــري وبلســـم مهجتـــي ومـــداد طرســـي[2]

وما زاد القافية جمالا العطف الذي قبلها، فقد عطف أفراحي على أنسي، وعطف قلبي على حسي، وعطف مهجتي على طرسي، فصوت الياء مع قافية السين المبنية على الكسر يبعث على الانسجام والتآلف.

لقد شكلت الموسيقا في شعر برهان الدين العبوشي ظاهرة واضحة تكاد تكون خاصة، حيث عبّر بوساطة الموسيقا الشعرية عما يجول في خاطره، لذلك نلاحظ الموسيقا الهادئة عندما يصف ربوع بلاده وينابيعها وزهرها ومروجها، ونلاحظ الموسيقا الصاخبة عندما يتطرق للمواضيع الوطنية والقومية، حيث الدفقة الشعورية التي تترجمها القافية حمما شعرية يصبها

---

[1] انظر: **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص156-157.

[2] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص133.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على رؤوس الأعداء، حيث يصرخ برهان الدين العبوشي منبها العرب من لجان التحقيق الأجنبية، ومحذرا من شرّها:

الطويل

بني أمتي هبوا مــن النــوم واعملــوا فإن دواعي الشــر فــي الأرض تســرع
ومـــا لجنـــة التحقيـــق إلا خديعـــة وضرب مــن الكفــر السياســي يخــدع
متى كان نور الشمس يحتــاج لجنــة تؤكده والشــمس فــي الأفــق تطلــع[1]

فاستعمال الشاعر لقافية العين يضفي على القصيدة موسيقا صاخبة، سيما وأنه يحذر من خطر لجان التحقيق، وما يدعم صخب الموسيقا في القافية أن الشاعر يكثر من استعمال أفعال الأمر "هبوا- اعملوا"، ثم يكثف من استخدام الأصوات الصاخبة في السمع في الأبيات، مثل: العين، والضاد، والقاف.

إن جلّ قصائد برهان الدين العبوشي جاءت لتعبر عن خلجات قلبه، وما يعتصره من آمال وآلام، فقد توفر في شعره تناسق المقاطع الصوتية، فموسيقاه تسير بهدوء وانسياب أحيانا، وبصخب عال غالبا حسب الموضوع الذي يطرقه.

يعد برهان الدين العبوشي من أتباع الاتجاه الاتباعي- الكلاسيكي- التقليدي في أوزانه وقوافيه، فقد ظهر هذا الاتجاه في الشعر الفلسطيني في مطلع القرن العشرين، وقد سار العبوشي على هذا النمط في أوزانه وقوافيه، وممن تأثر بهذا الاتجاه كذلك إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، ومحمد العدناني...[2] ومن قصائد برهان الدين العبوشي التي تبرز فيها سمات الاتجاه الإتباعي قصيدة "الشاعر الصريع" وهي في رثاء الشاعر إبراهيم طوقان:

الطويل

خبا نور إبــراهيم جســما ولــم يــزل بذكراه حيــا لا يغيــب عــن الصــحب

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص166.

[2] انظر: **الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر**، 162.
الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص156.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترتل مــن أشــعاره الغيــد إن ســجى دجى الليل أو حن الحبيب إلــى الحــب
ومن مثل إبراهيم في البــأس والنــدى ومن مثل إبراهيم في الــروح واللــب[1]

ففي هذه القصيدة من سمات الاتجاه الاتباعي ما يغني، منها وحدة الوزن والقافية والموضوع والخيال، والتأثر بالشعراء الأقدمين في الرثاء.

نظم برهان الدين العبوشي أغلب شعره على النهج التقليدي القديم من حيث الوزن والقافية والروي ووحدة البحر، وقد صبّت أساليبه الشعرية في خمسة قوالب هي:

- وحدة الوزن والقافية: لقد التزم برهان الدين العبوشي في معظم شعره بوحدة الوزن والقافية، جريا على نظام القصيدة العربية القديمة، فجلّ شعر العبوشي سار على النهج الاتباعي بالتزام روي واحد على امتداد القصيدة كلها، ومن ذلك قصيدة: "نور مكة"[2]، وهي تقع في ستة وأربعين بيتا، على قافية الميم:

الوافر

رســـول حولـــه صـــحب كـــرام وأبطـــال علـــى المـــوت الـــزؤام
وأنصـــار إذا غضـــبوا تولـــت جيـــوش المشـــركين إلـــى انهـــزام
فلـــي عنـــد (البقيـــع) شـــهود حـــق فجـــددهم وكـــن مســـك الختـــام[3]

حيث جاءت هذه القصيدة بروي واحد وهو حرف (الميم)، وقد جمعت في ردفها حرف (الألف) مع حرف الميم رويا، حيث يتحقق الإيقاع الموسيقي بالتزام الشاعر بوحدة القافية.

- القافية المنوعة: حيث قسم العبوشي بعض القصائد إلى مقطوعات تتناول كل مقطوعة فكرة، وجعل لكل مقطوعة قافية، مع التزامه بوحدة الوزن الشعري، وفي هذا القالب صبت طائفة من قصائد العبوشي، وهي أقل من قصائد القالب الأول، ومنها قصيدة، "فيم افتخارك"[4]:

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص121.
[2] **نفسه**، ص294-296.
[3] **نفسه**، ص296.
[4] **نفسه**، ص75-80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجزوء الكامل

فـــــيم افتخـــــارك بـــــالنبي وأنـــت منـــه علـــى نقـــيض
تلهـــــو وتلعـــــب كالصـــــبي وأنـــت فـــي وطـــن مـــريض

***

فـــــيم انتســـــابك للحبيـــــب ولـــــم تقـــــم للعلـــــم دارا
وزهـــــوت بـــــالثوب القشـــــيب ومـــــا منحـــــت فتـــــى دثـــــارا[1]

- الموشحات: يعد إبراهيم طوقان من رواد الموشح في الشعر الفلسطيني المعاصر[2]، وتبعه في هذا الأسلوب برهان الدين العبوشي، ومن الموشحات التي أبدع فيها العبوشي قصيدة "أيها المرج":

المديد

أيهـــا البـــاكي علـــى أطلالـــه اسكب الـــدمع فـــذا الـــدمع نفـــيس
كـــل مـــن عـــق حمـــى أشـــباله عاش في دنيـــاه مـــذموما خســـيس

يا قنـــاة المجـــد هاتـــي
بالهنـــا كـــأس الممـــات
قـــد يئسنـــا من حيـــاة
كـــل ما فيهـــا مـــريب[3]

- المربعات والمخمسات: وقد تمثلت في الأناشيد التي تناسقت مع موضوعات الشعراء وأفكارهم، وتنوعت من حيث الهدوء والصخب بحسب الموضوع، فكانت حلوة الرنين، عذبة النغم، شجية التأثير، ومن المربعات قوله في قصيدة "لاجئ وا أختاه":

الرمل

هـــاتف البيـــداء يشـــدو جزعـــا صـــوته أبكـــى صـــخور الجبـــل
شـــفّه مـــا شـــفّ قلبـــي فـــدعا يـــا إلهـــي قـــد تـــداعى أملـــي

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص75–76.

[2] انظر: عباس، إحسان، **نظرة في شعر إبراهيم طوقان**، ص211.

[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

***

سار في العيش كئيبا في الـدجى يائسـا مـن ربعـه المحتضـر
ظن في المـوت سـعودا ورجـا وخلاصـا مـن شـقا منتظـر[1]

ومن المخمسات قول العبوشي في قصيدة: "أنا قومي":

الرمل

أنـا قـومي وقـومي أنـا
أنـا قـومي وقـومي أنـا لا شـعوبي ولا أرضـي الخنـا
لا أبالي كـم ألاقـي مـن ضـنا فـي سـبيل الله فـالحق المنـى
أنـا قـومي وقـومي أنـا[2]

لقد غلبت الأبحر ذات التفعيلات الطويلة على باقي البحور الشعرية عند العبوشي؛ وسرّ ذلك أن هذه الأبحر تصلح للإلقاء والإنشاد في المجامع والندوات، والمهرجانات والاحتفالات، لما فيها من الدلالة على الاستثارة والبطولة، وطول النفس الشعري، وكذلك "لأن هذه البحور تناسب الحماسة والفخر وإشعال الصدور وإلهاب النفوس"[3]، أما عندما ينظم الشعر الديني فإن البحور الرقيقة تكون سيدة شعره، ما يدل على عاطفة دينية جياشة مدفونة في صدره، يخرجها من خلال شعره.

يعد برهان الدين العبوشي شاعرا غنائيا بامتياز، فنراه ينظم الشعر الغنائي في مواضيع وطنية، وقومية، ودينية... ومن قصائده التي تبرز فيها النزعة الغنائية "نشيد الزحف" الذي كلفته بنظمه لجنة التوجيه الوطني في أربعينيات القرن المنصرم:

مجزوء الخفيف

طلـع الصـبح فاسـتفق ودعـا المجـد فاسـتبق
جـدد العهـد وامتشـق صـارم العـز وانطلـق

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص206.
[2] **نفسه**، ص319-320.
[3] **الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من 1917-1955م**، ص345.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قـــد دنـــا نصـــرنا فقـــم ... للقتـــــــــــــــال
قدســـــنا كعبـــــة الأمـــــم ... لا تنـــــــــــــــال
نفتـــــــــديها بـــــــــدم ... كالخضـــــــــــــــم
كلنـــــــــا فـــــــــدى ... نعشـــــــــق الـــــــــردى
إن بغـــــــــى العـــــــــدى ... نحـــــــــن للـــــــــوطن[1]

ففي هذه القصيدة لم يلتزم العبوشي قافية واحدة، بل خرج على أصول القافية التقليدية، وجدد في طريقة عرض النشيد، ما أكسبه رنة موسيقية لائقة مقبولة مثيرة للمتلقي.

والعبوشي في شعره الخطابي أكثر اهتماما بالموسيقا الشعرية، فهي السر الذي يجذب المستمعين إلى قصائده، سيما أن معظم قصائده تعد أشعار مناسبات، أي أنه يلقيها شفاها على مسمع من الجمهور ومرأى، كما في قصيدة "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":

البسيط

أبعـــدما جـــرتم واشـــتط حـــاكمكم ... جئـــتم تريـــدوننا أهـــلا وخلانـــا
أبعـــدما بعـــتم صـــهيون حرمتنـــا ... وعرضـــنا تبتغـــون العـــرب إخوانـــا
لا كانـــت العـــرب إن مـــدت لكـــم يـــدها ... بغيـــر ســـيف تجلـــت فيـــه أخرانـــا[2]

في هذه القصيدة لعبت القافية دورا أساسيا، وقد استمدت القافية رونقها من اجتماع ألفي الإطلاق والردف معا، علما أن ألف الإطلاق وحدها كفيلة بإحداث الموسيقا المميزة في القصيدة، إضافة إلى انقسام كل بيت إلى شطرين متساويين ما حقق فواصل موسيقية متساوية، وقد التزم العبوشي في هذه القصيدة بقافية واحدة ما زاد من طول النفس في مقاومة طلب الإنجليز من العرب أن يمدوا لهم يد العون ضد هتلر.

وفيما يلي جدول بأهم بحور الشعر التي نظم العبوشي شعره الغنائي والمسرحي عليها:

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص122-123.
[2] **نفسه**، ص119.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

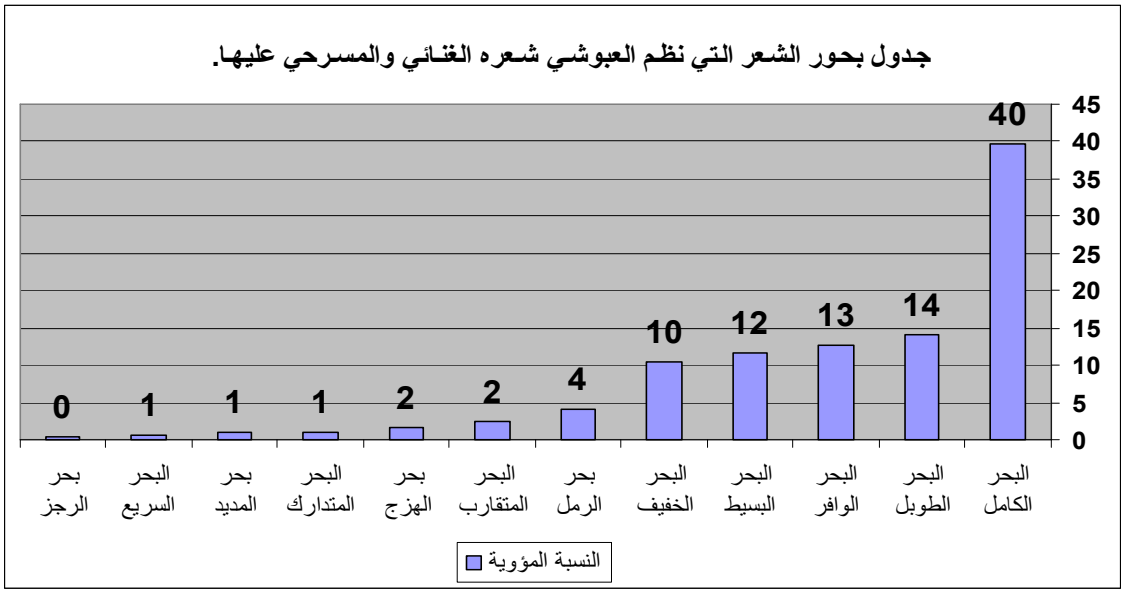

والسبب في ذلك عائد إلى أن الشعر الوطني الفلسطيني شعر خطابيّ منبريّ بالدرجة الأولى، يتطلب إلهاب حماس الجماهير، وشحذ هممهم، وقد تطلب هذا موسيقا ذات رنين صاخب، ونبرة عالية، فكان الكامل من لبّى هذه الرغبة[1]، ذلك أنه " أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون من الموسيقا يجعله فخما جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر"[2].

هذا إضافة إلى أن العبوشي استعمل الحروف الرطبة في روي قصائده، كقافية الباء والدال والراء واللام والنون والميم، على غرار فحول الشعراء، واستبعد الحروف الثقيلة كقافية الشين والضاد والذال.

المطلب الثاني: الموسيقا الداخلية

"وهي ترجيع منظم في حروف الكلمات داخل البيت الشعري الواحد، أو الأبيات، ولا يهمنا أن تكون مواضع الترجيع متقاربة أو متباعدة، وإنما يهمنا أن تكون متناغمة وخاضعة لتنسيق منظم"[3] ولا تتحقق الموسيقا الداخلية من اللفظ بعينه، بل تتحقق من خلال السياق الذي تقع فيه، وما يميز الموسيقا الداخلية حسن التقسيم، يقول العبوشي في قصيدة " الحية":

---

[1] انظر: **برهان الدين العبوشي**، ص13.

[2] الطيب، عبد الله، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ص2، دار الفكر، بيروت، 1970، ص246.

[3] الراعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1999م، ص235.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكامل

لـــم أعطهـــا درب الســـلامة فانثنـــت فرميتهـــا حجـــرا مـــن الصـــوان
فتحفـــــزت فرميتهـــــا فتواثبـــــت لتعضـــــني فلقيتهـــــا بجنـــــاني
وركلتهـــــا فتشـــــبثت فـــــدفعتها فتخاذلـــــت وقتلتهـــــا ببنـــــاني[1]

لقد تضافرت في هذه الأبيات عناصر موسيقية متعددة ما أكسب النص رونقا مميزا؛ منها حسن تقسيم العبارات "فتحفزت فرميتها"، و"فتواثبت فلقيتها"، و" فركلتها فتشبثت"، و"دفعتها فتخاذلت"، وكذلك عنصر الحركة الدرامية المتوالية والسريعة.

ومن أهم الأساليب التي اعتمد برهان الدين العبوشي عليها لإضفاء لمسة موسيقية مميزة أسلوب التكرار، ومن ذلك تكرار صوت النون، وهو صوت مريح للنفس، يبعث على الراحة والهدوء والاسترخاء، ومن أمثلة ذلك قصيدة "البلبل":

الرمل

أنت يـــا بلبـــل مثلـــي فـــي النـــوى غيـــر أنـــي شـــاعر والشـــعر يجنـــي
أنـــت تشـــجينا وتحيـــي روحنـــا لست ترجو فـــي الغنـــى أجـــر المغنـــي
أنـــت تحيـــي النـــاس والنـــاس أذى يظلمـــون الطيـــر فـــي حبـــل وســـجن
أنـــت خيـــر ألـــف خيـــر مـــن أخ وابـــن عـــم مســـتبد مـــرجحن[2]

إن تكرار صوت النون هنا قد أكسب الإيقاع الفني للقصيدة تميزا وتأثيرا في المتلقي، فصوت النون ينسجم بقدر كبير مع صوت البلبل، إضافة إلى أنه يعبر بشكل واضح عن نفسية الشاعر.

وما عزز من الموسيقا الداخلية تكرار الألفاظ، حيث يجذب اللفظ المكرر انتباه المتلقي وكأنه لازمة القصيدة، "فتكرار لفظ معين يساهم في تعميق الإيقاع الداخلي، ويخلق جوا نغميا ممتعا تنجذب إليه أذن المتلقي"[3]، ومن ذلك قوله في قصيدة "يا بغداد":

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص264.

[2] **نفسه** ص263.

[3] منصور، عز الدين، **دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر**، بيروت، مؤسسة المعـــارف للطباعـــة والنشر، 1985م، ص63-64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجزوء الكامل

جئنـــاك ننشـــد فيـــك يـــا بغـــداد أحلامـــا ورشـــدا
جئنـــاك والأكبـــاد تســـب قنـــا مـــدى الصـــحراء جـــردا
جئنـــاك والغـــرب المذبـــذب شـــاحذ للعـــرب حَـــدّا[1]

فقد كرر الشاعر الفعل "جئناك" للدلالة على اللهفة والشوق للوصول إلى بغداد، فقد كان الشاعر قد تحرر من سجن "المزرعة" حديثا، وهو ينتظر بلهفة وشوق الوصول إلى بغداد، فالتكرار هنا يعبر عن طبيعة الشاعر النفسية المتشوقة لوصول بغداد.

ومن التكرار الموسيقي في شعر العبوشي؛ تكرار العبارة، فهو يحقق الهدف الإيقاعي، ويؤكد المعنى المكرر، ومن ذلك قوله في مسرحية "شبح الأندلس":

المتقارب

فهـــذا يقـــول أنـــا مصـــعبي أأرضـــى المســـير بصـــف شـــهاب
وهـــذا يقـــول غلامـــي رقيـــق أيلـــبس للحـــرب صـــفر الثيـــاب
وهـــذا يقـــول أخـــاف الوظيفـــة تهـــرب منـــي ويـــا للخـــراب
وهـــذا يغنـــي أنـــا ابـــن جـــلاء وهـــذا يغنـــي الهـــوى والشـــباب[2]

لقد كرر برهان الدين العبوشي عبارة "هذا يقول" لينقل نغما موسيقيا داخليا متواصلا، يوحي بطبيعة الحوار الذي يدور بين المتحاورين.

كما يساهم الجناس في تصعيد القيمة الموسيقية في القصيدة، كيف لا، وهو يترافق في نفس البيت مع التصريع:

المتقارب

بـــلادي إليـــك العـــذاب المـــذاب بصـــفحة عمـــري وهـــذا الكتـــاب[3]

لاحظ الانسجام بين "العذاب المذاب"، وكذلك التصريع بين "المذاب الكتاب".

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص60.
[2] **نفسه**، ص478.
[3] **نفسه**، ص425.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: التناص

يعد مصطلح التناص من المصطلحات حديثة النشأة في الدراسات الأدبية والنقدية، ومن الجدير ذكره أن الناقد "ميخائيل باختين" هو أول من حلّل ظاهرة التناص دون ذكر المصطلح، ثم تبعته "جوليا كرستيفا" فاستعملت مصطلح التناص في كتاباتها، وعرفت التناص بأنه "لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، فكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"[1]، والتناص علم موضوعه النص "إنه حقل منهجي لا وجود له إلا داخل خطاب لغوي مكتوب"[2].

فالتناص ارتباط بين النص الحديث الذي يبدعه الأديب، مع نصوص أخرى سابقة، سواء أكان هذا الارتباط واضحا، أو تلميحا، أو متضمنا، حيث يرى أحمد الزعبي أن التناص: "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه، ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[3].

بما أن الشعر نسيج – كما ذكر الجاحظ– فإن الشاعر عندما ينسج قصيدته فإنه يستحضر مخزونه الفكري والثقافي لغة وتعبيرا، فيوظف منها ما يجعل نصه متألقا، ولتنوع التناص في شعر برهان الدين العبوشي رأى الباحث أن يقسمه إلى أنواع متعددة:

- التناص الديني. – التناص التاريخي.– التناص الأدبي. – التناص الذاتي.

التناص الديني:

يعد القرآن الكريم مصدر التراث الديني، وينبوع الفكر الإسلامي، وقد كان وما زال معينا ثريا للفصاحة والبلاغة والبيان، وموردا عذبا يستزيد منه الأدباء في كل زمان ومكان، ويفيدون منه لإغناء إبداعاتهم، وإضفاء الجمال الفني عليها، وتعميق تجاربهم الشعرية.[4]

---

[1] الغذامي، عبد الله، **الخطيئة والتكفير**، النادي الأدبي الثقافي، ط1، جدة، 1985م، ص222.

[2] الماضي، شكري عزيز، **في نظرية الأدب**، بيروت، دار المنتخب العربي، 1993م، ص194.

[3] الزعبي، أحمد، **التناص نظريا وتطبيقا**، مكتبة الكتاني، ط1، اربد، 1995م، ص1.

[4] انظر: الياسين، إبراهيم منصور، **استيحاء التراث في الشعر الأندلسي**، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2006م، ص17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتداخل النصوص الدينية مع أعمال برهان الدين العبوشي ما يدل على ثقافة دينية واسعة، حيث يعد القرآن الكريم رافدا مهما من روافد أعمال العبوشي الأدبية، بل هو أهم الروافد الدينية. فنراه يقتبس صياغات جديدة من آيات القرآن الكريم، تنقل أكبر قدر ممكن من المعاناة والإحساس[1]، فقد لجأ العبوشي إلى إثراء نصوصه الأدبية بمادة مستوحاة من القرآن الكريم، آياته، وقصصه، ومعانيه وعبره، وإيحاءات الآيات القرآنية، إضافة إلى أسماء الرسل، وأسماء السور القرآنية ...

ويقسم التناص مع القرآن الكريم إلى قسمين: أولهما الاقتباس الكامل لآية بنصها، مع إعادة ترتيب المفردات وفقا لمتطلبات القصيدة الشعرية، وأحيانا اقتباس الآية كاملة بنصها دون تغيير وذلك في المسرحيات الشعرية والمذكرات الشخصية، وثانيهما اقتباس معاني آية معينة من الآيات الكريمة مع إبقاء دوال على الآية كإبقاء كلمة.

يقوم العبوشي في تناصه مع القرآن الكريم على تحوير الآيات لتتناسب مع المعاني المقصودة، ومن ذلك قوله في قصيدة "تعالوا":

الطويل

إذا ما قلى الأوطان قومي وودعوا فما ودّع الأوطان ربي وما قلى[2]

فقد استخدم العبوشي آية "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى"[3]، وجعل من النص القرآني مادة مغذية لنصه ما أكسب النص الجديد جمالا وروعة. يقول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

واخفض جناح الذل للوطن الذي رَوّاك من أكوابه ورضابه[4]

---

[1] انظر: جيدة، عبد الحميد، **الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر**، بيروت، مؤسسة نوفل، 1980م، ص66.

[2] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص45.

[3] **الضحى**، آية 3.

[4] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد تأثر الشاعر بقوله تعالى "وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً"[1]، فقد عدّ الشاعر الوطن بمثابة الوالدين، يجب أن يتحلى المرء بالاحترام أثناء وجوده في حضرته. ويقول العبوشي في قصيدة "الملك غازي الأول":

الكامل

فغـــد عبـــوسٌ قمطريـــرٌ لـــم يـــدع للناشـــئين ســـوى شـــباة مهنـــد[2]

الغد صعب شديد عبوس، فماذا سيعد له الشباب؟ يستلهم الشاعر هذا المعنى من قوله تعالى "إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً"[3].

كذلك يظهر تأثر العبوشي بقوله تعالى من سورة الأنفال" وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"[4]، حيث يقول العبوشي:

الكامل

اعْـــدُدْ لهـــم والله يأمرنـــا بـــه مـــن قـــوة واســـلك ســـبيل عِظاتـــه[5]

فالعبوشي هنا يقتبس المعنى القرآني، ويصوغه بطريقته الخاصة مع الإبقاء على دالة وهي "من قوة".

إن للقرآن الكريم دقّة خاصّة في انتقاء الألفاظ وتخيرها، ووضعها في سياق يبلغ من الفصاحة والبيان أعلى الدرجات، ومن هذا المنطلق لجأ العبوشي إلى استيحاء ألفاظ من القرآن الكريم، فاقتبسها من نصها وركبها في نص جديد لتؤدي نفس المعنى "فاللفظة القرآنية في أغلب الأحيان ناطقة مصورة بمعناها موحية"[6]، يقول العبوشي في مسرحية "الفداء":

---

[1] **الإسراء**، آية 24.

[2] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص59.

[3] **الإنسان**، آية 10.

[4] **الأنفال**، آية 60.

[5] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص319.

[6] قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن الكريم**، بيروت، دار الشروق، 1979م، ص92.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوافر

أنتـــرك أرضـــنا الخضـــراء قســـرا تعـــذّبها يـــد النـــذل الـــزنيم[1]

فالزنيم هنا تعني الملصق بالقوم، أو الدعي الذي ليس منهم[2]، وهذا المعنى هو ما أراده العبوشي بحذافيره، فاليهود لقطاء ليس لهم أصل في هذه البلاد، وهذا المعنى اقتبسه العبوشي من قوله تعالى "عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ" [3].

ومن تناصه الديني تضمين شعري على وزن واحد وقافية واحدة لأسماء سور القرآن الكريم كاملا، فقد طرب العبوشي بهذا التضمين سيما أنه يتصل بنور السور القرآنية مجتمعة:

الوافر

القارعـــــــــــــــة والتكـــــــــــــــاثر

فقارعـــــة الإلـــــه أشـــــدّ فتكـــــا تـــــرى فيهـــا التكـــاثر عـــاد شـــرا

العصـــــــــــــــر والهمـــــــــــــــزة

وَصَـــلِّ العصـــر واتـــرك كـــل هَمْـــزٍ وإلا مـــت مثـــل الفيـــل عصـــرا

الفيـــل

تحـــدى الكعبـــة الغـــرّا فحامـــت أبابيـــل عليـــه رمتـــه جمـــرا

قـــريش

ولـــم تـــنهض لتحميـــه قـــريش فإن العـــرب نـــاموا تحـــت كســـرى[4]

لقد تناص برهان الدين العبوشي مع أسماء الرسل في شعره، ليدل على وحدة الشرائع السماوية، يقول في قصيدة "الإعدادية المركزية" مذكرا بالوظيفة التي يقوم بها الرسل:

الوافر

وهـــل غيـــر الكتـــاب جـــلا الليـــالي وقبـــل الحـــرف كـــان العقـــل بـــورا

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص577.

[2] انظر: جبر، أيمن عبد العزيز، **روائع البيان لمعاني القران**، دار الأرقم، عمان، ط1، ص564.

[3] **القلم**، آية 13.

[4] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص285.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بـــه موســـى فعيســـى ثـــم طـــه أمـــاتوا الكفـــر واقتلعـــوا الفجـــورا[1]

وفي قصيدة "الله جل جلاله" أبدع برهان العبوشي في تناصه الديني، فقد أعاد تشكيل عدة آيات قرآنية من سور مختلفة في نص واحد، فالفن يبلغ الذروة عندما يتناص فيه الشكل مع المضمون، فالإخراج الفني هو الذي يرفع من قيمة الموضوع[2]، حيث يقول العبوشي:

مجزوء الكامل

الله مولانـــــــــا أحـــــــــدْ رفـــــع الســـــماء بـــــلا عَمَـــــدْ
متنـــــــــزه ســـــــــبحانه عـــــن كـــــل أم أو ولـــــد
صَـــــمَدٌ تكَفـــــل خلقـــــه بـــــالرزق أعظـــــمْ بالصـــــمد
مَـــــرَجَ البحـــــار وصـــــانا فـــــي الأرض مـــــن جـــــزر ومـــــد
والنهـــــر فجـــــره وأرســـــى الراســـــيات لهـــــا وتـــــد
والفلـــــك تجـــــري مـــــثقلات طافيـــــات فـــــي الزبـــــد
والـــــريح أرســـــلها لَـــــواقحَ والســـــحابة والبَـــــرَدْ
فتـــــرى بـــــه حَـــــبَّ الحصـــــيد نمـــــا فيفـــــرح مَـــــنْ حصـــــد[3]

لقد استوحى برهان الدين العبوشي فكرة كل بيت من هذه الأبيات من آية كريمة، وأبقى على كل آية لفظة دالة، فالبيت الأول مستوحى من قوله تعالى" قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ"[4]، والثاني من قوله تعالى "لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ"[5]، والثالث من قوله تعالى "ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ"[6]، والرابع من قوله تعالى "مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ"[7]، والخامس من قوله تعالى "وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا"[8]، والسادس من قوله تعالى "وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلأَنْهَارَ"[9]، والسابع من قوله تعالى:

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص316.
[2] انظر: رحماني، أحمد، **الرؤيا والتشكيل في الأدب المعاصر**، القاهرة، مكتبة وهبة، 2004م، ص20.
[3] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص314.
[4] **الإخلاص**، آية1.
[5] **الإخلاص**، آية3.
[6] **الإخلاص**، آية2.
[7] **الرحمن**، آية19.
[8] **النازعات**، آية32.
[9] **إبراهيم**، آية 32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ"[1]، والثامن من قوله تعالى"وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبٰرَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ"[2].

وفي المسرحيات الشعرية يلجأ العبوشي على لسان بعض الشخصيات إلى اقتباس آيات قرآنية كاملة، لتكون جزءا من نصه المسرحي، ومن ذلك في مسرحية "الفداء" ما جاء على لسان سعيد يحث زملاءه على الصبر[3] "وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِٱللَّهِ"[4]، ثم يؤيده ضرار ويتلو قوله تعالى " إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ"[5]، ويرد عليهما هائل أنّ نتيجة الصبر النصر والنجاة "فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ، فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ"[6].

ومن التناص الديني كذلك استلهام المعاني من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد جاء على لسان سعيد في مسرحية "الفداء" قوله متناصا مع الحديث النبوي الشريف "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"[7]، وفي معرض الحديث بين سعيد وهائل وتماضر– من أشخاص مسرحية الفداء– تنصح تماضر الشباب أن يتدربوا ويخططوا، وأن لا يتسرعوا، ثم أن يهتموا بالسرية في العمل:

مجزوء الكامل

والســـــر صـــــونوه فكـــــاتم ســـــرّه دومـــــا ســـــعيد[8]

فيرد عليها ضرار بقوله: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان"[9].

---

[1] **الحجر**، آية22.

[2] **ق**، آية9.

[3] انظر: **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص570.

[4] **النحل**، اية127.

[5] **آل عمران**، اية140.

[6] **الأنبياء**، آية 87–88.

[7] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2052/4.

[8] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص 575.

[9] الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير**، الرياض، جمعية إحياء التـــراث الإســـلامي، 2000م، ص943.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونرى العبوشي في بعض أشعاره يستحضر بعض القصص والحوادث التي حصلت مع الرسول – صلى الله عليه وسلم– منها على سبيل المثال، حين وقف أبو طالب عم رسولنا محمد– صلى الله عليه وسلم– وأشراف قومه يفاوضونه في بداية دعوته بغرض ثنيه عن المضي قدما في الدعوة إلى الله ونشر رسالته التي أمره بها الله سبحانه وتعالى، وحاولوا إغراء الرسول – صلى الله عليه وسلم– بالمال والجاه والسلطان، فقال لهم عليه الصلاة والسلام "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظْهِرَه الله أو أهلك دونه"[1]، انطلق العبوشي من هذه الحادثة الدينية التاريخية ليقتدي بالرسول – صلى الله عليه وسلم– معلنا رفضه بيع شبر واحد من تراب الوطن، حتى لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله، فقال في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

والله لو جعلـوا الكواكـب فـي يـدي لنبـذتها تهـوي علـى أعتابـه[2]

لقد أظهرت لنا نصوص العبوشي الشعرية بعدا دينيا واضحا، واستيعابا عميقا لنصوص القرآن الكريم، وقد تمثل ذلك في استيعاب العبوشي للمفردات القرآنية وما تحمله من دلالات، وصهر تلك الدلالات في نصوصه الشعرية، ما يدل على ثقافة دينية واسعة.

التناص التاريخي

من مظاهر التواصل الحضاري لعروبة فلسطين تمسك أدبائها بتراثهم العربي والإسلامي، حيث تشكل الحضارة العربية الإسلامية واحدة من أهم الحضارات العالمية بما قدمته للبشرية من تجارب وعلوم. وتتألف ثقافة الفرد من جملة مرجعيات قولية أو فعلية، معنوية أو مادية، ترتبط بمدد زمنية متفاوتة، ومساحات مكانية متنوعة، سواء أكانت مرئية أم مسموعة أم غير ذلك، وكان لتناص الشعراء مع التاريخ جملة أسباب دفعتهم إلى الهروب بين مركزي الخط

[1] الحلبي، علي بن برهان الدين، **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1400 ه، 462/1.

[2] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزمني، الماضي بوصفه مرجعية حية في الأذهان، والمستقبل بوصفه واحة مظلمة لا ترى إلا برموز استرجاعية.[1]

فالشاعر يلجأ إلى استحضار المواقف والشخوص والأماكن التاريخية ليكسب تجربته الشعرية أبعادا جديدة، وليتخطى حاجز الزمن، فيعيد إلى الأذهان مكانا أو حادثة أو موقفا فيمزج بين الماضي والحاضر.

إن اختيار العبوشي للأماكن التاريخية والأشخاص لم يكن عشوائيا، بل اختار من الشخوص والأماكن ما يتوافق مع الفكرة التي يريد إيصالها إلى المتلقين، فوضع "بين يدي المتلقي عالمين، عالم قديم له قدسيته، ومعاصر له ضرورته" 2.

تعد الأندلس بالنسبة للعبوشي حقلا ثريا بالموضوعات والرموز، لما تستثيره في وجدان الأمتين العربية والإسلامية من دلالات كثيرة. فقد كان في الأندلس ملوك طوائف أهلكوا أنفسهم وطوائفهم باختلافهم، واحتربوا في سبيل الزعامة والتاج، فطوّح الإسبان بالعز العربي، فقد تقلص ظلّ الدولة الإسلامية في بني الأحمر، وها هو التاريخ يعيد نفسه "ويشبهها عندنا اليوم المثلث العربي، وما تبقى من جبال القدس والخليل وغزة"[3].

إنّ تناص العبوشي مع الأندلس كان لسبب رئيس وهو أخذ العبرة والعظة، لئلا تعود الكرّة، ويطرد العرب من أرضهم صاغرين، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، حيث يقول العبوشي في مقدمة مسرحية "شبح الأندلس": "وإن لم يبادر عرب هذه الدويلات إلى جمع الصفوف، وتجنيد الألوف، ونبذ الشقاق، وهجر النفاق، والعبرة بما حاق بعرب الأحمر واندثارهم، فإن الصيحة ستأخذهم جميعا"[4].

---

[1] انظر: البحراني، فاطمة جمعة، **التناص التاريخي**، مجلة (جريدة الفنون) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، كانون الثاني، يناير 2004 .عن موقع: www.doroob.com .

[2] قاسم، عدنان حسين، **التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية**، الكويت، مكتبة الفلاح، 1988م، ص193.

[3] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص428.

[4] **نفسه**، ص428.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهدف العبوشي واضح، وتناصه مع الأندلس لم يكن لجمال ربوعها، بل لينبه العرب شعوبا وملوكا وحكومات، إلى "أن ما نحن فيه من خلاف ونزاع يكفي بعضه لضياع فلسطين وبلاد العرب كما ضاعت الأندلس"[1]، ويمكن تصنيف عناصر حضور الأندلس في شعر برهان الدين العبوشي في حضور الأمكنة، وفي استدعاء الشخصيات التاريخية. ومن حضور الأمكنة في شعره قوله في قصيدة "الوطن المبيع" محذرا من الجلاء قبل أن يقع:

الكامل

يا ابـن الـبلاد وأنـت كـل رجائهـا يـوم الجـلاء اسـمع نعيـق غرابـه
مـا مَـسَّ أندلسـا يَمسُّـكَ مثلـه فابـذل لـه تلحَقْـه قبـل ذهابـه
وطـن حَـواك بحاضـنيه وقلبـه أضحى يُسام الخسف مـن أحبابـه[2]

لقد اقتصر العبوشي في حضور الأمكنة على الأندلس بمفهومها العام، ويعني مفهوم الأندلس في الأدب الفلسطيني؛ الضياع[3]، والمأساة والتشريد من الوطن، يشير برهان الدين العبوشي من خلال هذه الأبيات إلى أن ما حلّ ببلاد الأندلس سيحل ببلاد العرب إذا لم يوحدوا الجهود قبل فوات الأوان، ولا يستحضر اسم الأندلس فقط، بل يستحضر الدلالة الزمنية حيث يسام البلد الخسف من أحبابه، من ملوك الطوائف الذين أهلكوا بلاد الأندلس وسلموها إلى الإسبان.

ثم يعود العبوشي بمسحة من الحزن في قصيدة "كلنا مستعد" فيستحضر الغربة التي حلت بأهلنا في الأندلس، لكنه هذه المرة ينظم القصيدة على لحن أندلسي؛ ليقرب الصورة من زاوية أخرى:

غربتان غربة في البلاد أو هوان
للجبـان يا ربوع الجهاد بالأمان
إننـي لـن أعـود تحـت حكـم اليهـود

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص430.

[2] **نفسه**، ص51.

[3] انظر: الجعيدي، محمد عبد الله، **حضور الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث**، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الرابع، ابريل–يونيو، 2000م، ص29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فـــــــي ثنايـــــــا اللحـــــــود قلـــــــــب أم حنـــــــــون[1]

كما يستدعي العبوشي الشخصيات التي سكنت الأندلس، وساهمت في سقوطها وتسليمها إلى الأعداء، حيث يستدعي بني الأحمر آخر من حكم الأندلس من العرب المسلمين، يقول في مسرحية "شبح الأندلس":

الطويل

سلامٌ علـــيكم يـــا بنـــي الأحمـــر الألـــى أبيدوا فلـــم يرجـــوا الســـلامة والسِـــلما

وكأن "بني الأحمر" على علّاتهم، وما صار على أيديهم من سقوط آخر مدن الأندلس وهزيمتهم واندثارهم، أفضل من "بني يعرب" المدحورين والمهزومين إلى حد النكبة الكبرى في العام 1948، إنهم – أي بني الأحمر– من وجهة نظر الشاعر، لم يوقعوا على اتفاقية هدنة مع العدو، ولم يبحثوا عن السلامة، بعكس بعض العرب الذين فعلوا هذا كله مع "إسرائيل" والدول الاستعمارية ويؤكد الشاعر هذه الرؤية أكثر من مرة، وعلى لسان أكثر من شخص من شخوص مسرحيته[3]:

الطويل

بلادي سئمت العيش في القيد ليتنـــي يفك أساري أو أغيّـــب فـــي قبـــري
لقد برمت نفسي مـــن النـــاس كلهـــم وقد سئمت روحي الحياة على وزر[4]

إن علاقة الشاعر بالتاريخ تختلف عن علاقة المؤرخ به، فالشاعر لا يتعامل معه من منطلق كونه حقائق مجردة، وإنما يضفي عليه من ذاته وواقعه، وطبيعة الحالة النفسية التي دفعته إلى الاستعانة بجزء منه، والشاعر من خلال استيحائه أو استلهامه لموروثه التاريخي إنما يهدف إلى إثارة معان وصور في ذهن المتلقي يقرب بها المعاني التي يريدها.[5]

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص63.

[2] **نفسه**، ص499.

[3] **مقاربة إشكالية بين فلسطين والأنـــدلس**، للأستاذ علي الخليلي المنشورة في موقـــع " دار الخلـــيج " بتـــاريخ 26 / 9 /2004 www.alkhaleej.ae

[4] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص435.

[5] انظر: **استيحاء التراث في الشعر الأندلسي**، ص170.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد تمكن برهان الدين العبوشي من تطويع ثقافته التاريخية في خدمة شعره، وحرص على الاستشهاد بالماضي لتجاوز محن الحاضر وآلامه، فجذبه الحنين إلى الماضي العريق كلما ضاقت به الأمور، فتارة يذكر أسماء قادة المسلمين ليعزي النفوس ويواسيها، وتارة يذكر أسماء المعارك التي دحر فيها المسلمون -على قلة عددهم- أعداءهم، والأمثلة على ذلك كثيرة في شعر العبوشي، منها قوله في قصيدة "بني أمتي هبوا" حيث يستنجد بأرواح الأبطال أمثال صلاح الدين الأيوبي الذي أذاق الصليبيين في حطين سوء العذاب:

الطويل

أرى النار في حطين قد كاد جمرها يهـــيج ويـــذكيها كمـــيّ مقنّـــع
فلا تقنطي يا قـــدس فـــالعز مقبـــل وإنّ صلاح الدين في الشام يقبـــع
سيمشي إلى الشام الجنوبي فاتحـــا يمـــزق أحـــلام الفـــرنج ويفجـــع
دعـــوت رفـــات الفـــاتحين لأننـــي رأيت رجال العرب ماتوا وودَّعوا[1]

يستنجد العبوشي برفات الفاتحين؛ لأن العرب ماتت فيهم العزة والنخوة فتخلوا عن تحرير بيت المقدس من دنس اليهود الغاصبين.

ونرى العبوشي يستوحي التاريخ ممثلا بغزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام، من معركة بدر الكبرى إلى القادسية، ليؤكد أن انتصارات العرب الحديثة ما هي إلا امتداد للانتصارات التاريخية، وهو بذلك يعلي من شأن شباب الأمة العربية الذين شاركوا في المعارك ضد اليهود، يقول العبوشي في قصيدة "يا عرب":

مجزوء الكامل

ومـــن البطولـــة شـــعبنا العـــر بـــي سَـــل عنـــه القـــدر
أيـــام نســـبح بالـــدماء نخالهـــا بحـــرا هـــدر
أيـــام دق الفـــرس والرومـــان عاهلنـــا عمـــر

[1] فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص167.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فـــي القادســـية فـــي شـــريش شـــــبابنا العـــــرب انتصـــــر
حطـــين ســـلها عـــن صـــلاح الـــــدين تنبئـــــك الخبـــــر
إنّـــــا إذا مـــــال الزمـــــا ن بنـــا ســـنرجع مـــا غبـــر[1]

يستذكر العبوشي المعارك التاريخية ليرفع عزيمة الشباب المجاهد، ويعلي هممهم، فمعركة بدر كان عدد المسلمين فيها قليلا وانتصروا انتصارا مدوّيا لأنهم يحملون الإيمان والعزيمة في قلوبهم، يقول العبوشي في قصيدة "في المعتقل":

مجزوء الكامل

بـــدر ومـــا نصـــر الحقـــي قـــة يـــوم بـــدر بالبعيـــد
خمســـون منـــا قـــد تفـــو ز علـــى ذوي العـــدد العديـــد[2]

التناص الأدبي

تكشف أعمال برهان الدين العبوشي الأدبية عن علاقة حيّة بالموروث الأدبي ممثلا بشعر العرب منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث، حيث ينطلق العبوشي في استلهامه للنصوص الأدبية التراثية من منطلق الإيمان العميق بالحضارة العربية والإسلامية، وولع شديد بتراث الآباء والأجداد، واطّلاع واسع على الجذور العربية الأصيلة، حيث يعد التناص مع الشعر موردا هاما من موارد العبوشي الأدبية، كما يمثل ظهور الصوت الشعري القديم في أعمال العبوشي الأدبية لمحة أصالة وعراقة، ويكسب عمله طاقة تتحدى فارق الزمان والمكان، وهو في تناصه الأدبي يذكر الأصوات الشعرية التي تتفق مع الأفكار التي يريد توصيلها لجمهور المتلقين، وقد يكون التناص الأدبي مباشرا أو غير مباشر في أعمال العبوشي الأدبية.

فمن التناص الأدبي المباشر ذكر العبوشي لأبيات شعرية من تأليف شعراء آخرين في أثناء قصائده ومسرحياته، حيث توافق الفكرة العامة من الأبيات المقتبسة السياق الذي يرسمه

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص156.
[2] **نفسه**، ص139.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشاعر، وتكسبه نوعا من الأصالة، حيث يقول العبوشي في مسرحية "شبح الأندلس" على لسان "سليم" متناصا مع أبيات شعرية لمحمود شيت خطاب[1]:

الكامل

دعنـــي أخـــي لا تحرجـــوا الإنســـانا إنّـــا بـــذلنا للعـــلا أثمانـــا
(هـــذي قبـــور الخالـــدين فقـــد قضـــوا شـــهداء حتـــى ينقـــذوا الأوطانـــا
قـــد جالـــدوا الأعـــداء حتـــى استشـــهدوا مـــاتوا بســـاحات الـــوغى شـــجعانا
المخلصـــــون تســـــربلوا بقبـــــورهم والخـــــائنون تســـــنمّوا البنيانـــــا
(إنّ الخلـــود لمـــن يمـــوت مجاهـــدا ليس الخلـــود لمـــن يعـــيش جبانـــا) [2]

إنّ التناص الأدبي هنا كان بذكر ثمانية عشر بيتا من شعر محمود شيت خطاب، وهذا عدد كبير من الأبيات الشعرية مقارنة مع غيره من الشعراء.

ومن التناص الأدبي ذكر بيت شعري كامل يقول العبوشي في مسرحية "شبح الاندلس" في معرض الحوار مع سعدي:

المتدارك

الشاعر:

الهَـــونَ الهَـــونَ أيـــا عـــرب قـــد جـــاء الغـــوث فـــلا تَهَبـــوا
فـــــذئاب العـــــرب ســـــتقذفهم وحمـــــى صـــــهيون ســـــينتهب[3]

فيردّ عليه سعدي مستهزئا، ببيت من شعر علي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني[4]:

---

[1] أحد ضباط الجيش العراقي "برتبة رائد ركن" حين شارك في معارك جنين 1948، كان شاعراً ومؤرخاً، وقد ألقى هـذه الأبيات في مهرجان شهداء جنين، حيث تظهر الأبيات تفاني الجيش العراقي وإخلاصه في الدفاع عن مدينة جنـين، كمـا وتظهر أيضاً شجاعة شباب فلسطين، علماً أنه كان صديقاً للشاعر العبوشي في جنين وفي العراق أيضاً، ولقد وصل لرتبة لواء ركن حين توفاه الله ببغداد.

[2] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص497-498.

[3] **نفسه**، ص492.

[4] وهو من شعراء العصر الأندلسي من أهل القيروان، توفي سنة 1095 م، عن موقع *www.adab.com*.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتدارك

(يـــا ليـــل الصـــب متـــى غـــده أقيـــــام الســـــاعة موعـــــده) [1]

فالعبوشي من خلال الأبيات المقتبسة يخدم الغرض الذي يريد، ويوثق الصلة بين أعماله الأدبية وأعمال من سبقوه من مختلف العصور.

كما يتناص العبوشي مع بعض الأبيات الشعرية من حيث المعنى العام، فنراه يذّكر بذلك المعنى الذي أورده الشاعر اللبناني وديع البستاني حين ارتاب بمخططات اليهود الذين يَفِدون إلى فلسطين عبر البحر، يقول البستاني:

الطويل

أجل عـــابر الأردن كـــان ابـــن عمنـــا ولكننـــا نرتـــاب فـــي عـــابر البحـــر [2]

فقد أورد العبوشي ما يشبه فكرة "عابر البحر" في مسرحية "الفداء" حيث يقول:

الوافر

فـــإن الأرض أرض أبـــي وجـــدي وهم جـــاؤوا مـــن البحـــر الســـحيق [3]

كما يتناص مع الشاعر المخضرم الحطيئة في قصيدته التي نظمها وهو محبوس في بئر زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– بسبب هجائه للزبرقان بن بدر، حيث يقول الحطيئة مستعطفا عمر بن الخطاب ليخرجه من سجنه:

البسيط

ألقيـــت كاســـبهم فـــي قعـــر مظلمـــة فاغفر عليـــك ســـلام الله يـــا عمـــر [4]

تناص العبوشي مع هذا البيت في قصيدة "الحيمن الإنسان"، لكن القعر المظلمة في قصيدة العبوشي تعني رحم الأم، حيث يقول:

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص492.

[2] البستاني، وديع، **ديوان الفلسطينيات**، بيروت، دار الطباعة والنشر الشرقية، 1946، ص87.

[3] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص582.

[4] الحطيئة، ابو ملكية جرول بن أوس العبسي، **ديوان الحطيئة**، دار صادر، 1967، ص121، د.م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البسيط

ألقاك عن شـــهوة فـــي قعـــر مظلمـــةٍ فخلت نفســـك جـــزارا علـــى وضـــم[1]

ومن تناصه الأدبي حوار أقامه العبوشي مع "أبي تمام" في قصيدة "الموصل"، حيث زار العبوشي مدينة الموصل العراقية، وزار فيها تمثال الشاعر الكبير "أبي تمام" وكان مقطوع الرأس:

ومـــذ رأيـــت "أبـــا تمـــام" انطلقـــت مـــــدامعي بقـــــواف ذات إفصـــــاح
وجدتـــه حجـــرا صـــلدا فقلـــت لـــه مالي أراك ســليب الــراس يــا صــاح
فقـــال لـــم أك فـــي دنيـــاي ذا جســـد وإنمّـــا كنـــت روحـــا بـــين أرواح
والناس قـــد عبـــدوا الأصـــنام مـــن قـــدم واليـــوم قـــد عبـــدوا تمثـــال ســـفّاح
"فالســـيف أصـــدق إنبـــاء" إذا امتهنـــت حقيقـــة الحـــقّ فاندبـــه لإصـــلاح[2]

فقد اقتبس العبوشي في حواره مع أبي تمام شطرا من بائية أبي تمام التي نظمها بمناسبة "فتح عموريا" حيث يقول أبو تمام:

البسيط

الســـيف أصـــدق إنبـــاء مـــن الكتـــب في حده الحـــد بـــين الجـــد واللعـــب[3]

ومن إبداعات العبوشي في التناص جمعه للتناص الديني والأدبي في بيت واحد، حيث يتناص مع آية قرآنية في الشطر الأول، وبيت شعر لأبي العلاء في الشطر الثاني:

الكامل

وامـــش الهـــوينى خاشـــعا متصـــدعا فلقـــد مشـــيت علـــى رفـــات ترابـــه[4]

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي** ، ص246.

[2] **نفسه**، ص80-81.

[3] أبو حمدة، محمد علي، **في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمورية**، دار الجيل، 1984، ص13.

[4] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث يتناص في صدر هذا البيت مع قوله تعالى من سورة الحشر ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، ومع قول أبي العلاء المعري:

الخفيف

سـر إن اسـتطعت فـي الهـواء رويـدا لا اختيـالا علـى قبـور العبـاد
خفـف الـوطء فمـا أظـن أديـم الأر ض إلا مـن هـذه الأجسـاد[2]

التناص الذاتي:

التناص الذاتي هو العلاقات التي تعقدها نصوص الكاتب مع بعضها، إن كان على مستوى الأسلوب، أو على مستوى تقاطع الموضوعات والرؤى والأفكار التي تعبر عن هاجس الأديب ومواقفه، فالأديب ينتج نصا واحدا مهما تعددت نصوصه[3].

يتناص العبوشي مع نفسه في أشعاره ومسرحياته بشكل لافت، فنراه في مسرحياته المختلفة يقتبس أبياتا شعرية من دواوينه الشعرية ويضمنها في نصوصه المسرحية، لتكون جزءا من الحوار، فتخدم المعنى المراد، ومن تضمينه الذاتي قوله في مسرحية "الفداء" في معرض الحوار بين "أحمد وسندس" وهما ولدا فاطمة، وهائل وسحبان الذين كانوا يصفون ألم التشرد والجوع والفقر:

مجزوء الكامل

أحمد: أنا جائع
سندس: وأنا كذلك
فاطمة بحزن:

---

[1] **الحشر**، آية 21

[2] المعري، أبو العلاء، **شرح ديوان سقط الزند**، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، 449ه، ص78.

[3] انظر: أحمد، أمل، **التناص في رواية إلياس خوري باب الشمس**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف الدكتور: عادل الأسطة، 2005م، ص14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اصبـــــــــــــــــــــــروا أو فالعبـــــــــــوا

تخاطب الجماعة:

لـــم يبـــق عنـــدي غيـــر صـــا ع مـــــن طحـــــين فـــــاعجبوا[1]

وهنا يبدأ التناص الذاتي في معرض رد هائل على ما تقوله فاطمة:

هائل:

يـــــا لهـــف نفســـــي لـــــلأرز فقدتـــــــه فقـــــد الحبيـــــب
قـــد كـــــان قوتـــــا للضـــــعيف وتحفـــــة الضـــــيف النجيـــــب

سحبان:

يـــــا حســـــنه فـــــي صـــــحنه يزهـــو وفـــــي طـــــي الحليـــب
وإذا تعصـــــــــــفر خلتـــــــــه كمتـــــيّم جـــــمّ الشـــــحوب[2]

هذه الأبيات اقتبسها العبوشي من قصيدة "الأرز بالبطاقات"[3]، وقد لجأ العبوشي إلى التناص الذاتي في أكثر من موضع، وهذا يدل على أن نصوص الأديب مهما تعددت وتنوعت إلا أنها تعد نصا واحدا.

المبحث السادس: التكرار

يعدّ التكرار أحد الوسائل التي وظفها برهان الدين العبوشي في شعره للتعبير عن أفكاره، وتوضيحها للمتلقي، فالتكرار "ظاهرة موسيقية ومعنوية في آن واحد، فهو ظاهرة موسيقية عندما ترد الكلمة أو البيت أو المقطع على شكل اللازمة الموسيقية، أو النغم الأساسي الذي يعاد ليخلق جوا نغميا ممتعا، ويصبح هذا التكرار على المستوى اللغوي ذا فائدة معنوية، إذ

---

[1] **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص571-572.

[2] **نفسه**، ص572.

[3] انظر: **نفسه**، ص134.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن إعادة ألفاظ معينة في بناء القصيدة، يوحي بأهمية ما تكتسبه تلك الألفاظ من دلالات، ما يجعل ذلك التكرار مفتاحا في بعض الأحيان لفهم القصيدة"[1].

وتعود أهمية التكرار إلى أنه" يحتوي كل ما يتضمنه أي أسلوب آخر من إمكانات تعبيرية، إنّه في الشعر مثله في لغة الكلام يستطيع أن يغني المعنى، ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، ذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة"[2].

"والتكرار تقنية ترتكز إلى تكرار ذكر مفردة أو عبارة أو تركيب، أو جملة بملفوظها ومدلولها في مكان آخر، أو أماكن أخرى في القصيدة، وتعدّ هذه البنية ذات حضور فاعل وممتد في جسد القصيدة، فقد اعتمد عليها برهان الدين العبوشي اعتمادا جعل منها تقنية فنية أقام بها القصائد... وقد أخذ التكرار أنماطا معينة، عملت على إثراء الإيقاع، والمحمول الدلالي معا، معززا بنية القافية في بعدها الموسيقي".[3]

وظاهرة التكرار ليست وليدة اليوم، بل هي ظاهرة أصيلة في كلام العرب شعره ونثره، ومن التكرار في شعر الخنساء من قصيدة رثاء لأخيها صخر:

البسيط

وإن صـــــخرا لوالينـــــا وســـــيدنا وإن صـــــخرا إذا نشـــــتو لَنحّـــــار
وإن صـــــخرا لمقـــــدام إذا ركبـــــوا وإن صـــــخرا إذا جـــــاعوا لَعقّـــــار[4]

فتكرار اسم صخر يدل على الرفعة والسمو والمكانة العظيمة التي كان يحتلها في قومه.

والتكرار في كلام العرب له جذوره التاريخية حيث "كان ابن قتيبة أول من تعرّض له حين تناول أسباب التكرار في بعض سور القرآن الكريم"[5].

---

[1] **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، ص338.

[2] الملائكة، نازك، **قضايا الشعر المعاصر**، بيروت، دار العلم للملايين، 1997م، ط10، ص261.

[3] **خواجا، علي، برهان الدين العبوشي**، ص21.

[4] الخنساء، **ديوان الخنساء**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت، ص51.

[5] الصباغ، رمضان، **في نقد الشعر العربي المعاصر– دراسة جمالية**، الإسكندرية، دار الوفاء، 1998م، ص236.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتكشف لنا عملية تتبع ظاهرة التكرار في الأعمال الكاملة لبرهان الدين العبوشي، أن الشاعر قد تعامل معها في أنماط معينة، تفاوتت في نسب شيوعها من مكان إلى آخر في أعماله الأدبية، وذلك وفق متطلبات السياقات، واحتياجاتها التعبيرية، ويمكن تأطير هذه الأنماط على النحو الاتي:

أولا: **بنية رد العجز على الصدر**

وتعني "أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في أول الصدر، أو وسطه أو آخره أو في أول العجز، واللفظان المكرران هما المتفقان في اللفظ والمعنى، نحو قوله تعالى:" وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ "[1]، فاللفظ والمعنى واحد، والمتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى[2]، ومن ذلك قول العبوشي في قصيدة "في المعتقل":

مجزوء الكامل

حـــيّ الكرامـــة فـــي الشـــهيد وكـــم بقـــومي مـــن شـــهيد[3]

فالعبوشي هنا وظّف التكرار توظيفا شكليا بهدف توكيد البنية المكررة الأولى، ليتم بذلك توكيد المعنى وهو كثرة شهداء فلسطين.

ثانيا: بنية المجاورة

"وهو بنية تكرارية ترتكز إلى تجاور دالين مفردين أو أكثر على امتداد الشطر الشعري، أو البيت الشعري، ورأسيا على امتداد الأشطر المتتابعة أو الأبيات المتتابعة"[4] كما في قول العبوشي في قصيدة "الوطن المبيع":

الكامل

لا تعـــذلوا الشـــعب الفتـــيّ فإنـــه آوى الشـــريد فراعـــه بخرابـــه

---

[1] **آل عمران**، آية 8.

[2] سعد، محمد، **شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية**،11-1- 2010 www.alfaseeh.com .

[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص139.

[4] **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص47.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا تعـــذلوا الشـــعب الفتـــي فـــإنهم دسّـــوا لـــه ســـمّا بحلـــو شـــرابه[1]

فقد كرّر العبوشي "لا تعذلوا الشعب الفتي" ليؤكد أن الشعب قد آوى اليهود في بداية الأمر لأنه شعب مضياف معطاء، وهذه عادات العرب، ولم يدرك الشعب المخططات الخبيثة التي كانت تدور في خلد اليهود.

ثالثا: بنية التكرار الخالص

"وهي بنية تصدير حرّة تمثل مظهرا موسيقيا خاصا بالمقطع، وتتخذ أشكالا مختلفة، منها أن يرد الدال في أول الصدر وآخره"[2]، ومن ذلك قول برهان الدين العبوشي في قصيدة "هتلر":

إلى أين ماض أنت قـــل لـــي إلـــى أينـــا أخـــاف عليـــك الأذن والقلـــب والعينـــا[3]

لقد حقق العبوشي من خلال هذا التكرار التأثير الموسيقي والدلالي المطلوب، الذي ما كان له أن يظهر بهذه الصورة لولا الإبداع التكراري الذي ظهر من خلال تكرار "إلى أين" في بداية الشطرة الأولى وخاتمتها، فالتكرار هنا يربط تفكير المتلقي بما بين الدالين المكررين، حيث جاء العبوشي بصيغة السؤال "قل لي".

رابعا: تكرار الجملة أو ما دونها

"وهو نمط من تركيب، أو عبارة مكررة على مسافات متباينة قربا وبعدا من عنوان القصيدة، إذ لا يلبث أن يظهر المكرر، حتى يختفي، ليعاود الظهور بين الفينة والأخرى، وهو بهذا الحال من الظهور والاختفاء، يبقي المتلقي حاضر الذهن والعاطفة، مشدودا إليه، إلى أن تنتهي القصيدة"[4]، حيث تبرز ظاهرة التكرار اللغوي بشكل واضح في أعمال العبوشي الأدبية، ومنها على سبيل المثال:

---

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص51.

[2] **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص49.

[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي، ص117.**

[4] **خواجا، علي، برهان الدين العبوشي**، ص22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكرار الكلمة: وهو الغالب في شعر العبوشي، ومنه تكرار الاسم، والفعل، والحرف، حيث يعد تكرار الكلمة من أبسط أشكال التكرار، وأكثرها شيوعا وانتشارا، وفي حالة تكرار الكلمة يجب أن يكون "اللفظ المكرر وثيق الصلة بالمعنى العام للسياق الذي يرد فيه، وإلا كان لفظة متكلفة لا فائدة منها"[1]. ومن أمثلة تكرار الاسم قوله:

الخفيف

والشـــباب، الشـــباب نـــار تلظـــى تحـــرق الأرض بحرهـــا وســـماها[2]

وقد كرّر الشاعر لفظة الشباب للدلالة على أهمية فئة الشباب في رد الضيم عن أوطانهم، فجعل الشباب، نقطة ارتكاز يقوم المقطع بكليته عليهم، ومن ذلك في شعره كذلك:

الخفيف

أمّـــة الحـــرب تســـتعيد علاهـــا بالمواضـــي وتســـترد بناهـــا
أمّـــة الحـــرب لا تنـــال بضـــيم أمّـــة الحـــرب لا يجـــاس حماهـــا

وقد كرّر الشاعر "أمة الحرب" ثلاث مرات في بيتين للدلالة على أهمية القتال في رد ما اغتصب من أرض إلى أصحابه، فالحرب هي السبيل الوحيد لإعادة الحق المغتصب، وقد قرن كلمة أمة بالحرب ثلاث مرات، للدلالة على أن الأمة دون الحرب لن تستطيع نيل حقوقها، فالحقوق لا توهب بل تنتزع انتزاعا.

ومن مظاهر التكرار في شعر العبوشي، تكرار الأفعال الذي يكسب التركيب الشعري معاني إضافية، فهناك فرق واضح بين ذكر الشاعر لفعل الأمر "تعالوا" مرة واحدة، وذكره أربع مرات في مطلع الصدر لأربعة أبيات متتالية:

الطويل

تعالوا نضم الشمل فالحيّ قـد خـلا وقائـــده نـــاء ونادیـــه مبتلـــى

---

[1] عاشور، فهد ناصر، **التكرار في شعر محمود درويش**، المؤسسة العربية للدراسات والنشـر، بيـروت، ط1، 2004م، ص60.

[2] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالوا فـإن الشـرّ أبـدى نواجـذا وحـــدّد أنيابـــا وجـــرّد أنصـــلا
تعـالوا فإنّـا أخـوة مـن سـلالة تباهت بها الدنيا وسادت علـى المـلا
تعالوا ففي التوحيد يـا قـوم قـوة سنقلب فيهـا الظلـم والشـر أسـفلا[1]

إن ذكر فعل الأمر تعالوا أربع مرات متتالية يكسب دعوة الشاعر بني قومه إلى الوحدة بعدا جديدا لا يمكن الوصول إليه دون التكرار، ففعل الأمر هنا جاء ليحمل تكثيف معنى النصح والإرشاد لبني قومه أن يتوحدوا لمواجهة المخاطر، حيث عمد العبوشي إلى تكرار العنوان على مسافات متباينة في جسد القصيدة ما يعمل على "تعميق المعنى الدلالي والزمني في نفس المتلقي، على مستوى وجوب التوحد والتكاتف، لان في هذا قوة عظيمة تواجه الشر، وتقتلعه من فلسطين، والعبوشي بذلك يؤسس قاعدة يبني عليها توجهاته الفكرية والشعورية المطروحة، فالقصيدة كاملة تدور حول محور دلالي واحد، وهو لم الشمل والتوحد وتنظيم الصفوف لمواجهة العدو المغتصب[2]. ومن أمثلة تكرار الفعل الماضي قوله في مسرحية "شبح الأندلس" على لسان محمود:

الوافر

أحقـــا رايـــة العربـــي تطـــوى ومـــا زال الأعـــادي قيـــد ميـــل
وما زالـت سـرايا الخصـم تعثـو بـــأرض الله والـــوطن الجميـــل
ومـــا زالـــت نســـانا هائمـــات يعـــانين الشـــماتة مـــن عـــذول[3]

ففي هذا المقطع الحواري الذي تكرر فيه الفعل الماضي "مازال"، أصبح المقطع بمجمله يقوم على تكرار هذا الفعل، وتكرار الفعل "مازال" هنا يضيف معنى استمرارية وجود العدو، حيث يستنكر الشاعر على جيوش العرب ترك ساحة المعركة، والعودة إلى بلادهم.

ومن مظاهر التكرار كذلك، تكرار الحرف، ما يكسب البيت الشعري معاني إضافية جديدة، فمن أهم الأمور التي تجدر ملاحظتها أن التكرار في شعر برهان الدين العبوشي لا يكون

---

[1] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص44.
[2] انظر: **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص51.
[3] **فارس السيف والقلم– الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص496.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكليا أو من غير قصد، فهو يلجأ إلى التكرار لتلبية الدفقات الشعورية ما يحافظ على التصعيد في قصائده، حيث يوظف العبوشي الحرف في شعره على نحو مميز لتأدية الدلالات المطلوبة:

الطويل

فــلا ظلــم لا إيثــار لا فقــر لا خنــا لقد ذلّلــت فــي أرض مصــر العوائــق[1]

فقد كرّر الشاعر حرف النفي "لا" في البيت أربع مرات في معرض تمنيه أن يزول الظلم والفقر عن شعب مصر زمن الفاروق، وهذا النمط من التكرار يسميه فهد ناصر عاشور(التكرار الشعوري)[2].

ومن تكرار الحروف، تكرار حرف النداء "يا"، حيث يسعى الشاعر من خلال ذلك تأكيد معنى النداء، وإلى التنبيه من خطر ضياع فلسطين، والعرب في لهو ولعب:

البسيط

يا أمّة البيــد يــا أهــل العــراق أيــا أهــل الشــام إلامَ اللهــو واللعــب[3]

ومن أهم أشكال تكرار الحرف في شعر العبوشي؛ تكرار حرف التوكيد "إن"، حيث تعدّ دلالة التوكيد من أهم الدلالات، وأكثرها شيوعا وانتشارا، ومن أمثلتها في شعر العبوشي:

الخفيف

إنهــا فرصــة الزمــان تــواتي عارفيهــا ولا تــواتي الغشــيما
إنهــا خدعــة الضــعيف وقــدما كانــت الحــرب خدعــة وعلومــا
إنهــا خدعــة اللئــيم لغــدر ومــن الجهــل أن تجــاري اللئيمــا[4]

ففي هذا المقطع من مسرحية (شبح الأندلس) يتكرر حرف التوكيد "إن" ملازما للضمير ها، في معرض توكيد العبوشي للعرب أن الهدنة ليست لصالحهم، بل هي استراحة المقاتل

---

[1] **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص114.
[2] انظر: **التكرار في شعر محمود درويش**، ص56- 57.
[3] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص47.
[4] **نفسه**، ص481.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لليهود، حتى يرتبوا صفوفهم، ويعاودوا الكَرّة من جديد، وليعمق العبوشي هذا الشعور كرّر حرف التوكيد، فكان كمن يؤكد الشيء المؤكد، فزاده بذلك ثباتا وتأكيدا.

وقد لجأ العبوشي في قصائده إلى تكرار العبارة كاملة، وأراد من ذلك أن يحقق معنى التعجب، فجعل من عبارة "جر يا زمان" لازمة للقصيدة:

مجزوء الكامل

جـــــــــــر يـــــــــــا زمـــــــــــان
جـــــر يـــــا زمـــــان وأرهِـــــقِ اشْـــــدُدْ علـــــيّ وأطبـــــقِ
مـــــا كنـــــت منـــــك بمشـــــفق فغـــــدا أقـــــر بخنـــــدقي
جـــــــــــر يـــــــــــا زمـــــــــــان
خـــــوض المعـــــارك عـــــادتي أرخصـــــت فيهـــــا هـــــامتي
ســـــأنيل فيهـــــا أمتـــــي مجـــــدا وأرفـــــع رايتـــــي
جـــــــــــر يـــــــــــا زمـــــــــــان[1]

وقد سمّى فهد ناصر عاشور هذا النوع من التكرار بـــ (التكرار الهندسي)[2].

[1] **فارس السيف والقلم- الأعمال الأدبية الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ص141.

[2] **التكرار في شعر محمود درويش**، ص101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

لقد عاش برهان الدين العبوشي مرحلتين مهمتين مثلتا نقطة التحول في حياته، المرحلة الأولى عاشها في ربوع وطنه وفي أحضان مدينته جنين قبل النكبة وأثناءها، والمرحلة الثانية قضاها في العراق بعد النكبة. فأسهم بسيفه ولسانه في الذود عن حمى الوطن، حيث تغنى بالسهول والجبال والأودية والشعاب، أورد أسماء المدن والقرى، والأشخاص الذين كان لهم الأثر البالغ في الدفاع عن هذا الوطن بحيث يمكن أن نعدّ شعره معجما للأحداث الفلسطينية والمدن والرجال.

بثّ في أعماله الأدبية لواعج الشوق والحنين، وتواصل مع وطنه بالذكريات والتفاؤل والأمل بالعودة والتحرير، أثّرت فيه الأحداث وأثّر فيها وتفاعل معها، فأدلى بدلوه مع إخوانه أدباء تلك المرحلة الذين أخذوا على عاتقهم الذود عن حمى وطنهم.

كان العبوشي أحد هؤلاء الذين تغنّوا بحب الوطن ومجّدوا البطولات، وصبّوا جامّ غضبهم على السماسرة والمتآمرين، عشق الطبيعة ومفاتنها، فعاش طفولته وصباه بين سهولها فأصبحت جزءا منه وأصبح جزءا منها، فعرف بها وعرفت به، سخّر شعره لمتابعة الأحداث فما مرت مناسبة وطنية أو قومية أو دينية أو سياسية إلا وعبّر عنها أصدق تعبير، فصار بأدبه مؤرخا لفلسطين يدافع عنها، ويوقظ شعبه، ويلهب مشاعر أمته، ويحثها على النفير.

كما أدّى دوره النضالي العملي إلى جانب المجاهدين، فعاش تلك المرحلة – مرحلة النكبة– وأصيب إصابات بالغة، وأكره على مغادرة وطنه حاملا هموم الوطن وآلامه، فانقسم فكره بين الغربة والشوق والحنين. سجّل في أدبه ذكريات الوطن على الرغم من النكبات والنكسات التي حلت به، وعبر عن إيمانه بحتمية النصر والتحرير والعودة مهما طال الزمن.

أما بالنسبة للمسرح فإن الجهود المتواضعة التي بذلها برهان الدين العبوشي وإخوانه من كُتاب المسرح في فلسطين هي جهود قيّمة ورائدة إذا ما قورنت بالظروف التي اكتنفت ظهور المسرح الشعري في فلسطين، وهي إرهاصات لا يستهان بها في بناء فن مسرحي مميز فنا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومضمونا، إن هذه الإرهاصات المسرحية تدعو إلى التفاؤل، فعلى الرغم من العقبات والصعوبات والحواجز التي وقفت في طريق نمو هذا الفن العظيم، إلا أنها تعد بوادر مميزة ومشجعة، وهي تشكل مرحلة الأساس الذي سيرتفع عليه أدب المسرح الشعري في فلسطين. كما شكلت مسرحيات العبوشي صورة من صور مواجهة المحتل "فقد شملت المواجهة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني كل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأدبية والفنية"[1].

وأرى وفاء للعبوشي خاصة وللمسرح الفلسطيني عامة أن تمثل مسرحيات برهان الدين العبوشي على خشبة المسرح لإبراز عدالة القضية الفلسطينية، وأن تدّرس أعمال برهان الدين العبوشي في المناهج الفلسطينية في الجامعات والمدارس؛ ليتعرف الجيل الصاعد على أدبه.

[1] شريتح، محمد، **الرواية والقصة القصيرة والمسرحية 1948 -1985**، الموسوعة الفلسطينية، مجلد 5، ص217.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم.

العبوشي، سماك وحسن، **فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي**، ط1، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2009م.

المراجع

ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، 1959م.

الأسد، ناصر الدين، **محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن**، جامعة الدول العربية، ط1، معهد الدراسات العربي العالية،1961م.

الأسطة، عادل، **اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987م**، ط1، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1992م.

الشعر العربي المعاصر، بيروت، دار العودة، 1973م.

أبو أصبع، صالح، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي 1948-1975م**، ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير** وزيادته الفتح الكبير، الرياض، جمعية إحياء التراث الإسلامي، 2000م.

البستاني، وديع، **ديوان الفلسطينيات**، بيروت، دار الطباعة والنشر الشرقية، 1946.

الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ج3، ط3، 1968.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جبر، أيمن عبد العزيز، **روائع البيان لمعاني القران**، دار الأرقم، عمان، ط1، 1997.

جرار، حسني، **أدباء من جبل النار**، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2007م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، المكتبة العلمية، القاهرة،ج1، 2000.

الجوزي، نصري، **تاريخ المسرح الفلسطيني1918-1948م**، ط2، رام الله، دار الارض للنشر والتوزيع، 2011.

جيدة، عبد الحميد، **الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر**، بيروت، مؤسسة نوفل، 1980م

أبو حاقة، أحمد، **الالتزام في الشعر العربي**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

الحصري، ساطع، **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1984م.

الحطيئة، ابو ملكية جرول بن أوس العبسي، **ديوان الحطيئة**، دار صادر، 1967، د.م.

الحكيم، توفيق، **من البرج العاجي**، القاهرة، مكتبة مصر، 1988م.

الحلبي، علي بن برهان الدين، **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1400 ه، 462/1.

حمادة، إبراهيم، **معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية**، القاهرة، دار المعارف، 1985م.

أبو حمدة، محمد علي، **في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمورية**، دار الجيل، 1984.

خلف، علي حسين، **أبو سلمى زيتونة فلسطين**، منشورات الأسوار، عكا، ط1، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخواجا، علي، **برهان الدين العبوشي**، المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الإستراتيجية، ط1، 2008م.

التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث، ط1، رام الله، دار البيرق العربي للنشر، 2009م.

الخنساء، **ديوان الخنساء**، دار مكتبة الحياة، بيروت، دار الأندلس، 1968.

الدسوقي،عمر، **المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها**، دار الفكر العربي ، د.ت.

الراعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1999م.

الربيعي، محمود، **لغة الشعر المعاصر**، مجلة فصول، العدد الرابع، يوليو، 1981م.

رحماني، أحمد، **الرؤيا والتشكيل في الأدب المعاصر**، القاهرة، مكتبة وهبة، 2004م.

الزعبي، أحمد، **التناص نظريا وتطبيقا**، مكتبة الكتاني، ط1، إربد، 1995م.

زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935- 1939، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1980.

سلام، أبو الحسن، **مقدمة في نظرية المسرح الشعري**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2006.

سلسع، جمال، **الظاهرة الإبداعية في الشعر الفلسطيني الحديث**، مطبعة المعارف، 1994 م.

السوافيري، كامل: **ديوان عبد الرحيم محمود**، دار العودة، بيروت،1999م.

أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة، ط3، دار المعارف،2000.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من 1917-1955، ط1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1963.

الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973.

سليمان، سهيل، **كمال ناصر الشاعر والأديب والسياسي**، دار الأصالة ، بيروت، ط1، 1986.

سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية – مدخل نظري ودراسة تطبيقية، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004.

أبو الشباب، واصف كمال: **شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ط1، دار العودة، بيروت، 1981م.

القصة والرواية والمسرحية في فلسطين 1900-1948م، الموسوعة الفلسطينية، ط1، مج 4.

شراب، محمد محمد حسن: **شعراء فلسطين في العصر الحديث**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006م.

معجم العشائر الفلسطينية، الأهلية، 2002.

شريتح، محمود: **الشعر الفلسطيني المعاصر**، الموسوعة الفلسطينية، مج 4.

الرواية والقصة القصيرة والمسرحية 1948-1985، الموسوعة الفلسطينية، مج5.

أبو شريفة، عبد القادر، **إشكالية مصطلحات أدب السيرة**، بحث ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، 1999م.

الشيخ، غريد، **فدوى طوقان شعر والتزام**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصباغ، رمضان، **في نقد الشعر العربي المعاصر– دراسة جمالية**، الإسكندرية، دار الوفاء، 1998م.

الصبان، محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الصعيدي، عبد المتعال، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، القاهرة، مكتبة الآداب، ج4، 2000م.

الصفدي، محيي الدين الحاج عيسى، **مصرع كليب**، ط1، القاهرة، دار مكتبة الحياة، 1974.

الضمور، عماد عبد الوهاب، **محمود فضيل التل**، حياته وشعره، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2001م.

ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط10، دار المعارف، القاهرة، 1969.

الطريفي، يوسف عطا، **شعراء أعلام–إبراهيم طوقان حياته وشعره**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2008م.

طوقان، إبراهيم عبد الفتاح، **ديوان إبراهيم طوقان**، دار الشرق الجديد، بيروت، د.ت.

الطيب، عبد الله، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ط1، دار الفكر، بيروت، 1970م.

عاشور، فهد ناصر، **التكرار في شعر محمود درويش**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م.

عباس، إحسان: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، عمان، دار الشروق، 1986م.

فن السيرة، ط1، بيروت، 1956م.

الشعر في فلسطين حتى العام 1967، الموسوعة الفلسطينية، مج 4، القسم الثاني، دمشق، 1990.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبد الله، نافع، **الشاعر عبد الرحيم محمود**، مكتبة دبي للتوزيع، 1979.

عبد القادر، فاروق، **تنويعات على لحن الثورة المحاصرة**، مركز القدس للأبحاث، منشورات الوكالة الفلسطينية، القدس، ط1، 1987.

عبد الستار، إبراهيم، **شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية**، نادي الإخاء العربي، حيفا، 1947م.

عبد الصبور، صلاح، **حياتي في شعري**، مجلد3، بيروت، دار العودة، 1977م.

أبو العتاهية, أبو اسحق إسماعيل بن القاسم، **ديوان أبي العتاهية**، بيروت، دار صادر، 1964م،

عراق، عبد البديع، **صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ط1، مؤسسة الأسوار، عكا، 2002م، المطبعة العربية الحديثة.

أبو عزة، محمد، **مقدمة مسرحية شبح الأندلس**، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق.

عطوات، محمد عبد الله، **الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر 1918-1968م**، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1998م، ص358.

عليان، محمد شحادة، **الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ط1، 1978م، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

عبد الدايم، يحيى: **الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث**، دار النهضة العربية، د.ت.

عبد المطلب، محمد، **بناء الأسلوب في شعر الحداثة- التكوين البديعي**، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1995م.

عبد النور، جبور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، لبنان، ط 2، 1984م.

أبو عمشة، عادل محمد: **الاتجاه السياسي في شعر إيليا أبو ماضي**، ط1، 1987م.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

العروض والقافية، نابلس، مكتبة خالد بن الوليد، ط1، 1986.

الغذامي، عبد الله، **الخطيئة والتكفير**، النادي الأدبي الثقافي، ط1، جدة، 1985م.

غنيم، كمال أحمد، **المسرح الفلسطيني**، ط1، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2003م.

الفار، مصطفى محمد: **الشاعر أبو سلمى أديبا وإنسانا**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1985م، بيروت، لبنان.

ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ط1، 1993.

مدخل الى دراسة القضية الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، مج 5.

فيشر، أرنست، **ضرورة الفن**، ترجمة اسعد حليم، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، المطبعة الثقافية،1971م.

قاسمية، خيرية، **المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية**، الموسوعة الفلسطينية، ط1، مج3.

قاسم، عدنان حسين، **التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية**، الكويت، مكتبة الفلاح، 1988م.

قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن الكريم**، بيروت، دار الشروق، 1979م.

القط، عبد القادر: **من فنون الأدب – المسرحية**، بيروت، دار النهضة العربية، 1978م.

الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1986م.

الكرمي، عبد الكريم، **ديوان المشرد**، المكتبة الكبرى للتأليف والنشر، دمشق، 1953.

الكيالي، عبد الرحمن، **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1975.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الكيالي، عبد الوهاب، **النضال الفلسطيني، دروس وعبر**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1971م.

لوجون، فيليب، **السيرة الذاتية**، ترجمة: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م.

الماضي، شكري عزيز، **في نظرية الأدب**، بيروت، دار المنتخب العربي، 1993م.

محمود، حسني: **شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب**، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، عمان، ج1، 1984م.

شعر المقاومة الفلسطينية- دوره وواقعه في المنفى 1948-1967، ج3،

محمود، طارق عبد الكريم، مقالة بعنوان: ***عبد الرحيم محمود ... الجانب الآخر***- من كتاب **عبد الرحيم محمود بين الوفاء والذكرى**، إعداد: أديب رفيق محمود وطارق عبد الكريم محمود، إصدار مركز إحياء التراث العربي، مطبعة روان التجارية، القدس، ط1، 1990م.

محاميد، محمد، **مسيرة الحركة المسرحية في الضفة الغربية 1967-1987**، الطيبة-المثلث، مركز إحياء التراث العربي، 1989م.

المرعشلي، **الموسوعة الفلسطينية**، الدراسات الخاصة، قسم 2، ج4، بيروت، 1990.

مصطفى، خالد علي، **الشعر الفلسطيني الحديث**، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978م.

المصري، يسرية، **بنية القصيدة في شعر أبي تمام**، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1997م.

المعري، أبو العلاء، **شرح ديوان سقط الزند**، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، 449ه.

المقدسي، أنيس، **الفنون الأدبية وأعلامها**، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملائكة، نازك، **قضايا الشعر المعاصر**، بيروت، دار العلم للملايين، 1997م، ط10.

الملاح، ياسر: **صفحات مطويات من تاريخ المسرح الفلسطيني**، ط1، جمعية العنقاء الثقافية، الخليل، فلسطين، 2002م.

مسرح الاحتلال في فلسطين، بيت لحم، دار البيان، 2003.

أبو منشار، نزار نبيل، **الظاهرة الشعرية في فلسطين وأثر الاحتلال عليها**،2003م، د.ن.

مندور، محمد، **المسرح**، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1963م.

منصور، عز الدين، **دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر**، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1985م.

نشاوي، نسيب، **المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر**، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، 1980م.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

أبو نضال، نزيه، **الشعر الفلسطيني المقاتل**، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 1974م.

النقاش، رجاء، **محمود درويش شاعر الأرض المحتلة**، ط2، دار الهلال، القاهرة، 1971م.

الهادفي، إبراهيم، **معاني التجاوز في شعر الشابي**، الدار التونسية للنشر، تونس،1984م.

الهواري، عرفان سعيد أبو حمد، **أعلام من أرض السلام**، شركة الأبحاث العلمية، حيفا، 1979م.

الياسين، إبراهيم منصور، **استيحاء التراث في الشعر الأندلسي**، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2006م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ياغي، عبد الرحمن:

في الجهود المسرحية الإغريقية الأوروبية العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م.

حياة الأدب الفلسطيني الحديث، من أول النهضة حتى النكبة، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1968م.

مواقع إلكترونية

البحراني، فاطمة جمعة، التناص التاريخي، مجلة (جريدة الفنون) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، كانون الثاني، يناير 2004 .عن موقع: www.doroob.com.

الخليلي، علي، مقاربة إشكالية بين فلسطين والأندلس، موقع " دار الخليج " بتاريخ 26 / 9 /2004 www.alkhaleej.ae

سعد، محمد، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية،11-1- 2010 www.alfaseeh.com .

العبوشي، سماك برهان الدين، موقع الشاعر برهان الدين العبوشي الإلكتروني، www.al-abbushi.com.

عطوات، محمد، الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر، www.bab.com .

القاضي، محمد حسيب، عن المسرح الشعري الفلسطيني، منتدى مسرحيون، التاريخ: 15-2-2006م. www.masraheon.com .

القضابي، أحمد عادل، مقالة بعنوان"الحبكة"، بتاريخ: 5-8-2009م، موقع *maktoobblog.com*.

موقع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: www.almoajam.org.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نجم، السيد، العبوشي أديبا ومناضلا، مقالة بتاريخ:2008/8/18م، www.middle-east-online.com

ويكيبيديا الموسوعة الحرة *wikipedia.org*.

مقابلات

عبد الكريم، طارق، نابلس- 20-4-2011 .

رسائل إلكترونية مع الأديب سماك برهان الدين العبوشي.

رسائل جامعية

أحمد، أمل، **التناص في رواية إلياس خوري باب الشمس**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2005م.

اشتية، معاذ عبد الله حامد، **عبد اللطيف عقل شاعرا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2003م.

أبو بكر، أحمد حسن محمود، **حنا إبراهيم أديبا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل الأسطة، 2001م.

جعيد، عبد الرحمن علي عبد الرحمن، **علي الخليلي أديبا**، إشراف الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة، 2006م، جامعة النجاح الوطنية.

دعمس، أحمد داود، **بناء الجملة في الشعر الفلسطيني الحديث**، دراسة تطبيقية في شعر: إبراهيم طوقان، وبرهان الدين العبوشي، وراشد حسين، رسالة دكتوراة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الدار العثمانية، عمان، ط1، 2010م.

دياب، صبري يوسف، **الوطنية في شعر حسن البحيري**، رسالة جامعية لنيل شهادة الإجازة (ليسانس)، إشراف: نسيب نشاوي، جامعة عنابة، دار المعرفة، ط1، 1985م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشيب، ندى محمود، **فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002م**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف: عادل أبو عمشة.

فخر الدين، ساهرة عادل، **القتال الكلابي شاعرا**، رسالة ماجستير، إشراف: خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، 2005م.

مقالات

أبو شريفة، عبد القادر، **إشكالية مصطلحات أدب السيرة**، بحث ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، 1999م.

العمايرة، محمد، **العبوشي فارس الكلمة المقاتلة**، فارس السيف والقلم – الأعمال الكاملة للشاعر برهان الدين العبوشي.

عودة، هشام، **صفحات مطوية من حياة الشاعر برهان الدين العبوشي**، مجلة بلسم، عدد 306، كانون الأول، 2000م.

المغيض، تركي، **السمات الأسلوبية في مذكرات الملك عبد الله بن الحسين**، مقالة ضمن كتاب أدب السيرة والمذكرات في الأردن، ط1، منشورات جامعة آل البيت، 1999م.

عبد الكريم، طارق، صحيفة القدس، "**الشاعر الفلسطيني برهان الدين العبوشي... إلى متى يظل منسياً ومظلوماً**"، 2009/12/11م.

نجم، السيد، **العبوشي أديبا ومناضلا**، مقالة بتاريخ:2008/8/18م، www.middle-east-online.com.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلات

البحراني، فاطمة جمعة، التناص التاريخي، **مجلة (جريدة الفنون) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب**، الكويت، كانون الثاني، يناير 2004 . www.doroob.com .

الجعيدي، محمد عبد الله، حضور الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث، **مجلة عالم الفكر**، المجلد الثامن والعشرون، العدد الرابع، ابريل–يونيو، 2000م.

أبو عمشة، عادل، الشهيد في شعر ابراهيم طوقان وأبي سلمى وعبد الرحيم محمود، **مجلة جامعة بيت لحم**، عدد 14، 1995م.

عودة، هشام، **مجلة بلسم**، العدد306، كانون الأول، 2000م.

الياسين، إبراهيم منصور، **استيحاء التراث في الشعر الأندلسي**، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2006م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

AN Najah National Universty
Faculty of Graduate Studies

Borhandin Aboshi as a Writer

By
Shams El-Deen Gannam Aseeda

Supervised by
Prof. Adel Abo-Amsha

This Thesis is Submitted in partial Fulfillment of the Requirements for the degree of Master of Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, An-Najah University, Nablus, Palestine.
2012

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Borhandin Aboshi as a Writer

By
Shams El-Deen Gannam Aseeda
Supervised by
Prof. Adel Abo-Amsha

Abstract

This study introduces the background about the Palestinian Artist Borhan Al-Deen Al-Abboshi by looking at his birth , life , education , culture and travels. Moreover , the impact of the surrounding environment on his personality formation .It also surveys the Literary trends for Borhan Al-Deen Al-Abboshi such as the poetic trends. His poetry includes natural and religious poems as well as to the Nakaya poetry . On the other hand , Theatrical trend express the matters of the countries related to poetry in a group of plays. Additionally , the prose trend which is embodied in the prose Memos . It also shows the artistic features in the poetry of Al-Abboshi through his language , style , music and his metaphors .

It aims at drawing the attention to a Palestinian artist who excelled side by side with his colleagues in the literary works which express the various stages from the history of the Palestinians . In spite of the hard circumstances , he was able to continue his creativity and cater the Arab Libraries in general and the Palestinian in particular with more than one literary genre . He wrote poetry , plays and memos which is an evidence that he had huge powers .

www.manaraa.com